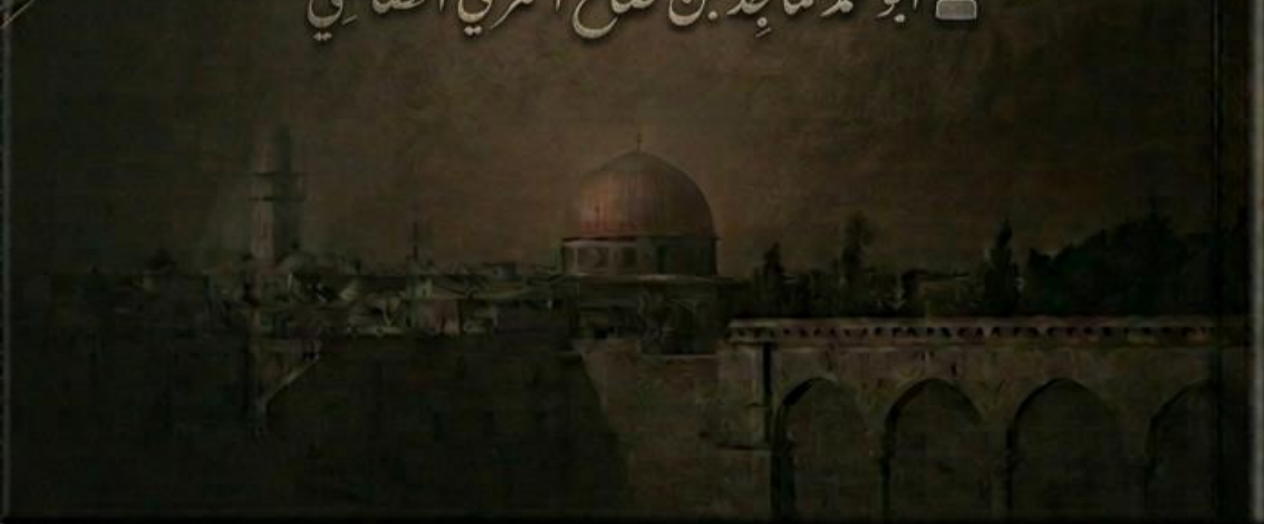
مِنْ وَعْدِ الخَلِيلِ إِلَى جُرْحِ الجَلِيلِ

تاريخ اليهود عبر العصور

أبو محمد ماجد بن صالح الحمري الضالعي



من وعد الخليل إلى جرح الخليل: تاريخ اليهود عبر العصور

م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

أمـــةٌ عرفـــت المجـــد والنبـــوة، ثم تخلّــت، فعرفــت الســـقوط، والتشـــتيت، واللعنة.

ليســوا مجـــرد قــوم في صـــفحات الكتـــب... بـــل لغـــزٌ حـــيّ، عـــاش علـــى أطـــلال ممالـــك، واختبـــأ خلـــف الأسمـــاء والرمـــوز، وتســـلل عـــبر القـــرون حاملًا قصصًا مختومة بالدم.

في هـــذه الإطلالـــة الماتعـــة نغـــوص في أعمـــق طبقـــات التـــاريخ، ونكشـــف أشنع الأسرار التي حاول العالم إخفاءها.

يبـــدأ المشـــهد مـــن يعقـــوب بـــن إســـحاق الـــذي عـــاش في أرض الكنعـــانيين العرب، وأنجب الأسباط الإثني عشر الذين شكلوا نواة بني إسرائيل.

وهـــاجروا إلى مصـــر، ثم انقلـــب عـــزهم إلى عبوديـــة مهينـــة تحـــت حكـــم الفراعنة.

مـــن الانقســـام المـــدوي بعـــد وفـــاة ســـليمان، إلى نزيـــف الـــردة وعبـــادة الأوثـــان، ومـــن أشـــلاء مملكـــة الســـامرة إلى رمـــاد أورشـــليم المنهـــار تحـــت سنابك جيوش بختنصَّر... تبدأ الرحلة.

في بابـــل، لا تعـــود العقيـــدة كمـــا كانـــت... الشـــياطين تهمـــس، والســـحر يُعلَّـــم، والقلـــوب تنكســـر، فيُرســـل الله فتنـــة هـــاروت ومـــاروت، فتحـــترق الحقيقة في نار الابتلاء.

ثم يعود من بقي، فلا مملكة، ولا سِبط، ولا عز. اختلطت الدماء، وضاعت الأنساب، وبدأ عهد جديد... عهد التشتيت، فالفرس يحكمون، ثم الرومان، فتنكسر القدس من جديد.

وفي زمن النبي عيسى عليه السلام، لم تؤمن القلوب، بل اغتالت الرسالة ورفعت السيوف على النور، فبدأ السقوط الأخلاقي والشتات الأبدي.

نُسِف عهد بني إسرائيل، وانتشرت أشتاتهم شرقًا وغربًا... مطاردين، مرذولين، مثقلين باللعنات والوعيد.

ها هم يصلون يثرب، يحلمون بنبي آخر... يخونون النبوءات، ويرسمون طريقًا جديدًا لا يشبه ما كُتب لهم.

في هذه الوريقات... سترى كيف انقلب النور إلى ظلام، وكيف كتبت الأمة مصيرها بيدها، فحلت بها نكبات لم يعرف لها التاريخ مثيلا.

لم ينتهِ الأمر هناك!!

بل كان ذلك تمهيدًا لانحرافات عقائدية شنيعة.

ومع كل خطوة، تتولد أسئلة مرعبة:

هل اليهود هم بالفعل بنو إسرائيل؟

لماذا يخافون من تاريخ الحميريين؟

ما علاقتهم بمملكة الخزر التي يقال إنها اخترعت يهودية جديدة؟

وما الرابط الذي يجمعهم بهاروت وماروت والشياطين، في النصوص القديمة؟

كيف تحول عداء النصارى لهم إلى تحالفٍ عالمي؟

وما هي حقيقة الهيكل الذي يسعون لاستعادته؟

لماذا أرادوا قتل المسيح رغم اعترافهم بنبوته؟

هذه السلسلة لا تروي قصة... بل تفتح بوابة نحو التاريخ الأسود، والتواطؤ الكوني، والتحولات العقائدية الأخطر في حياة البشرية.

لماذا نهتم بمعرفة تاريخ اليهود؟

لمعْرِفَة حَقِيقَة الْيَهُود المعاصرين وَفهم ديانتهم المحرفة وَنقد كتبهمْ المقدسة لديهم، فَإِنَّهُ يَنْبَغِي دراسة تَارِيخ بني إِسْرَائِيل، لِأَن الْيَهُود جعلُوا تاريخهم الطَّوِيل جُزْءا من دينهم المنحرف وكتابهم المحرّف، واعتبروه تراثاً مقدساً يستمدون مِنْهُ شعائرهم وأخلاقهم وشعاراتهم وأفكارهم.

وَإِن نظرةً سريعة إِلَى مَا تتضمنه كتبهم المقدسة لديهم تُبَيِّن لنا أَن ثَلَاثَة أَربَاع محتوياتها تشتَمل على سرد تَارِيخ بني إِسْرَائِيل الطَّوِيل، وَمَا جرى لَهُم من الْحَوَادِث فِي مُخْتَلف الْأَزْمِنَة والأمكنة.

يَقُول المؤرخ الْيَهُودِيّ شاهين مكاريوس: وَلَا يخفى أَن مُعظم تَارِيخ الْيَهُود حَتَّى خراب أورشليم مَأْخُوذ من التَّوْرَاة.

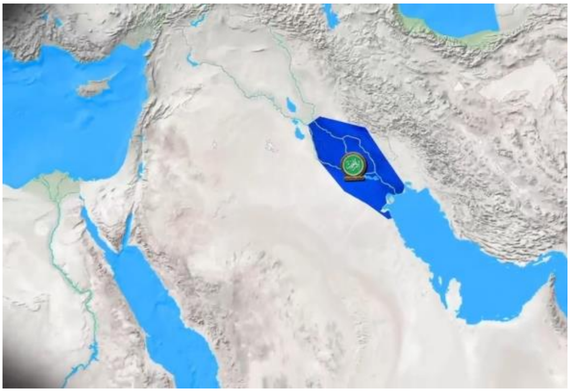
فَهِيَ خزانَة تاريخهم وحكاية مَا حلّ بهم من الْعُبُودِيَّة وَالظُّلم، وَمَا أَصَابُوهُ من الْعِزّ والفوز والسؤدد.

كَمَا أَنَّهَا كتاب وحيهم ومجموعة معتقدهم وشرائعهم الدِّينِيَّة والأدبية والمدنية، فالناظر فِي تاريخهم لَا بُد لَهُ أَن يعْتَمد التَّوْرَاة لاستخلاص أخبارهم.[(١)]

ويترتب على ذلك أيضا فهمُ حاضرهم ومستقبلهم، وما ينوون القيام به من خراب ودمار، فكله مسطور مرقوم عندهم، وهم يطبقون ذلك بالحرف الواحد، ويعتبرونه تبيان صدق عقيدتهم.

[(١)] موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة (ص: ٢٤٥)

وعد الخليل



أول ما نسمع عن اليهود في التاريخ مع إبراهيم أبي الأنبياء الذي ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، كجماعة من الرعاة الرُّحَّل على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذي كان يؤلف دولة الكلدانيين في أور .

ومن قبل كان إبراهيم وقومة قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التي نشئوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التي تأصلت في ذلك الخزان البشري الشهير.

الذي لم يتوقف عن أن يقذف -كإقليم طرد وكصحراء فقيرة ولكنها "ولود ، - يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة.[1]

۞ اليهود وإبراهيم.

[1] اليهود انثروبولوجيا (ص:٥٣)

في حوالي ١٨٠٠ قبل الميلاد هاجر إبراهيم وقومه ، في دورة عكس عقارب الساعة ، شمالا بغرب ثم جنوبا على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى حوران ثم إلى فلسطين .[1]

وهناك سيولد له إسحاق ، ولإسحق سيولد يعقوب ، ومن أبناء يعقوب الاثني عشر ستتأصل الأسباط أو القبائل الإثنتا عشرة الشهيرة في التاريخ والتوراة .

ولكن إبراهيم اليهود غير إبراهيم المسلمين، فالأول، كما هو في توراة اليهود، يختلف اختلافا تاما عن إبراهيم المسلمين.

فإبراهيم المسلمين ورد ذكره عدة مرات في القرآن الكريم، وصورته الرائعة في هذه السور الجميلة قد بلغت أرقى درجات الكمال الإنساني.

وصفات التوحيد، وسمو القيم الروحية الرفيعة، ومن هنا فهو عند المسلمين: أبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وأبو الضيفان.

أما إبراهيم اليهود فإنه شخص آخر لا يمت بصلة إلى إبراهيم المسلمين، وها هي التوراة تحدثنا أنه حدث جوع في الأرض وكان شديدا، فانحدر إبرام (أي إبراهيم) إلى مصر ليتغرب فيها، معه زوجته ساراي (أي سارة).. وكانت حسنة جدا فقال إبرام لساراي امرأته وهي على مقربة من مصر: إني علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فإذا رآك المصريون قالوا هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك..

---

[1] المرجع السابق

ولكن قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك ... !!

فلما دخل إبرام على مصر رأى المصريون أن المرأة حسنة جدا فأُخِذَت إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبرام خيرا بسببها، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وجِمال.

وضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة، فدعا إبرام وقال له : ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي.. خذها واذهب.

ووكل به أناسا شيعوه إلى خارج الديار.

وهكذا فإن التوراة تقذف بزوجة إبراهيم أحضان فرعون في فراشه، ليعود بها إبراهيم مشيعا خارج الديار، مجللا بالإثم والعار.

ويقينا فإن إبرام هذا هو جد اليهود حقا، وحاشا الله أن يكون جد المسلمين.. فالقصة إثم وعار في حق الأنبياء. عار أن يبيع الرجل عرضه بالجمال والعبيد والحمير ... !!

ويأتي الإصحاح العشرون ليكرر لإبراهيم نفس القصة المرذولة التي وقعت له مع فرعون مصر، لتكون هذه المرة مع ملك آخر هو ملك الفلسطينيين.

وقال إبراهيم عن سارة امرأتِه: هي أختي، وأخذ الملك سارة.. وجاء الله إليه في الحلم وقال له : إنها متزوجة ببعل، فالآن رُدَّ امرأةَ الرجل.

فدعا الملك إبراهيم وعنفه بغضب على فعلته، فقال له إبراهيم لقد خفت أن يقتلوني من أجل امرأتي وبالحقيقة هي أختي، ابنة أبي!! غير أنها ليست ابنة أمي !! فصارت لي زوجة!.

فأعطى الملكُ إبراهيمَ غنما وبقراً وعبيداً وإماءً ورد إليه سارة امرأته فأين هذه القصص اليهودية الخليعة من السيرة الإسلامية الطاهرة لسيدنا إبراهيم.

كما وردت في القرآن الكريم وفي كتب التراث الإسلامي وفيها من جليل المواقف ما يأخذ بمجامع القلوب.

وفي إنجيل يوحنا (الإصحاح الثامن) حواراً عنيفاً بين المسيح عليه السلام وبين اليهود.

قال اليهود للمسيح: أبونا هو إبراهيم..

فقال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تفعلون أعمال إبراهيم ... ولكنكم تطلبون أن تقتلوني .. هذا لم يعلّمه إبراهيم ... أنتم من أب هو إبليس.[(١)]

يرى اليهود حسب زعمهم أن نبي الله إبراهيم عليه السلام هو أول يهودي، وهو اليهودي الأول الذي أسس للديانة اليهودية، وهذا كلام باطل يكذبه القرآن الكريم.

حيث يقول تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ آل عمران: ٦٧

---

(١) خرافات يهودية

ثم يقولون أيضا إن الله تعالى أبرم مع إبراهيم عليه السلام عهدا، ووعده بخمسة وعود، منها: وعد الأرض، ووعد النسل العظيم، ووعد البركة على جميع الأمم.

بداية القصة.

تبدأ القصة بهجرة النبي إبراهيم مع زوجته سارة من مدينة أور في العراق، إلى أرض كنعان في فلسطين.

في تلك الفترة كانت الحضارة مزدهرة في أرض كنعان، وكان الكنعانيون والفينيقيون الذين نقلهم الملك اليمني سبأ بن يشجب من اليمن إلى بلاد الشام قد أسَّسُوا حضارة وممالك هناك، مثل ممالك عَمون ومُؤاب.

وكانت التسمية الرئيسية هي أرض كنعان، ووجد في هذه الفترة: السومريون الجدد الذين هم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ألقوه في النار.

بعد أن دعاهم في سومر ولم يؤمن به إلا زوجته سارة ابنة عمه، وكذلك لوط ابن أخيه أو ابن عمه.

وبقيت شعوب أرض كنعان على علاقة وتواصل مع السومريين، لكنهم كانوا مستقلين عنهم تماما، وهذا الذي شجع النبي إبراهيم عليه السلام بعد خروجه من أرض السومريين على الهجرة إلى أرض كنعان.

هاجَرَ النبي إبراهيم وزوجته سارة وابن أخيه لوط-عليهم السلام- ، وكذلك هاجر معهما تارح -والد إبراهيم- إلى جزيرة الفرات موطن أقاربه من سلالة جده فالغ بن عابر.

ولما وصل سيدنا إبراهيم الى حَرَّان التي سميت على اسم عمه هاران دعا سيدنا إبراهيم أهل تلك المناطق وهم عباد كواكب ونجوم ويطلق عليهم المؤرخون اسم الكشدانين.

واستقرت ذرية هاران مع ذرية ناحور وهو الأخ الآخر للنبي إبراهيم، استقروا في حران، «فَأَخَذَ تَارَحُ أَبْرَامَ ابْنَهُ وَلُوطًا بْنَ هَارَانَ ابْنَ ابْنِهِ، وَسَارَايَ كَنَّتَهُ امْرَأَةَ أَبْرَامَ ابْنِهِ، فَخَرَجُوا مَعَهُمْ مِنْ أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ، فَأَتَوْا إِلَى حَارَانَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ» (سفر التكوين ١١: ٣١).

ثم توفي تارح ودفن فيها فتوجه إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان ليستقر فيها.

واختلط مع الكنعانيين وتكلم لغتهم بلهجته الخاصة التي سميت العبرية، وسكن في البداية قرب نابلس المعروفة الآن (شكيم).

ثم توجه إلى مصر بسبب قحط حصل في أرض كنعان، «وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ» (التكوين ١٢: ١٠). ثم عاد بعدها إلى فلسطين مع زوجته سارة، ومع هاجَر التي أهداه إياها ملك مصر.

وبعد عودته سكن سيدنا إبراهيم حول حبرون وهي الخليل اليوم، حيث استقر فيها معظم حياته، وسميت لاحقا باسمه.

وأنجبت هاجر ابنَه الأكبر إسماعيل وهو نبي كريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ مريم: ٥٤

لكن لا يعترف به اليهود أنه نبي.

والسبب في ذلك أن عقيدتهم تربط النبوة حصرا بنسل إسحاق ويعقوب، ولا يعترفون بالأنبياء الذين جاءوا من نسل إسماعيل، لأنهم يعتبرونه خارج عن النسب الموعود.

فهم يزعمون أن الله وعدهم أنهم سيكونون شعب الله المختار، وأن نسل هذا الشعب من نسل إسحاق حصرا، وهذه ليست إلا أماني يمنون بها أنفسهم، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

بعد ورود سيدنا إبراهيم عليه السلام واستقراره في أرض كنعان بأمر الله تعالى ووحيه، آمن به بعض قبائل الكنعانيين حتى صارت له جماعة خاصة مكونة من ٤٠٠ شخص.

ثم كان هؤلاء الـ ٤٠٠ هم الذين خرج بهم سيدنا إبراهيم عليه السلام لإنقاذ النبي لوط عليه السلام من الأسر، حيث تسلط جماعة من الجبارين من قاطعي الطريق على سيدنا لوط عليه السلام.

وذلك حين خرج إلى سدوم لدعوتهم إلى الله، فوقع أسيرا بيد جماعة من الجبارين من قطاع الطرق، فأخذوا أمواله وأنعامه وذهبوا به باتجاه دمشق.

فبلغ ذلك سيدنا إبراهيم فخرج بجيشه المكون من ٤٠٠ شخص ولحق بهم، فقاتلهم وقتل من أعداء الله خلقا كثيرا، ثم لحق من بقي

منهم حتى وصل إلى شرق دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة في طرف دمشق اليوم. فانقذ سيدنا لوط وعاد إلى أرض كنعان.

فاستقبله ملك القدس صادق الذي كان مؤمنا وهو من اليبوسيين الكنعانيين، «وَمَلْكِي صَادِقُ مَلِكُ شَالِيمَ أَخْرَجَ خُبْزًا وَخَمْرًا، وَكَانَ كَاهِنًا لِلَّهِ الْعَلِيِّ. وَبَارَكَهُ وَقَالَ: مُبَارَكٌ أَبْرَامُ مِنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (التكوين ١٤: ١٨-١٩).

وهذه الجملة وقصة استقبال الملك صادق له هي باعتراف التوراة والعهد القديم، كما ترى، أي أنهم يعترفون أن أول من سكن القدس كان اليبوسيين الكنعانيين قبل اليهود بكثير وقبل بني إسرائيل. وهذه الجمل من سفر التكوين الشهير الذي يرد فيه أيضا أن الكنعانيين هم من بنوا القدس أصلا، بل أنها كانت تسمى مدينة اليبوسيين.

بشارة الملائكة للنبي إبراهيم بولده إسحاق:

بعد أن خرج لوط مرة أخرى إلى سَدُوم لدعوتهم إلى الله، وبعد تكذيب قومه له، حق عليهم العذاب، فأرسل الله ملائكته لسيدنا إبراهيم لتنبهه بالأمر أولا، وأيضا لزف البشرى بالحمل والولادة لسيدتنا سارة، وكان سيدنا إبراهيم قد ولد له إسماعيل وذهب ووضعه في مكة مع أمه هاجر.

وعاد ليقيم في منطقة حبرون، ويتفق المفسرون أن الملائكة هم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل.

فلما قرب لهم العجل المحنوذ فلم يقربوه، خاف منهم، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ هود: ٧٠

فعرف أنهم رسل من الله وملائكة قادمين لإهلاك قوم لوط الفاسقين، وسمِعَتْ سيدتُنا سارة الواقفةُ وراء الستر وهي القائمة على رؤوس الأضياف، سمِعَتْ ذلك فضحكت استبشارا أن الله سيعذب أولئك القوم الفاسقين، فجاءتها البشرى فورا بالحمل والولادة والذرية، ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ هود: ٧١

أيْ ضحكت أولا قبل البشرى، وذلك للنصر الرباني على القوم الفاسقين.

﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ هود: ٧١

أي سيُولَد إسحاق من سارة ويكبر ويأتي بابن أيضا هو يعقوب، وبعد أن وُلِدَ يعقوب عليه السلام في فلسطين ونشأ فيها، خرج منها إلى منطقة حران خوفا من أخيه التوأم عيسو، ليعيش عند خاله لابان. وفقًا لرواية التوراة خاف يعقوب من أخيه عيسو بعد أن حصل على البركة الأبوية من أبيه إسحاق (عليه السلام).

«فَقِيلَ لِرِفْقَةَ عَنْ كَلاَمِ عِيسُو ابْنِهَا الْكَبِيرِ، فَأَرْسَلَتْ وَدَعَتْ يَعْقُوبَ ابْنَهَا الصَّغِيرَ، وَقَالَتْ لَهُ: هُوَذَا عِيسُو أَخُوكَ مُتَسَلٍّ عَنْكَ بِأَنْ يَقْتُلَكَ. فَالآنَ يَا ابْنِي اسْمَعْ لِقَوْلِي، وَقُمْ اهْرُبْ إِلَى لاَبَانَ أَخِي إِلَى حَارَانَ» (سفر التكوين ٢٧: ٤٢-٤٣).

«فَذَهَبَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ وَذَهَبَ نَحْوَ حَارَانَ» (سفر التكوين ٢٨: ١٠).

وفي حَـرَّان تـزوج بنـاتِ خالـه الاثنتـين: ليئـة وراحيـل، بعـد أن رعـى لخالـه الغـنم سـبع سـنوات، ثم تـزوج يعقـوب بالإضـافة إلى ذلـك جاريتيهمـا زِلفة وبلهة بحسب العرف السائد آنذاك.

وأنجـب منهمـا ومـن جاريتيهمـا، أسـباط بـني إسـرائيل الـ١٢، ووُلـدوا جميعـا في حـران عـدا بنيـامين، ثم بعـد مـدة عـاد إلى فلسـطين مـع أولاده، مصـالحًا لأخيـه عيسـو، واسـتقر هنـاك مـع أبنائـه، ومـنهم النـبي يوسف (عليه السلام).

وفي فلسـطين بعـد عـودة يعقـوب مـن حـران إلى أرض كنعـان، وُلـد ابنـه بنيـامين، وتوفيـت راحيـل بعـد ولادة ابنهـا الثـاني بنيـامين قـرب بيـت لحم.

فكان أولاد يعقوب الاثْنَا عشر من أَربع نسْوَة وهم كالآتي:

- رأوبين، شَمْعُون، لاوي، يهوذا، يسّاكَرُ، زبلون - وأمهم ليئة.
- يُوسُف عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام، بِنْيامِين - وأمهما راحيل.
- دَان، نفْتالي - وأمهما بِلْهة جَارِيَة راحيل.
- جاد، أُشير - وأمهما زِلفة جَارِيَة ليئة.

وَهَؤُلَاء الْأَوْلَاد الإثنا عشر هم أصل الأسباط الإسرائيليين.(١)

---

(١) موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة (ص: ٢٤٦)

أسماء اليهود.

وقد أطلق عليهم عدة أسماء فسموا بالعبرانيين. وَقد اخْتلف فِي أصل هَذِه التَّسْمِيَة على أَقْوَال.

فالتَّوْرَاة تقول إنَّهَا نِسْبَة إِلَى (عَابِر) أَو (عيبر) وَهُوَ الْجد الْخَامِس فِي سلسلة نسب إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام.

أو أنها مشتقة من هجرتهم من كلدانَ إلى كنعان حيث عبروا النهر – نهر الفرات أو نهر الأردن فسُمُّوا بالعبرانيين .

ويقابل هذه التسمية عند المصريين القدماء كلمة Habiru. وعند البابليين Khebirru ولو أن هذه وتلك تعني . في رواية ، البدو أو اللصوص أو المرتزقة كما وصفهم أعداؤهم في كنعان، إشارة إلى طبيعتهم كرُعاة متخلفين حضاريا بالنسبة لهم.

وَلم ترد هَذِه التَّسْمِيَة فِي الْقُرْآن الْكَرِيم، وَإِنَّمَا وَردت فِي السّنة النَّبَوِيَّة الصَّحِيحَة.

من حَدِيث عَائِشَة رَضِي الله عَنْهَا وَفِيه: "فَانْطَلَقت بِهِ أي النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَت بِهِ ورقة بن نَوْفَل بن أَسد بن عبد العزى – ابْن عَم خَدِيجَة – وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّة، وَكَانَ يكْتب الْكتاب العبراني، فَيكْتب من الْإِنْجِيل بالعبرانية مَا شَاءَ الله أَن يكْتب"(١)

(١) رواه البخاري (برقم :٣)

وأما تسميتهم ببني إسرائيل فنسبة مباشرة إلى اسرائيل ، أي يعقوب عليه السلام .

وإِسْرَائِيل هُوَ نَبِي الله يَعْقُوب عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام بِدَلِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾ آل عمران: ٩٣

قال الشوكاني في فتح القدير: اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ إِسْرَائِيلَ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ومعناه عبد الله؛ لأن (إسرا) فِي لُغَتِهِمْ: هُوَ الْعَبْدُ وَ(إِيلُ) هُوَ اللَّهُ، قِيلَ: إِنَّ لَهُ اسْمَيْنِ، وَقِيلَ: إِسْرَائِيلُ لَقَبٌ لَهُ.[1]

وبِمَا رَوَاهُ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا فِي حَدِيثٍ طَوِيل - أَنّ عِصَابَة مِن الْيَهُود جَاءَت إِلَى رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم تسأله - وَفِيه: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "أَنْشُدُكُمْ بِاللَّه الَّذِي أنزل التَّوْرَاة على مُوسَى صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، هَل تعلمُون أَن إِسْرَائِيل يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام مرض مَرضا شَدِيدا وَطَال سقمه فَنَذر لله نذرا لَئِن شفَاه الله تَعَالَى من سقمه ليُحَرِّمَنّ أحب الشَّرَاب إِلَيْهِ وَأحب الطَّعَام إِلَيْهِ، وَكَانَ أحب الطَّعَام إِلَيْهِ لُحْمَان الْإِبِل، وَأحب الشَّرَاب إِلَيْهِ أَلْبَانهَا؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نعم، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.[2]

---

[1] فتح القدير للشوكاني (١/ ٨٧)

[2] رواه أحمد (برقم: ٢٤٧١) وغيره

أما التسمية باليهودية فقيل: من (التهوّد) وَهِي التَّوْبَة، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى حِكَايَة عَن مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْك﴾. أي تُبنا. وَقَالَ أَبُو عَمْرو بن الْعَلَاء: لأَنهم يتهوّدون – أَي يتحركون – عِنْد قِرَاءَة التَّوْرَاة.

وقيل نسبةً إلى يهوذا. وهُوَ الابْن الرَّابِع ليعقوب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام وَنُسِبَ إِلَيْهِ سِبْطٌ من الأسباط الاثْنَيْ عشر، ثمَّ أُطلِق اسْمه على المملكة الجنوبية مملكة يهوذا لِأَن مُلُوكهَا كَانُوا من سِبْطِ يهوذا.

وتمييزاً لَهَا عَن مملكة إِسْرَائِيل الشمالية وفيهَا الأسباط الْعَشْرَة، وحينما تَشَتَّتَ الأسباط وأُخِذَ سبط يهوذا إِلَى السَّبي البابلي فقد توسع مَعْنَاه، فَصَارَ يَشْمَل جَمِيعَ من رجَعُوا من الأَسْر من بني إِسْرَائِيل، ثمَّ صَار يُطلَقُ على جَمِيع الْيَهُود المشَتَّتِين فِي الْعَالَم.[1]

فتدل على أبناء يهودا أحد أبناء يعقوب، الذين أصبحوا يمثلون البقية المهمة من بني اسرائيل بعد الأَسْر البابلي كما سيأتي بيانه، فصارت تطلق فيما بعد على الاسرائيليين جميعا .

۞ إقرار اليهود بأنهم نسل زنا المحارم!!

تَذْكُر التوراة لجَدّهم يهوذا قصة مرذولة مع ثامار زوجة ابنه، وردت في سِفْر التكوين الفصل ٣٨.حيث تقول القصة إن يهوذا تزوج امرأة كنعانية وأنجب منها ثلاثة أولاد: عَير، وأونان، وشَيلة.

---

(١) موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة (ص: ٢٤٢)

فلما كبر عَير زوَّجه أبوه بثامار، ولكن عَير هذا كان شريرًا، فأماته الرب. وعلى حسب الشريعة اليهودية فإن الأخ إذا مات، وجب على أخيه أن يتزوج امرأته، والأبناء الذين ينجبهم يُنسبون إلى الأخ الميت.

فأمر يهوذا ابنه أونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها، وأقم نسلًا لأخيك. فكان أونان يباضع ثامار، ويُفسد على الأرض. يعني كان يفرغ منيه على الأرض، من أجل ألا تحمل منه.

فغضب الرب على أونان فأماته. فتشاءم يهوذا من ثامار وخاف إنْ زوَّجها من ابنه المتبقي أن يموت أيضا. ففكر في حيلة يصرفها بها، فقال لها: اذهبي فاقعدي في بيت أبيك حتى يكبر ابني شَيلة فأزوجك منه.

ولكن بعد فترة من الزمن، ماتت زوجة يهوذا. وكل ذلك وثامار قابعة في بيت أبيها، منتظرة شَيلة ليكبر. وفي يوم من الأيام، كان يهوذا ذاهبًا ليَجُزَّ صوف غنمه.

فأرسل بعض الناس الخبر لثامار، فلبست برقعًا وجلست في مدخل المدينة في طريق يهوذا. فحسبها زانية وقال لها: "هاتي أريد أن أعاشرك" فقالت له: وكم تدفع مقابل ذلك؟

قال لها: سأدفع لك جديا من قطيع أغنامي. فطلبت منه رهنًا. فأعطاها عصاه وخاتمه وعمامته، ففعلا فعلتهما، ثم أرسل لها يهوذا بأجرتها مع صاحب له، من أجل أن يسترد الرهن.

لكنه لم يجد ثامار بعد البحث الطويل، ومرت ثلاثة أشهر فبدأت أعراض الحمل تظهر عليها، فوصل الخبر ليهوذا بأن امرأة ابنه زنت فأمر بحرقها، فلما أخرجوها ليحرقوها، أرسلت رسالة ليهوذا: أنا حامل من صاحب العصا والختم والعمامة، فعرف غلطته وقعد صامتا، فلما جاء موعد الولادة، ظهرت أنها حامل بتوأمين، هما فارَس وزارح، اللذين من نسلهما جاء ملوك اليهود، على حسب زعمهم.[1]

۞ كيف وجد اليهود فلسطين ؟

وجدوها أرض كنعان أساسا، نسبة إلى سكانها الكنعانيين . والكنعانيون هم أول من سكن فلسطين وقد انتقلت كنعان من اليمن وغرب الجزيرة إلى الشام في عدة موجات.

منها موجة عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد . - في عهد سبأ بن يشجب وموجة ثانية كبيرة عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد . فانتشرت كنعان في أرجاء الشام وسُمِّيَت باسمهم أرض كنعان.

وكان منهم بنو خوي بن كنعان : بأعالي الحجاز إلى الكرك والشوبك بفلسطين، وبنو يبوس بن كنعان: بالقدس وما جاورها من فلسطين، وبنو عرفان بن كنعان : بنابلس. وبنو حبيب بن كنعان بالخليل.

[1] انظر سفر التكوين(الإصحاح: ٣٨)

وبنـــو ســـنا ابـــن كنعـــان : بِطَـــرابْلُس، وبنـــو حمـــاهْ ابـــن كنعـــان : بمنطقـــة حمـــاهْ في ســـوريا، وينـــو جـــرجيس ابـــن كنعـــان : بمنطقـــة كـــركميش بأعـــالي سوريا إلى جهة عمورية.

وقد أسست قبائل كنعان فيما بعد مملكة إبلا الكنعانية بالشام، في الألف الثالث قبل الميلاد ، وشملت كل أرجاء الشام .

إلى جانـــب الكنعـــانيين في فلســـطين كـــان ثمـــة كوكبـــة أخـــرى مـــن القبائـــل الســـامية الصـــغرى كالأيـــدوميين والعمـــونيين والمـــؤابيين علـــى تخـــوم أرض كنعان.

وهنـــا يظهـــر اللغـــز الغـــامض الـــذي حـــير العلمـــاء لعقـــود وهـــو ظهـــور شـــعوب جديـــدة بشـــكل مفـــاجئ في هـــذه الأرض، وهـــي كمـــا قـــالوا: شعوب جديده غازية لا يعلمون عنها شيئا ولا عن أصلها.

ومـــن أهـــم هـــذه الشـــعوب شـــعب اسمـــه فلســـطي أو بلســـتي ظهـــر فجـــأة في غـــزة وعســـقلان وأســـدود وغيرهـــا. ولعـــدم معرفـــة أصـــل هـــذه الشـــعوب الجديـــدة أطلقـــوا عليهـــا افتراضـــيا اســـم شـــعوب البحـــر لأنّ غـــزواتهم وقتهـــا كانت تأتي عن طريق حملات بحرية.

ثم قـــالوا إن هنـــاك تشـــابها مـــع شـــعوب بحـــر إيجـــا في اليونـــان فلنفـــترض أنهـــم مـــن الأناضـــول أو اليونـــان حـــتى يوافـــقَ كلامُهـــم كـــلامَ الكِتَـــابِ المقدس الذي يقول إنهم من كرييت اليونانيَّة.

ويرون أن هذه الافتراضات افتراضات منطقية حتى أصبحت عند الناس من المسلمات ولو أنهم راجعوا كتب التاريخ الإسلامية فقط لوجدوا الإجابة واضحة وصريحة.

ففي حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد كان الملك الشهير أفريقيش الذي حمل حملاته الشهيرة فدخل الشام وكان يسكن في جنوبها بقايا من الكنعانيين الأوائل الذين قدموا مع الملك اليماني سبأ الأول.

فأوطن مكان الكنعانيين الأوائل جملة ممن كان معه من عرب اليمن والجزيرة العربية من القبائل القحطانية العربية، فترك في هذه الأرض أرض كنعان قسما من العرب القحطانيين الذين جاؤوا معه من الجزيرة العربية.

وكان هؤلاء القحطانيون العرب الذين وضعهم في غزة وما حولها بجوار أبناء عمومتهم الكنعانيين القدماء هم شعب الفلسطي الذي ظهر فجأة، اللغز المذكور عند علماء الآثار اليوم.[1]

وقد كان على العبرانيين ليستقروا بأرض كنعان أن يحاربوا الكنعانيين.

ولكنهم لم يسيطروا إلا على التلال والأراضي الفقيرة الداخلية، وظلت السهول الغنية في أيدي الكنعانيين الأصليين.

وأغلب تاريخ اليهود في تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاقي يدور حول الحرب والغزو، إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم غالبا، وعلى يد الفلسطينيين أقوى أعدائهم.

---

[1] انظر الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير

حتى إذا كان منتصف القرن ١٧ قبل الميلاد ، أي بعد ١٠٠ سنة فقط من هجرة إبراهيم ، هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور ، وفيها استقروا بأرض جاشان وادي الطميلات والشرقية نحوا من ٣٥٠ سنة.[1]

---

[1] اليهود انثروبولوجيا (ص:٥٧)

اليهود في مصر

بدأت قصة بني إسرائيل في مصر بعد مجيء يوسف عليه السلام إليها، ودعوة والده وإخوته للمقام فيها، بعد ما تمكّن في الحكم، وأصبح الرجل الثاني فيها؛ وقصّت علينا سورةُ يوسف الأحداثَ العجيبة والمثيرة التي جرت ليوسف عليه السلام، منذ أن كان طفلاً صغيراً يكرهه إخوته الكبار ويغارون منه، إلى أن صار رجلاً عظيماً محفوفاً برعاية الله عز وجل.

وبالاستناد إلى ما يُعرف بـ"نص حتشبسوت"، فالقرن السابع عشر قبل الميلاد، كان موعدًا لدخول بني إسرائيل إلى مصر واستقرارهم بها في أرض جوش أو جاسان التي منحها يوسف للأسباط.

وبعد أن التقى يوسف إخوته وتعرف إليهم، طلب منهم أن يرجعوا إلى أرض كنعان ليأتوا بوالده يعقوب وكانت تلك بداية حياة استمرت ٤٣٠ عامًا على أرض مصر.

والمدة الأولى التي أمضاها بنو إسرائيل في مصر حتى موت الملك الذي كان يعرف يوسف ثلاثون سنة، لم يكن فيها ثمة اضطهادات لبني إسرائيل.

ثم جاء الفرعون الذي بدأ معه الاضطهاد الذي استمر مئات السنين، واعترف بعض النُقَّاد بأن هذا الأمر لا يمثل ثمة مشكلة فالدكتور موريس بوكاي الذي طالما هاجم الكتاب المقَدَّس يقول:

يبدو أنه يمكننا دون خطر الخطأ الكثير أن اليهود مكثوا بمصر طيلة ٤٠٠ أو ٤٣٠ سنة.[(١)]

ولقد هاجر يعقوب (عليه السلام) ومن معه من الأبناء وزوجاتهم والأحفاد إلى مصر بدعوةٍ من ملكها، ومن نائبه يوسف (عليه السلام).

جاء في سِفْر التكوين: «فَصَعِدُوا مِنْ مِصْرَ وَجَاءُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ إِلَى يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. وَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: يُوسُفُ حَيٌّ بَعْدُ، وَهُوَ مُتَسَلِّطٌ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَجَمَدَ قَلْبُهُ لأَنَّهُ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ. ثُمَّ كَلَّمُوهُ بِكُلِّ كَلاَمِ يُوسُفَ الَّذِي كَلَّمَهُمْ بِهِ، وَأَبْصَرَ

---

(١) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص:٢٦٤).

الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَهَا يُوسُفُ لِتَحْمِلَهُ، فَعَاشَتْ رُوحُ يَعْقُوبَ أَبِيهِمْ. فَقَالَ إِسْرَائِيلُ: كَفَى! يُوسُفُ ابْنِي حَيٌّ بَعْدُ. أَذْهَبُ وَأَرَاهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ».[1]

ويذكر اليهود في كتابهم أن عدد أنفس بني إسرائيل حين دخلوا مصر سبعون نفساً. وكانوا شعباً مؤمناً بين وثنيين، فاستقلوا بناحية من الأرض أعطاهم إياها فرعون مصر، فعاشوا عيشة طيبة زمن يوسف عليه السلام.

وكان عمر يعقوب مائة وثلاثين سنة، وقد استقبله ابنه يوسف استقبالاً حافلاً، ثم استقبله ملك مصر -وكان من الهكسوس آنذاك- ورحّب الملك بوالد يوسف وإخوته أجملَ ترحيب.

وعاش يعقوب في أرض مصر مُعَزَّزاً مُكَرَّماً سبع عشرة سنة، حتى صار مجموع عمره مائة وسبعاً وأربعين سنة، ثم حضرته الوفاة وكان قد أوصى أبناءه بهذه الوصية التي أخبر القرآن عنها في اللحظات الأخيرة من حياته، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ البقرة: ١٣٢ - ١٣٣

[1] الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين ٤٥: ٢٥-٢٨.

۞ حكام مصر الهكسوس.

كان دخول بني إسرائيل مصر في عهد الهكسوس، فالقرآن الكريم، عندما استخدم في سورة يوسف لقب "ملك": ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ﴾ يوسف: ٤٣ في حين أنه يلقب الحاكم الذي عاصر "موسى" بـ "فرعون": ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣﴾ القصص: ٣.

قال ابن عاشور: فَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ بِالْمَلِكِ فِي الْقُرْآنِ دُونَ التَّعْبِيرِ بِفِرْعَوْنٍ مَعَ أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْ مَلِكِ مِصْرَ فِي زَمَنِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِلَقَبِ فِرْعَوْنَ هُوَ مِنْ دَقَائِقِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْعِلْمِيِّ. وَقَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَاةِ إِذْ عَبَّرَ فِيهَا عَنْ مَلِكِ مِصْرَ فِي زَمَنِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السّلام - فِرْعَوْن وَمَا هُوَ بِفِرْعَوْنَ، لِأَنَّ أُمَّتَهُ مَا كَانَتْ تَتَكَلَّمُ بِالْقِبْطِيَّةِ وَإِنَّمَا كَانَتْ لُغَتُهُمْ كَنْعَانِيَّةً قَرِيبَةً مِنَ الْآرَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، فَيَكُونُ زَمَنُ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي آخِرِ أَزْمَانِ حُكْمِ مُلُوكِ الرُّعَاةِ عَلَى اخْتِلَافٍ شَدِيدٍ فِي ذَلِكَ.[1]

فهذا التعبير القرآني الذي يميز بين حاكم مصر في عهد يوسف عن عهد موسى، يؤكد أن يوسف عليه السلام قد وصل إلى مصر في عصر لم يكن فيه الملوك المصريون يتخذون لقب "فرعون" الذي بدأ استعماله في الأسرة الثامنة عشرة. مما يدل على أن يوسف قد عاش قبل هذا العصر، تحديدًا في عصر الهكسوس. وقد وقع خلط كبير

---

[1] التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٠)

عند المؤرخين في قضية الهكسوس. ونرى أن سبب ذلك هو تهميش تاريخ اليمن العظيم ومحاولة طمسه وإخفائه.

وإلا فالقضية واضحة جدا فالملك شمس عاد هو الذي قام بتوجيه جيش إلى بابل وبلاد الرافدين لمناصرة حمورابي ملك بابل والأموريين. وكان الجيش بقيادة شَدَّاد بن عاد.

وتم بسط سيادة الأموريين إلى عيلام في بلاد فارس- شرقاً - وفي سوريا والشام إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً. وأصبح شَدَّاد بن عاد ملكاً في مدينة ماري (تل الحريري) في سوريا.

وكانت مدينة ماري بمثابة عاصمة للإمارات الأَمُورية في الشام والتي منها إمارة حلب الأمورية وإمارة صُوْبَا (أي لبنان حالياً) وإمارة دمشق وغيرها.

وكانت مَلَكِيَّةُ شدادٍ تمتد إلى مصر غرباً.

وفي تلك الفترة ما بين عام ١٧٨٥ وعام ١٧٦٠ قبل الميلاد. بدأ حكم الهَكْسُوس لِمِصْر، والذين يذكر الدكتور محمد أبو المحسن عصفور علاقتهم بالأموريين قائلاً ما يلي نَصُّه:

كان الأَموريون يمثلون الغالبية بين القبائل التي اجتاحت سوريا وسيطرت على مصر وهي التي عُرِفَت باسم الهَكْسُوس. وقد شاع في الدراسات القول بأن الهَكْسُوس قبيلة من البدو الرعاة تسللت إلى مصر وتمكنت تدريجياً من السيطرة على الحُكْم.

ويمكن أن تكون بعض عشائرهم دخلت مصر كذلك بالفعل ولكن الذين سيطروا على مصر كانوا موجة كبيرة منهم، حيث جاء في بردية مانيتون الفرعونية عن الهَكْسوس ما يلي نَصُّه:

كانوا أربعين ألف رجل مزودين بالأسلحة. جاءوا تملؤهم الثقة في النصر وتمكنوا من الاستيلاء على بلادنا ضربة واحدة. وعينوا واحداً منهم اسمه ساليتيس ملكاً على مصر، فنشر الحاميات وبنى مدينة أوريس (أفاريس) شرق الدلتا.

وهذا يقابل ما جاء في كتب التراث بأنه سار شَدَّاد بن عاد إلى مصر وغلب الفراعنة ونزل الإسكندرية وبنى بها مدينة يقال لها: أون. وجاء في الإكليل أنه كان في الإسكندرية حجر مكتوب فيه: أنا شَدَّادُ بن عاد الذي جَنَّدْتُ الأجناد وسَدَّدْتُ بساعدي الواد. (يعني نيل مصر). وكنزتُ كنزاً في البحر ليس يخرجه أحد. ونرى أن أصل ذلك أن شَدَّادَ بن عاد هو الذي شجع ووَجَّهَ الهكسوسَ

فسيطروا على مصر وعينوا الأمير ساليتيس ملكاً على مصر، وأن المدينة التي بناها هي مدينة أوريس (أفاريس) شرق الدلتا، وقام بشق قناة بين نهر النِّيل والبحر الأحمر لتيسير النشاط التجاري بين اليمن ومصر عن طريق البحر الأحمر.[1]

وقد عاش بنو إسرائيل في مصر محفوفين بالتَّكْرِمَة وصنوف الامتيازات، وطاب العيش لهم في أرض الكنانة، وكان يوسف (عليه السلام) يحظى باحترام كبير في مصر، وذكر الله عز وجلّ لنا في كتابه العزيز دعاءً ختامياً ليوسف عليه السلام، فقال تعالى:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾

يوسف: ١٠١

والخلاصة أن الإسرائيليين، على عهد يوسف، عاشوا في مصر في سلام، لكن الأقدار كانت تحفر لهم نفقًا معتمًا مكثوا فيه أكثر من مائة عام.

وكانت حتشبسوت هي التي دقت في نعشهم أول مسمار، إذ تحول الرخاء إلى محنة وعبودية على عهد موسى عليه السلام، والسؤال:

---

[1] انظر الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير

لماذا لم تأت التوراة على أخبار بني إسرائيل ما بين يوسف وموسى؟!

والجواب أن المرحلة الأولى التي دعا فيها يوسف المصريين للإيمان بالله الواحد ونشر الأسباط لعقيدة أنبياء إسرائيل في مصر الشمالية والوسطى، والمرحلة الثانية التي حدثت فيها التدبيرات الإسرائيلية حدت بإخناتون، وأخواله الإسرائيليين، إلى إعلان عقيدة التوحيد، ديانة رسمية لمصر، وجوهر هاتين المرحلتين ونتائجهما يتنافى تماما مع الاستخدامات العنصرية اللاحقة التي بثها كهنة إسرائيل في العقيدة الإسرائيلية التي كانت سماوية وتحولت على أيديهم إلى ديانة وضعية، سُمِّيَت، لاحقًا، بـ "اليهودية"، وبناء عليه تجاهلت أيدي الكهنة العلاقات المصرية الإسرائيلية خلال عهد يوسف والأسباط، وفترة الانتشار الديني حتى ميلاد موسى.

والخلاصة أن الإسلام (أي الإيمان بالله الواحد) قد دخل مصر على يد يوسف عليه السلام، وكان له أتباع ومعابد تقام فيها شعائره، وبعد سقوط حكم الهكسوس على يد الملك أحمس تعامل ملوك مصر، بعد التحرير، مع القبائل الوافدة التي استمرت في العيش بمصر، ومنهم بنو إسرائيل، بتسامح.

لقد استمر هذا الدين حيًّا في العلن، إلى جانب العبادات الوثنية القديمة دون صراع.

بالأسلوب ذاته الذي وضعه يوسف في التعامل مع الديانات الأخرى "وهو التعايش". ومع استمرار الإيمان كان طبيعيًا أن يصبح بنو إسرائيل، هم رجال هذا الدين الذي يقع على عاتقهم نشر الدعوة للحفاظ على دينهم.

وأصبحت، من ثَمَّ "أفاريس" هي قبلة هذا الدين وشطرها يولي المؤمنون وجوههم، وقد استمر هذا الوضع قائمًا إلى أن حدث الاصطدام الأول مع ملوك طَيْبَة في عهد حتشبسوت.[١]

۞ ميلاد إسرائيل.

إزاء الخطر الذي داهم بني إسرائيل ونبه السلطات إليهم كان عليهم أن يعيدوا ترتيب الأثاث فيما كان البيت يحترق، وما حدث أن سلسلة مؤامرات قد جرت أدت ببني إسرائيل إلى عبور النهر نحو الضفة الآمنة.

تبدأ المؤامرات بالأمير الشاب تحتمس الذي كان يعيش في "منف" مع باقي إخوته ولي العهد والأمراء، أبناء الملك "أمنحوتب الثاني".

---

[١] حياة بني إسرائيل في مصر بين حقائق الدين ومصادر التاريخ

وفى منف كان الأمير يتجول بعربته الحربية، فإذا به يلتقي الفتاة الجميلة "موت إم ويا" (Mu-tem-wia) فأحبها وتعلق بها قلبه، وكان وقتها في السادسة عشرة من عمره حين أقام علاقته مع "ويا" وأنجب منها أول أطفاله، وبعد أن أصبح ملكًا أصبحت هي بالضرورة، الملكة، مع أنها لا تنحدر من دم ملكي، وبالتالي أصبح ابنها "أمنحوتب الثالث" ولي عهد لأبيه تحتمس، والفرعون القادم. فقد تزوج تحتمس الرابع من محبوبته وأنجب منها في العام ١٤٠٠ قبل الميلاد، قبل اعتلائه العرش بنحو عامين أو ثلاثة. وصل إلى الحكم، رغم أنه لم يكن وليًا للعهد، وقد تم ذلك بتدبير من كهنة إله الشمس (أي بني إسرائيل). وعاجلت المنية تحتمس شابًا، فخلفه ابنه أمنحوتب الثالث، تحت وصاية أمه، وكان حينذاك في الثانية عشرة من عمره. وفى العام التالي تزوج أمنحوتب من "تي" واحدة من عامة الشعب والدتها "تويا" ووالدها "يويا" الذي تقلد الكثير من المناصب الدينية والإدارية وأصبح له شأن في الدولة. ونقفز على الأحداث فنصل إلى "أمنحوتب الرابع" (إخناتون لاحقًا) الابن الثاني لأمنحوتب الثالث الذي مات دون الخمسين، بسبب انهماكه في الملذات. أمنحوتب هذا أصبح وليًا للعهد ثم تزوج من نفرتيتي "ابنة خاله".. حفيدة يويا وتويا. وقد وصل إخناتون إلى طيبة في

السادسة عشرة من عمره وأقام داخل القصر الملكي الذي بناه أبوه في "ملقاطة" على الضفة الغربية للأقصر، وفى حوالي العام الخامس أو السادس من حكمه أعلن إخناتون عقيدة التوحيد.. آتون الإله الواحد الأحد للدولة. وانتقل مع زوجته نفرتيتي وكبار رجال الدولة إلى عاصمة البلاد الجديدة "آخت آتون" (تل العمارنة)، مصدرًا أوامره بإغلاق المعابد الوثنية ومحو أسمائها وعلى رأسها معابد آمون ومحا لفظ "الآلهة"، ليحل محلها الإله الواحد. وكان "يويا" (الإسرائيلي) و"موت إم ويا" الإسرائيلية يقفان وراء المؤامرة التي انتهت بوصول تحتمس الرابع إلى الحكم. لقد كان تحتمس وسيلة عَبَرَ عليها بنو إسرائيل نحو أهدافهم ومنها.. فرض العقيدة الإسرائيلية وانتزاع النفوذ والسيادة الدينية، وكذلك أموال وأوقاف المعابد، وإعداد فلسطين للهجرة وسلب السيادة المصرية عنها.[1]

۞ سقوط الآتونية.

في موضع آخر على خشبة المسرح كانت تجري، من وراء الستار، مؤامرات أخرى أدت إلى انحسار المد المصري خارج الحدود. فداخل البلاط المصري في "آخت آتون" كان الموظف المسئول عن الشئون الخارجية وتلقي اتصالات المستعمرات رجلاً إسرائيلياً اسمه "دودو"،

---

[1] حياة بني إسرائيل في مصر بين حقائق الدين ومصادر التاريخ

الذي كان يلقب بالفم الأعلى للملك إخناتون وخادم حجرته الخاص. هذا الرجل كان يفصل في رسائل الأمراء في سوريا وفلسطين ويصدر إليهما وإلى غيرهما من أمراء المستعمرات الأوامر. ومن نتائج تلك الرسائل المتبادلة بين "دودو" وبين هؤلاء الأمراء، وجود اتفاق بين "دودو" وبين هؤلاء على سحب النفوذ المصري من سوريا وتركها فقط تحت ضربات "الحيثيين" وجانب من الاتفاق ينص على أن يتعاون العبريون مع الحيثيين في رد أي اعتداء مصري، أو حتى محاولة مصرية لاسترداد نفوذها، مستقبلاً في آسيا. وخرج بنو إسرائيل من مؤامراتهم هذه بخفي حنين، فقد سقطت الآتونية وبعدها بسنوات قليلة سقط الملك "آي" زعيمهم في مصر وانكشفت مؤامراتهم، فصاروا فريسة للاضطهاد حتى جاءهم الخلاص على يد موسى عليه السلام.[1]

۞عصر الانتقام والاستبعاد.

حيث اكتشف "حور محب" مؤامراتهم، فنكل بهم شر تنكيل، حتى الأطفال الذكور لم يسلموا منه. وفي هذه الآونة ولد موسى، ومن

[1] حياة بني إسرائيل في مصر بين حقائق الدين ومصادر التاريخ

ثم خافت عليه أمه فوضعته في تابوت حيث حمله النهر إلى بيت الفرعون، إلى آخر ملابسات القصة المعروفة.

وقد كانت بداية حكم الفرعون حور محب ١٣٢١ قبل الميلاد، وهو تاريخ بدء تعذيب بني إسرائيل.

وبعد أن انتهت فترة حكم حور محب كانت سنوات حكمه الانتقالية وما صاحبها من قتل وبطش وتشريد كافية لأن تؤكد لحكام الأسرة التاسعة عشرة أن عقيدة إخناتون قد أصبحت أثراً بعد عين، وأن أتباعه قد انتهوا، وانفضت هذه السيرة بكل أحداثها، وإذا كان المؤمنون المصريون قد اختفوا إلا أن بني إسرائيل بعد كشف أمرهم سُحبت منهم جميع ميزاتهم القديمة التي كانت معهم منذ عهد يوسف عليه السلام، واستمر تسخير رجالهم في أعمال البناء وصناعة الطوب واستغلال نسائهم محظيات وجواري ومتاع في قصور الملوك وكبار الموظفين، وكان هذا هو الوضع القائم حتى حان موعد مصر مع نبي الله موسى عليه السلام وعاد إليها قبل انتهاء عهد الفرعون رمسيس الثاني ومعه شقيقه هارون حاملاً رسالة السماء، وكان الغرور قد أوصل هذا الفرعون إلى حد تأليه ذاته، فأنكر دعوة موسى وسخر منه، لكن موسى أتى بمعجزاته في

بلاطه، ثم كان انتصار موسى على سحرة مصر في يوم النزال الذي أعده له الفرعون في يوم العيد، وصور القرآن الكريم ذلك المشهد العظيم لإيمان السحرة وسجودهم لرب موسى وهارون، وانتقل الخبر العظيم مدوياً في أنحاء العاصمة، ومنه إلى مدن وقرى مصر، واهتزت من جديد قلوب المؤمنين التي توارت منذ زمن. واستخلاصاً من الرواية الدينية وتأييد الوثائق، يمكن تقسيم مراحل التعذيب، وفقاً لطبيعة الانتقام، إلى فترتين:

الأولى: بدأت فور القضاء على حكم"آي" واعتلاء "حور محب" العرش. حيث قام الفرعون الجديد، بمعاونة الجيش، بالقبض على القادة والكهنة المؤمنين بعقيدة التوحيد وإعدامهم للقضاء على تلك الديانة التي استمرت ١٥٠ عاماً، ومحوها من قلوب أتباعها.

والفترة الثانية: اقتصر فيها التعذيب على تسخير بني إسرائيل في صناعة الطوب وأعمال البناء للملك، وقد استمرت في عصر سيتي الأول ورمسيس الثاني، إلى أن خرج بهم منها سيدنا موسى من الجيل السابع بعد إبراهيم في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وذلك هرباً من اضطهاد فرعون الذي استبعدهم. وفي التوراة أن قوة هذا "الخروج" كانت ٦٠٠ ألف نسمة. وكانت العودة إلى أرض كنعان

الهدف، غير أن خوف اليهود من الكنعانيين "العمالقة" أدى بهم إلى المعصية فعقاب التيه في سيناء ٤٠ سنة.[١]

(١) https://m.ahewar.org/s.asp?aid=870165&r=0

الخروج الكبير

إن خروج بني إسرائيل من مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام يعد حدثًا محوريًّا في التاريخ، حيث سجلته الديانات السماوية الثلاث.ورغم أهمية هذا الحدث التاريخي، إلا أن الكتب والوثائق التاريخية لم تذكره، في حين بقيت نصوص الكتب المقدسة مصدرًا أساسيًّا، والذي زوَّد المؤرخين وعلماء الدين بالأحداث التي جرت في تلك الفترة.

والملاحظ أن عددًا من المؤرخين على اختلاف توجهاتهم فإنهم رأوا أن هذه الحادثة ليست لها قيمة تاريخية، وبالتالي شكّكوا في حدوثها أصلاً.

إن المؤرخين المعاصرين، ومنهم مثلاً علماء المصريات والآثار القديمة، كان موقفهم متحفظًا، بل لدى بعضهم موقفٌ متشدِّد في الأخذ

بروايات النصوص الدينية التي روت وقائع خروج بني إسرائيل من مصر، وحادثة التِّيه.[1]

ووجد هذا الرأي تأييدًا بين بعض علماء اليهود، فاعتبروا أن حادثة خروج العبرانيين من مصر لم تقع بالأساس.

إضافة إلى القضايا الخلافية الأخرى بين الباحثين الأثريين والمؤرخين، حيث شكَّل الإطار الجغرافي والزماني جدلاً كبيرًا بين الباحثين.

ومن ذلك أن أغلبية الباحثين المؤمنين بحادثة الخروج يؤكدون أن الخروج تم من مصر نحو فلسطين، في حين رفض بعض الباحثين ذلك مؤكدين أن اليهود كانوا موجودين في منطقة تعرف باسم "مصريم" في شبه الجزيرة العربية، وأن تلك المنطقة تختلف كليًّا عن دولة مصر الحالية.

أما عن المسار الجغرافي للرحلة، فلقد حاول علماء الآثار القيام بعملية استكشاف وبحث أثري واسع في منطقة البحر الأحمر وسيناء، لكنهم حسب التقارير المتاحة لم يتمكنوا من تحديد المسار بدقة، وذلك بالرغم من أن سفر الخروج يحدد ٥٠ مكانًا كانت ممرًّا

[1] مجلة الحكمة للدراسات التاريخية

عبرها بنو إسرائيل نحو أرض فلسطين، إلا أن الباحثين لم يتعرفوا بدقة على أكثر هذه الأسماء، وظلت مجهولة لديهم إلى الآن.

إجمالاً، فقد مروا بثلاث صحاري حسب النصوص التوراتية: "صحراء شور"، ووصلوا "إيليم" ثم "صحراء سين"، وخيموا في "ريفيديم". ويذهب الباحثون في تحقيقاتهم أن بني إسرائيل ارتحلوا بعدها إلى برية سيناء، ومكثوا بمقابلة الجبل، حيث صعد موسى عليه السلام لمقابلة الرب على قمة الجبل.

وتذكر النصوص السابقة أن جبل سيناء هو اسم الجبل الذي أوحى فيه الله لموسى عليه السلام، وأن برية سيناء هي تسمية المكان الواقع بجبل سيناء، وهي بعيدة عن مصر، وهي آخر صحراء في مسيرتهم.

هذه الأماكن تبدأ برعمسيس شرق مصر إلى صحراء موآب، أي الضفة الشرقية من نهر الأردن مقابل أريحا الفلسطينية، وفي هذه الصحراء توفي هارون وموسى عليهما السلام، وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل لدخول أرض كنعان. وهذا المسار يرجحه أغلب الدارسين، حيث ينطلق عبر صحراء سيناء الجنوبية إلى عصيون جابر، على خليج العقبة ثم إلى عرافوت موآب.

والملاحظ أن هذه المسارات المفترضة لا تتنافى مع ما ورد في القرآن الكريم.[1]

وإذا اعتبرنا موقع مصر التي في الجزيرة العربية لوجدناها أبعد إلى الشمال، ومن ثَمَّ لم يعبروا أيَّ بحر، وتكون قصة العبور كلها مُختلَقة.

وفي هذا تكذيب للقرآن الكريم.

ولا نستطيع أن نَصْرِفَ النظر عن المسألة الأساسية .. وهي اتفاق القرآن الكريم والتوراة على أنَّ ملوك مصر التي خرج منها بنو إسرائيل كانوا يُسَمَّوْن فراعنة، وكانوا يُحَنِّطون جثث موتاهم، وهذا ينطبق على مصر الأفريقية وحدها.

وبعض الناس يحاولون أن يثبتوا من شهادة التاريخ السلبية أو الإيجابية أنَّ بني إسرائيل لم يدخلوا مصر ولم يعيشوا فيها أصلاً.

ويُبْنَى استدلالهم على الأمور التالية:

عدم ذكر بني إسرائيل في الآثار المصرية القديمة.

والجواب: أنه ليس ضروريًّا أن يُعرف كلُّ شيء بالآثار القديمة.

---

[1] المرجع السابق

فلو بادت أمة متقدمة من هذا الزمن المتحضر .. فهل يمكن معرفة تفاصيل تاريخهم الكامل: عددهم وعاداتهم وعلومهم وفنونهم ودياناتهم ومذاهبهم من دراسة آثار مدينة أو مدينتين منها؟ فإن لم يكن ذلك ممكنًا .. فما أسخف الظن بأنه بالحفر والتنقيب في بلد أو بلدين يمكن معرفة تفاصيل دقيقة كاملة عن أحوال أمة مضت منذ آلاف السنين!

إنه أمر مخالف للعقل، ولو بنينا عليه علمًا لكان ذلك استهزاء بالعلم نفسه. إنَّ الحصول على الشهادة الأثرية الإيجابية ذو قيمة بلا شك وإن كان فيها احتمال خطأ كبير.

ولكن القول بأن قومًا لم يعيشوا في مكان لأننا لم نعثر بعد على آثار لهم قولٌ خاطئ مخالف للعقل. كان الواجب على هؤلاء الكتّاب تجنُّب ذكر ذلك في كتبهم العلمية.

وهذا المنهج الذي يرى في الأركيولوجيا البوابة الوحيدة للنظر التاريخي في أمر الأنبياء، معارض بقصور الأركيولوجيا من جهتين:

١-جهة قلة محفوظات الآثار القديمة، وتشتتها.

٢- وجهة محدودية الجانب التأويلي لفهم الظواهر الحضارية القديمة.

(أي تفسير النصوص أو الرموز أو الآثار القديمة بطريقة ذهنية أو فلسفية) له حدود وضعف عندما نحاول فهم الحضارات القديمة.

بمعنى آخر: لا يكفي أن نفسر الظواهر الحضارية القديمة فقط من خلال التأويل، لأن هذا المنهج قد يغفل عن الأدلة المادية، التاريخية، أو العلمية التي تكمل الصورة.[1]

وأيُّ وزنٍ كان لبني إسرائيل في مصر؟ كانوا يعيشون عبيدًا، ولم تُعْهَد إليهم مسئوليات ذات قيمة حتى يكون لهم ذكر في الآثار التاريخية. وأبرز ما كان يميزهم هو دينهم المختلف عن دين المصريين.

وفي مثل هذه الظروف لم يكن هناك داعٍ لذكر اسم بني إسرائيل في الآثار التاريخية. وإن كان لهم هناك ذكر فإن الآثار لا تعطي إلا نُتَفًا من التاريخ وليس كلَّ التاريخ.

فسكوتها عن ذكرهم لا يكون دليلاً على عدم مكوث بني إسرائيل في مصر. ويعترف هؤلاء المنكرون أنفسهم بأن اسم "موسى" موجود في اللغة المصرية القديمة، ومعناه "الابن". (موسى والتوحيد، سيجموند فرويد). وإذا كانت هذه دعوى صحيحة فقد ثبت أنَّ

---

(١) الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي

بني إسرائيل عاشوا في مصر الأفريقية، وطال عيشهم هناك حتى تَسَمَّوْا بالأسماء المصرية.

وهؤلاء يَدَّعُون أيضًا أنَّ أسماء بعض أصحاب موسى - مثل "حور" التي وردت في التوراة - أسماءٌ مصرية؛ ولو صحَّ هذا لكان دليلاً أيضًا على عيش بني إسرائيل في مصر ثم خروجهم منها.

والقرآن الكريم قد ألقى الضوء على عقيدة المصريين باتصاف ملوكهم بصفات الإله. وقد تأكد هذا الأمر أيضًا باكتشافات الآثار المصرية القديمة.

تؤكد كلُّ هذه الآثار وجود علاقة عميقة بين إسرائيل ومصر في ذلك الزمن. وأما ما يُثار اليوم من شبهات فسببها أنَّ القائلين بها يريدون أن تكون كلُّ هذه التفصيلات متطابقة تمامًا مع ما وجدوه من معلومات من الاكتشافات الأثرية الناقصة أو في كتب التاريخ الناقصة.

وهذه مُطالَبَةٌ مُخالِفَةٌ للعقل.

ولم يَرِدِ أيُّ ذكر في الكتاب أو السنة أن مصر أو المسجد الأقصى أو طور سيناء في جنوب غرب الجزيرة العربية، وأمرٌ مُهِمٌّ كهذا

ومسرح مُهِمٌّ من مسارح نزول الكتب من الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن لا يرد عليه أيُّ شيء في الكتاب.

وقد ورد ذكر مصر في القرآن خمس مرات بصيغة صريحة، وورد بصيغة غير صريحة أكثر من ذلك.

فكيف لم يبين القرآن الكريم أو السنة النبوية ولا مرة واحدة أن مصر المذكورة في القرآن والسنة لا يراد بها مصر المعروفة في زمن نزول القرآن، وإنما المراد مصرَ جزيرةِ العرب؟! فعدم ورود أي دليل أو بيان يبين أن أرض مصر في جزيرة العرب يعطي دلالة قاطعة على أن المراد بمصر هي مصر المعروفة في زمن نزول القرآن ووجود النبي صلى الله عليه وسلم، وبناء على هذا تعامل الصحابة الكرام والتابعون.

ومن الآيات التي تدل على مصر الموجودة اليوم، قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٥١﴾ الزخرف: ٥١

وهذه الآية وإن حاولوا صرفها عن ظاهرها وبيان أن النهر المراد هنا هو وادٍ في غرب الجزيرة العربية، إلا أن المفسرين تواردوا على ذكر نهر النيل، ولا يعرف نهر بهذا الاسم إلا المعروف بمصر المعروفة.

وإذا تأملت قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ غافر: ٣٦، عرفت الحقيقة كما هي.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ طه: ٧٧

وقد كان الخروج بعد الآيات التسع والنصح المستمر، وأن فرعون كان يَعِدُ ولا يفي، ثم أراد التخلص من موسى ومن معه.

فقد ورد بعد ذكر الآيات التسع في سورة الإسراء:

﴿فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ١٠٣﴾ الإسراء: ١٠٣

فمبادرة الشر كانت من فرعون.

وقد أراد أن يُحْدِثَ سَبْقًا في الانقضاض على موسى وأتباعه، وعَدَّهم شرذمة قليلة يمكن القضاء عليها بسهولة ودون كبير عناء؛ لأنه حشد من الجنود أضعاف أعداد خصمه.

لكن الله كان له بالمرصاد، فأوحى إلى موسى كاشفًا له غدر فرعون وتدبيره، وكان موسى قد أعدَّ لأمر الهجرة عُدَّته؛ استعدادًا للإذن من الله تعالى في المغادرة.

فكان منها التميز في السكنى عن القبط: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ يونس: ٨٧

بحيث اتفقوا على علامة سرية تميِّز بيت الإسرائيلي عن القبطي؛ لكي يسهل تبليغهم الأوامر، إضافة إلى جعلها للصلاة والعبادة والدعاء.

فكانت لهم إشارة تُوضَع على الباب، فيعرفون أن أهل هذا البيت قد خرجوا.

ومنها استعارة نساء الإسرائيليين من نساء القبط ما عندهن من زينة وحُلِيٍّ، ليوهموهم أنهم أخذوها للتزين للعيد، وأنهم ماكثون في البلد غير مغادرين له.

هذا ما بلغ به قوم موسى آخذين بالأسباب، والله سبحانه يدبر لهم أمر النجاة والخلاص من فرعون، فأوقع بينهم في ليلة الخروج معوقات كثيرة شغلهم بها، فقد استجيبت فيهم دعوة موسى بحرمانهم من مقومات شدتهم وبأسهم من الأموال:

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يونس: ٨٨

فشغلهم الله بطمسها حجارة على صورتها.

وجاء الإذن من رب العالمين: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ الشعراء: ٥٢- ٥٣

فاندفع بنو إسرائيل تحت جُنح الظلام من بيوتهم، فكان كلامهم الهمس والتخاطب بخفيض الصوت، ومُنِعُوا من المناداة بعضهم لبعض.

بَيْدَ أن عيون فرعون التقطت هذه الإشارات والهمسات، فأخبروا فرعون، ولما وصله الخبر طار صوابه؛ لقوة تدبيرهم، ومَكْنَة أمرهم، وما استعملوه من الخداع والتمويه، فأرسل على وجه السرعة يستدعي جنوده من مدن مصر ليحشد ما استطاع من قوة ضاربة يؤدب بها بني إسرائيل، فكان حشده -كما ذكر ابن كثير - ألف ألف وستمائة ألف، وكان عدد المهاجرين مع موسى ستمائة ألف، وسار موسى بقومه ليلًا باتجاه سيناء في غير طريق القوافل، وبعد سفر مُضْنٍ وجهد أيام في الطريق، كانت المفاجأة المرعبة لبني إسرائيل، إنه البحر، فماذا هم صانعون؟ وها هو ذا فرعون يطلع بجنوده مع الصباح وإشراقة شمس ذلك اليوم، فهو يحيط بهم من ورائهم، والبحر من أمامهم، فكان الخوف، وكانت الندامة من الغالبية العظمى على خروجهم مع موسى، وقد شق عنان السماء بكاء الأطفال واستغاثة النساء، وبلغت القلوب الحناجر، وشخص أمامهم الموت الكئيب في هذا المنقطع من الأرض.

وتخيَّل بنو إسرائيل مصارعهم على يد فرعون في هذا المكان، وتمنوا أن لو خدموا عنده عبيدًا مدى الدهر ولا أن يلقوا هذا المصير، ولكنهم ويا للأسف لم يفهموا سر الحياة وقيمة الإنسان الحر، وأن الدنيا دول، ونسوا الأمر الأهم؛ أن الله الذي أمر موسى بالهجرة من أرض مصر ضمن له ولقومه النجاة من فرعون.

وأن هذا المكان قد أعده الله تعالى لمصارع الطغاة، وستُكْتَب فيه نهاية القصة الفرعونية، وهل يلتهم مثل هذه الجموع سوى بحر زاخر لا يشتكي ضيق المكان ولا ثقل الوجبة.

وفي اللحظة الحاسمة التي ظن فيها فرعون أنه نائل مراده وأن بني إسرائيل في قبضته لا مفر، ضرب موسى البحر بعصاه، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٤﴾ الشعراء: ٦٣ – ٦٤ أي: قرَّبناهم من قوم موسى حتى خيل إليهم أنهم سيقضون عليهم، فطمعوا فيهم واستحثوا خيلهم لإدراكهم، فلم ينتبهوا إلى حقيقة المعجزة بانفلاق البحر وأن ولوجها خطر عليهم، بل أقحموا خيلهم وراءهم دون تَرَوٍّ ولا تفكير في الأمر.

وكان موسى يريد أن يضرب البحر ثانية ليعود كما كان قبل أن يدخل فرعون في أثرهم، ولو فعل ذلك لما وقع فرعون في مصيدة الغرق؛ لذلك نبَّه الله موسى بأن يترك البحر كي يجوز عليه فرعون: ﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ۝٢٤﴾ الدخان: ٢٤

أي: ساكنًا كما هو كي يغري سكونُه فرعونَ فيقدم على مطاردة بني إسرائيل، ودخل فرعون وجنوده، فلما أن استوعب جيشَه كاملًا، هنا أوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر فعاد متلاطم الأمواج وقد ابتلع فرعون وجنوده في مشهد سرَّ أهل الإيمان وشفى غيظهم مما كان يفعل بهم فرعون وأتباعه من القهر والظلم والعبودية[1]، إلى آخر القصة المعروفة.

ويتبين من قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ البقرة: ٥٠ أنَّ المكان الذي عبر منه بنو إسرائيل البحر كان قليل الاتساع، ولولا ذلك ما استطاعوا مشاهدة غرق آل فرعون في وسط البحر من الجانب الآخر.

فكانت العصا هي السبب الظاهري فيما جرى. وليس المد والجزر كما زعم بعض الملحدين.

فلم يكن انشقاق البحر ظاهرة جغرافية عادية كالمد والجزر، أو نتيجة انفجار بركاني كما يظن البعض، ولم يترقب موسى حركات المد والجزر كما يدَّعي بعض المؤرخين الوثنيين أيضًا، بدليل أن

---

(1) https://www.alukah.net/culture/

موسى عبر بشعبه نتيجة خروج فرعون وجيشه في أثرهم وليس بترتيبه الخاص.

ومن الخطأ الاعتقاد أنَّ الماء الذي عبره موسى مع قومه هو ماء النيل، فالذي يتبين من التاريخ والآثار القديمة أن سكان العاصمة في زمن موسى كانوا يقيمون على الجانب الشرقي من النيل لا الغربي، وكلمة (الْيَمِّ) وإن كانت تطلق على النهر أيضًا إلا أنها أكثر استعمالاً في البحر.

وهنا ينشأ سؤال:

لماذا لم يطارد فرعون بني إسرائيل سالكًا طريق البر اليابس بدلاً من الدخول وراءهم في هذا الطريق الذي انفلق عنه البحر؟

والجواب: أن فرعون لو اتجه إلى طريق البرِّ لكان عليه أن يدور في طريق طويل شمالاً، ولكان بنو إسرائيل أثناء ذلك قد أفلتوا منه بمسافة بعيدة وخرجوا من مملكته. ولذلك لم ير سبيلاً للحاق بهم إلاَّ أن يتبع خطاهم في طريق البحر.[1]

---

[1] راجع هذا المقال للاستزادة https://bisatahmadi.com/beliefs/

ولعل الحكمة الإلهية في إهلاكه غرقًا هو وجنوده بعيدًا عن بلده ومركز حكمه كما حدث للأقوام الأخرى؛ لِما للحضارة الفرعونية من درجة رفيعة من الإتقان التي تبعث على التأمل في هؤلاء الأقوام ومدى تقدمهم العلمي لتبقى شاهدة لمن بعدهم على عظمة أولئك القوم وما كان من مجريات تاريخية على هذه الأرض، وليثبت قول الله فيهم حين خاطب مَن جاؤوا بعدهم.

التيه في الصحراء

بعدما أهلك الله تعالى فرعون وجنوده ونجى موسى وهارون وبني إسرائيل من الكرب العظيم، انتهت متاعب النبيَّين موسى وهارون من فرعون وقومه، وبدأت متاعبهما مع بني إسرائيل ، إذ إنهم بعدما رأوا آية الله الكبرى في فلق البحر لهم وإغراق فرعون وجنوده ، وتمام النعمة عليهم ، لم يشكروا الله تعالى على ما أنعم عليهم ، بل لما رأوا قوما يعكفون على أصنام يعبدونها طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنما إلها اقتداء بهؤلاء المشركين الذين رأوهم ، فقال ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾ الأعراف: ١٣٨. وبطلبهم هذا خالف بنو إسرائيل وصية آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام الذين أوصوهم بالتمسك بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ البقرة: ١٣٣

والفاء في قوله تعالى : ﴿فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ...﴾ تفيد الترتيب والتعقيب ، ومعنى ذلك أنه لم يمض وقت بعد نجاتهم من الهلاك حتى عادوا إلى الوثنية التي ألفوها ، وهذا يدل على أن الإيمان لم تخالط بشاشتُة قلوبَهم ولم يتمكن من مشاعرهم وضمائرهم.

وواعد الله تعالى موسى أربعين ليلة يتهيأ فيها لتلقي الشريعة وإنزال التوراة عليه، وعندما جاء الميقات قال موسى لأخيه هارون: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ

سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤٢﴾ الأعراف: ١٤٢، ولما انتهى موسى إلى الجبل ثم أعطاه الله الألواح المتضمنة التوراة وكتب له فيها كل شيء يحتاجه بنو إسرائيل في معاشهم ومعادهم من الأحكام الاعتقادية والعملية وكتبها الله بيده كما في صحيح مسلم في حديث احتجاج آدم وموسى (وَكَتَبَ اللهُ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ)[1]، وفي أثناء غياب موسى أضل السامريُّ بني إسرائيل، فصنع لهم عجلا من الذهب وطلب منهم أن يعبدوه، فعبده كثير من بني إسرائيل، وقد حاول هارون صرفهم عن عبادة العجل، وخشي إن شدد عليهم أن يتفرقوا، وقد عاداه عبدة العجل وكادوا يقتلونه، و﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١﴾ طه: ٩١

فلما رجع موسى بالتوراة إلى قومه غضبانا حزينا على ما صنعه قومه، أخذ يؤنبهم ويوبخهم على عبادة العجل ، فاعتذر بنو إسرائيل بأنهم لم يتمكنوا من رد ضلال السامري الذي زين لهم عبادة العجل، فقالوا: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧﴾ طه: ٨٧ وبلغ الغضب بموسى مبلغا عظيما حيث أخذ برأس أخيه يجره إليه، وبعد أن سكن عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين يخافون الله تعالى ويهتدون بهديه.

وعاقب موسى عليه السلام السامري ، وحرق عجله ونسفه وذراه في البحر.

---

[1] صحيح مسلم (برقم: ٢٦٥٢)

واختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلا ، من العلماء، فذهبوا معه إلى جبل الطور ليعتذروا عن بني إسرائيل في عبادة العجل ، وكانوا قد أُمروا أن يتطهروا ويغتسلوا ويتطيبوا ، فلما دنا موسى من الجبل سألوه أن يريهم الله جهرة فأخذتهم الرجفة ، فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه أن لا يؤاخذهم بما فعل السفهاء.

ثم أمرهم موسى أن يدخلوا بيت المقدس فقالوا : إن فيها قوما جبارين، وإنا لن ندخلها ما داموا فيها ، وقالوا لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون.

وقد عاقبهم الله تعالى على هذا العصيان بالتيه في الصحراء أربعين سنة.

فبعد ما مر بهم من الآيات عند جبل الطور وقويت نفوسهم وعقيدتهم كانت الخطوة التالية، وهي الانتقال من سيناء إلى فلسطين وسكنى الأرض المقدسة، ولكن هذا الأمر يحتاج إلى قوة وجرأة وتضحية، ففي الأرض المقدسة قوم من الجبارين الأقوياء وليس من السهل قهرهم.

كانت كبرى مدنهم أريحا، فقصدها موسى بمن معه من قومه، ولما اقتربوا منها دب الرعب في قلوبهم وجبنوا عن القتال.

لكن موسى كان يصر على دخولهم مدينة أريحا؛ تلبية لأمر الله، فبث فيهم الحماسة والقوة، وذكرهم بنعم الله عليهم، وأنه ناصرهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ المائدة: ٢٠

وهذا التذكير لم ينفع معهم، وغلب جبنهم على النظر في عاقبة أمرهم، فعدم مطاوعة موسى في الجهاد هو إغضاب لله وعصيان لأوامره، ثم أعاد موسى عليهم الطلب ثانية في دخول مدينة الجبارين

: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ المائدة: ٢١

فكان جواب الأغلبية: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ المائدة: ٢٢

وأضافوا:

﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ المائدة: ٢٤

فكتب الله عليهم التيه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ المائدة: ٢٦

أربعون سنة من التيه والضياع كانت عقابًا لهم على جُبنهم وعصيانهم، وفي هذه السنين سيتغير جيل الخائفين، وسينشأ جيل أقوى قلبًا وصمودًا، جيل يخرج من الصحراء القاسية ومن الترحال والتنقل والبعد عن المدَنيَّة.

۞ الحياة في التيه.

لم يكن عقابهم في التيه بقصد إبادتهم، وإنما لاستبدالهم فجيل الهزيمة سيدفع ثمن جبنه تيهًا وتشريدًا، ولكن سيخرج منهم الجيل الجديد الصُّلب، ولأجل هذا كان العقاب إجهادًا مع عدم استئصال؛ ولذلك سخَّر لهم ما يُبقي على حياتهم، فالصحراء أرض قاحلة مع جفاف وحر في الصيف وبرد في الشتاء وندرة في الماء، فكان الماء المطلب الأساس عند بني إسرائيل، وهو في الصحراء مثارُ خلاف وقتال وصراع، ولكيلا يحصل هذا في بني إسرائيل فتتفرق كلمتهم فيزدادوا ضياعًا إلى ضياعهم، كان الحل الأمثل إفرادَ كل عشيرة بمورد ماء مستقل: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ﴾ البقرة: ٦٠

فكان لكل عشيرة عين ماء تخصهم، وبقي الطعام، وما توفره الصحراء من طعام قليل، فضمِن الله لهم الطعام أيضا: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ البقرة: ٥٧

؛ فالمنُّ حُلْو المذاق، يأتيهم من السماء كمثل الثلج حين هطوله، ثم ينعقد كالصمغ، فيأخذون حاجتهم ويذيبونه في الماء ويشربون شرابًا لذيذًا، والسلوى طائر وسط بين الحمامة والعصفور، لذيذ الطعم، يأتي إليهم، فيمسكون منها حاجتهم، ولا يدخرون، وبما أنهم ليسوا من سكان الصحراء ولم يجربوا شظف العيش فيها، فكان لا بد لهم من بعض الرفاهية ريثما يتأقلمون، فظلل الله عليهم بالغمام فكان يمنحهم البرد في الصيف، والدفء في الشتاء.

واستمرَّ عيش بني إسرائيل في التيه يأكلون المن والسلوى ويشربون الماء القراح، يظلهم الغمام من حر الشمس ولهيب الصحراء صيفًا، ومن قرِّها ولسعة بردها شتاء،

ومضت سنوات على إقامتهم في التيه، فملوا طعامهم من المن والسلوى، فراحوا إلى موسى يشكون: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ البقرة: ٦١

لقد اشتهوا أكل الفقراء والمزارعين، وملُّوا حياة الرفاهية، صحيح أنهم طلبوا استبدال الأعلى بالأدنى، لكن هذا له دلالة مهمة على تحول بني إسرائيل إلى حياة الشظف

وخشونة العيش وهو المبتغى من هذه التربية، فثباتهم على المن والسلوى والحصول عليهما بلا تعب ولا كد معناه المراوحة في المكان والتعود على العيش الهنيء والسكون وقلة الحركة، لكن طلبهم الأكل مما تخرج الأرض أمر يبعث على التفاؤل في تحسن الحال وتقدمها، وأنها في الطريق إلى مقارعة الأهوال[1]، فقال لهم موسى : ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ البقرة: ٦١ أي: اهبطوا مصرا من الأمصار ، لأنكم في البدو ، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي ، وإنما يكون في القرى والأمصار، والمراد بها الأرض المقدسة ، قال الله جل ثناؤه :﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ المائدة: ٢١، فلما خرجوا من التيه ، رفع المن والسلوى وأكلوا البقول .

ويجوز أن يكون المراد بها مصر فرعون كما جاء في قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود : " اهبطوا مصرَ " بالفتح بغير ألف. واستدل لهذا القول بقوله تعالى:

﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩﴾ الشعراء: ٥٧ - ٥٩

قال ابن جرير : والذي نقول به في ذلك أنه لا دلالة في كتاب الله على الصواب من هذين التأويلين ، ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذر . وأهل التأويل متنازعون تأويله ، فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن موسى سأل

---

(1) https://www.alukah.net/culture/

ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض - على ما بينه الله جل وعز في كتابه - وهم في الأرض تائهون ، فاستجاب الله لموسى دعاءه ، وأمره أن يهبط بمن معه من قومه، قرارا من الأرض التي تنبت لهم ما سأل لهم من ذلك ، إذ كان الذي سألوه لا تنبته إلا القرى والأمصار ، وأنه قد أعطاهم ذلك إذ صاروا إليه . وجائز أن يكون ذلك القرار مصر ، وجائز أن يكون الشام .[1]

وكان بنو إسرائيل قد عاشوا في العبودية والذل والوثنية سنوات عديدة ففسدت عقائدهم وخبثت نفوسهم وضعفت همتم وظهر عنادهم وتعنتهم، لأن الاستبداد والطغيان له أثره على النفس البشرية.

وهذا حال الشعوب التي تعيش تحت الأنظمة الاستبدادية وحكم الدكتاتورية، تعجز عن حمل الرسالة والقيم الإنسانية الرفيعة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيلها.

وكان العيش في التيه ٤٠ عاما، قد ربى جيلا جديدا من أبناء التائهين، ذاقوا شظف العيش وخشونته، وهم يتحركون في الصحراء،

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢/ ٢٥).

فتصلب عودهم، وقويت أبدانهم، وتربت نفوسهم على توحيد الله وإفراد العبادة له والقيم الإنسانية الرفيعة من محبة العدل ودفع الظلم ومحاربة الظالمين، فسارعوا إلى الجهاد والقتال، والمطالبة بالحقوق، ودفع الظلم، والتصدي للظالمين، والانتصار للحق، فعاشوا حياة ملؤها العزة والكرامة والحرية والتمكين.

ويظهر من ذلك أن الـ ٤٠ سنة أقل ما يتأتى فيها فناء جيل ومجيء آخر، هكذا قال ابن خلدون.

إن عقوبة التيه في حقيقتها، كان فيها رحمة من الله لبني إسرائيل، فلم يهلكهم الله كما فعل بالأمم السابقة التي عصت الأنبياء والمرسلين، عندما تخلفوا عن أمر أنبيائهم، وتجلى ذلك في النعم التي أنعم الله عليهم بها في هذا التيه، كالغمام، والمن، والسلوى، فالله لا يريد أن يهلكهم بل يريد أن يربيهم.

وانفصل موسى وأخوه هارون عليهما السلام مع من أطاعهما واتبعهما من بني إسرائيل عن الأغلبية العاصية.

وبدأ أفراد ذلك الجيل يموتون تباعا، ويخرجون من هذه الدنيا مجللين بالذل والهوان، وهكذا تنتهي حياة موسى عليه السلام مع هذا الجيل من بني إسرائيل، وأخذ ينمو الجيل الصغير الذين قال لهم موسى عليه السلام: ﴿يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ

فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ يونس: ٨٤، فكان جوابهم: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ يونس: ٨٥

وحرص موسى عليه السلام على تربية وزرع القيم لجيل جديد، وقد ظهرت معالم تلك التربية والعناية بدخول فتى موسى عليه السلام يوشع بن نون بيت المقدس، والانتصار على الجبارين، بعد وفاة موسى عليه السلام.

وما كان لبني إسرائيل أن يصلوا إلى العصر الذهبي في عهد داود وسليمان عليهما السلام لولا الله تعالى ثم جهود موسى عليه السلام.

إن الدرس العميق من قصة التيه القديمة يتكرر في وقتنا الحاضر، فنحن نرى الشعوب التي تنشأ في ظل الاستبداد، وتساس بالظلم والاستعباد والقهر، تفسد أخلاقها وتذل نفوسها، ويذهب بأسها وتضرب عليهم الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع، وتأنس بالمهانة والخنوع، وإذا طال عليها أمد الظلم، تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة حتى تكون كالغرائز الفطرية والطبائع الخلقية إذا أخرج صاحبها من بيئتها، ورفعت عن عنقه نيرها، فإنك تراه ينزع بطبعه

إليهـــا، ويحـــن إلى الاســـتبداد وإلى الظلـــم والـــذل، وينفلـــت مـــن قـــيم الحريـــة والكرامة.[1]

[1] https://www.alukah.net/culture/

العودة إلى الأرض المقدسة

بعد أن نشأ جيل صلب جديد وبعد سنوات التيه قاد بني إسرائيل نبيٌّ لهم هو يوشع بن نون عليه السلام ويسميه اليهود "يشوع" وهو الذي عبر بهم نهر الأردن وانتصر على أعدائه.

وقد حاول يوشع بن نون تجميع اليهود وتنظيم جموعهم واستطاع أن يجمع شملهم من جديد ولأنهم قد أحسوا بمرارة العذاب الذى وقع بهم حين رفضوا دخول تلك الأرض حين أمرهم موسى حيث تفرق شملهم أربعين سنة.

من أجل ذلك فقد ساروا خلف يوشع دون أدنى تمرد منهم في محاولة منهم لتحقيق أمنية موسى الذى مات غير راض عنهم.

وسار يوشع بهم وكانوا قد خرجوا من مصر من صحراء سيناء عند منطقة نويبع الآن متجهين إلى الأراضي الواقعة ضمن الحدود الأردنية الآن نظراً لأنهم قد عبروا نهر الأردن من الجهة الشرقية

واستولوا على أولى المدن وهي مدينة أريحا الواقعة في الجهة الغربية لنهر الأردن.

وقد نجح يوشع في عبور نهر الأردن بعد عدة محاولات فاشلة واتجه صوب مدينة أريحا الخصبة ذات الأبراج الضخمة وعلى الرغم من ضخامتها فقد استطاع الاستيلاء عليها ودخل اليهود بذلك أول مدينة في الأرض المقدسة.

وقد ذكرت أسفار العهد القديم أنهم توجهوا بعد استيلائهم على أريحا إلى منطقة العي ولكنهم فشلوا في الاستيلاء عليها نظراً لتحصن أهلها بها لكن يوشع استطاع الاستيلاء عليها بحيلة ذكية جداً حيث قسم جيشه قسمين.

استدرج القسم الأول منهم قوات المدينة حتى خرجوا منها في حين استولت المجموعة الأخرى على المدينة حين خرج أهلها منها لمحاربة المجموعة الأولى ثم انقضت الفرقتان على مقاتلي المدينة من أمامهم ومن خلفهم وبذلك أوقعوا خسائر فادحة في صفوف قوات المدينة.

وتوالت بعد ذلك انتصاراتهم حيث استطاعوا الاستيلاء على كثير من المدن والقرى التي هاجموها بضراوة.

ومن بين المدن التى استولوا عليها مدينة نابلس وتقع في شمال فلسطين حالياً وفيها وضعوا جثمان يوسف حيث حملوه معهم من مصر حين خرجوا منها.

كما استولوا على مدينة حبرون أي مدينة الخليل وبيت ايل وشمرون ومادون وغيرها من المدن التي فتحوها.

وعلى الرغم من النصر الذى أحرزوه على عدة جبهات إلا أن الفلسطينيين المتحصنين في مدنهم الساحلية بين غزة ويافا صدوا تقدمهم غرباً، وكان هؤلاء الفلسطينيون متفوقين في معداتهم الحربية.

إذ كانوا يعتمدون على أسلحة من الحديد الذي أتقنوا تعدينه وصنع الدروع والأسلحة الأخرى منه؛ لذلك لم يجرؤ الإسرائيليون على محاربتهم فتجنبوهم كما تجنّبوا المدن المحصنة.[١]

أما المدن الشمالية (الكنعانية الفينيقية فكانت في حرز حريز لمناعتها وراء سلسلة جبال لبنان وكانت موانئها على ساحل البحر تساعدها على تنمية مصالحها التجارية والاقتصادية مع الخارج.

---

(١) https://ketabonline.com/ar/books/106363/

وكان دخول عنصر الحديد في البلاد خلفاً للنحاس والقصدير قد فتح لها عهداً جديداً فأخذت هذه المدن تمارس صناعة الحديد لصنع الأسلحة وبيعها وذلك باستيراد الحديد الخام من بلاد الحثيين فتقدمت صناعياً وازدهرت تجارتها .

ومما ساعد على تقدم الفتح في بلاد كنعان بقيادة يشوع ملاءمة الظروف السياسية السائدة آنذاك. فقد كانت البلاد منقسمة على نفسها تتصارع فيما بينها دويلات لا يحصى عددها يحكم فيها حكام إقطاعيون مستبدون همهم الوحيد الحفاظ على سيطرتهم.

ويرجع توطيد دعائم هذا النظام الإقطاعي في هذه المناطق إلى عهد الهكسوس الذين دام حكمهم فيها وفي مصر السفلى حوالي قرنين من الزمن.

ولما أخرج المصريون الهكسوس من بلادهم لاحقوهم في مستعمراتهم الشرقية واستولوا عليها ومنها بلاد كنعان التي ضموها إلى مملكتهم، ولكن المصريين لم يحاولوا تغيير الأوضاع السياسية في هذه المناطق فتركوها على حالها.

وكان جل اهتمامهم جمع الجزية من البلاد على يد مأمورين متفسخين وفضلاً عن ذلك إن مصر كانت عندما غزا يشوع بلاد كنعان عاجزة عن التدخل ومد ملوك كنعان بمساعداتها.

ونستخلص من رواية التوراة أن أورشليم كانت من بين المدن التي لم يستطع يشوع احتلالها لمناعتها وصلابة سكانها اليبوسيين.

ولكن في تراثنا الإسلامي أن يوشع استطاع فتحها فقد خرج بسائر بني إسرائيل قاصدًا بيت المقدس؛ لقتال العماليق وتحريره من أيديهم، فقاموا بحصارهم، ثم اقتحموا المدينة عليهم وقاتلوهم قتالًا شديدًا.

ولما كان يوم الجمعة، الذي هو يوم الفتح العظيم، وقد أوشك على القضاء على العماليق الجبارين وهزيمتهم، وفتح تلك المدينة المقدسة، نظر نبي الله يوشع إلى الشمس فوجدها قد اقتربت من الغروب، فخشي دخول يوم السبت عليهم.

وكان قد حرَّم الله عليهم القتالَ يوم السبت، فإذا حل يوم السبت عليهم لا يستطيعون قتالهم، فنظر إلى الشمس وقال لها: «إنكِ مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي»؛ فحبس الله له الشمس حتى هزم العمالقةَ الجبارين وفتح بيت المقدِس.

فقد روى الإمام أحمد في مسندِه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الشمس لم تُحبَس على بشر إلا لِيُوشَع ليالي سار إلى بيت المقدِس».

وقد استمر يوشَع يحارب دون توقف حتى توفاه الله، وخَلَفَهُ مجموعة من القضاة الذين تولوا حكم اليهود من بعده وقد دُفِنَ في مدينة كفر حارس وهي موجودة حتى الآن وتحمل ذات الاسم.

۞ دموية التوراة وافترائها على نبي الله.

يذكر في التوراة أنهم أحاطوا بأريحا، وكانت من أحصن المدائن، وأعلاها قصوراً وأكثرها أهلاً فحاصروها ٦ أشهر، ثم دخلوها وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم، وقتلوا ١٢ ألفاً من الرجال والنساء.

وفي سِفْرِ يشوع يذكر أن يشوع عند اقتحامه أرض كنعان مع جيشه من بني إسرائيل، لم يُبْقُوا عِرْقاً ينبض بالحياة في كل المدن التي اقتحموها.

فبعد أن أخذوا أريحا حرَّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف.. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. والتحريم هنا معناه الإبادة، وكذلك

فعلوا بعاي التي يحكي النص أن يشوع أحرقها وجعلها تلاً أبدياً خراباً.

«وضربوا كلَّ ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحدِّ السيف.» يشوع ٦: ٢١

«فضرب يشوع كلَّ الأرض... لم تبقَ نسمة، بل حرَّم كلَّ نسمة كما أمر الرب.»

يشوع ١١: ١٦-٢٠

وهذا كله كذب صريح وافتراء على نبي الله يوشع بن نون فقد كان نبيّا كريما يستحيل أن يصنع هذه الجرائم يتصل نسبه بنبي الله يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن الخليل إبراهيم عليه السلام.

فتى موسى، وأحد تلاميذه، ووارث نبوة بني إسرائيل من بعده عليهم جميعًا السلام، وهو المراد بالفتى في قصة سيدنا موسى والخضر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾ الكهف: ٦٠
وقد ورد في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن هذا الفتى هو: نبي الله يوشع بن نون الذي صحب موسى في قصة ذهابه إلى الخضر عليهم جميعًا السلام.[1]

---

[1] برقم: ١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧.

۞ من هم العماليق الذين حاربهم يوشع بن نون؟

زعم أحبار اليهود في التوراة أن كنعان من قبائل حام الحاميين (أي من الجنس الحامي) الأسود والصحيح أنهم من الساميين وقد ذكر الهمداني في الإكليل أن كنعان هم بنو كنعان بن عويلم بن سام.

حيث قال : أولد عويلم بن سام : شعبر بن عويلم، وكربل بن عويلم، وممري بن عويلم، وكنعان الشام. وجاء في تاريخ ابن خلدون أن من بني عملاق بن لاوذ بن سام قبائل كنعان الجبارة. وقد دلت الدراسات على أن غرب الجزيرة العربية ومنها عسير كانت الموطن الأول لقبائل كنعان.

وقد انتقل كنعان من اليمن وغرب الجزيرة إلى الشام في عدة موجات منها موجة عام ٣٥٠٠ ق.م. - في عهد سبأ بن يشجب - وموجة ثانية كبيرة عام ٢٥٠٠ ق.م.

فانتشرت كنعان في أرجاء الشام وسميت باسمهم (أرض كنعان) وكان منهم بنو خوي بن كنعان بأعالي الحجاز إلى الكرك والشوبك بفلسطين وبنو يبوس بن كنعان بالقدس وما جاورها من فلسطين.

وبنو عرفان بن كنعان: بنابلس وبنو حبيب بن كنعان بالخليل، وبنو سنا بن كنعان: بطرابلس، وبنو حماه بن كنعان بمنطقة حماة في

سوريا، وبنو جرجيش بن كنعان: بمنطقة كركميش بأعالي سوريا إلى جهة عمورية.

كما قال نشوان الحميري: بلغ سبأ بن يشجب أرض الجزيرة وهي بلاد آشور إلى جنوب سوريا ثم لم يزل حتى عبر إلى الشام يقاتل من لقيه من بني عوجان بن يافث حتى أبعدهم إلى خلف عَمورية، ثم رجع إلى الشام . واستخلف – بالشام – قوماً من الذين معه .

وقد أسست قبائل كنعان فيما بعد مملكة إبلا الكنعانية بالشام –في الألف الثالث ق.م. وشملت كل أرجاء الشام.

ومن معاقلهم مدينة أيلة التي نُسبت إلى أوّل من نزلها من العماليق وهو أيلة بن هوبر بن عمليق ، وتسلسل الملك في ذريّته.

وقد استمر العماليق يتصادمون مع الإسرائيليين حتى أيام شاؤل أوّل ملوك بني إسرائيل ، كما يروي سفر صموئيل الأول " ، فالعماليق ــ في نظر التوراة ـ من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين.

وهناك نص توراتيّ يجعلهم يقيمون في جنوب غرب البحر الميت على أيام الخليل إبراهيم ، وأنهم كانوا على أيام موسى الكليم منتشرين في

كـــلّ صـــحراء التيـــه حـــتى حـــدود مصـــر ، وفي معظـــم ســـيناء ، وجنـــوب فلسطين ، كما كان هناك جبل العمالقة في أرض أفرايم .

وكـــان العمـــاليق عنـــد حـــربهم الكـــبرى مـــع بـــني إســـرائيل بقيـــادة ملـــك أيلـــة ، وهو أحد ملوك الشام السميدع العمليقي .

قـــال المســـعودي : ســـار ملـــك الشـــام وهـــو الســـميدع بـــن هـــوبر بـــن مالـــك إلى يوشـــع بـــن نـــون ؛ فكانـــت بيـــنهم حـــروب إلى أن قتلـــه يوشـــع ، واحتـــوى علـــى جميـــع ملكـــه ، وألحـــق بـــه غـــيره مـــن الجبـــابرة والعمـــاليق ، وشَنَّ الغارات بأرض الشام.[1]

---

[1] الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير.

عصر القضاة

يمتد هذا العصر بعد يشوع إلى ما يزيد على مائتي عام، ولقد عاش فيه الإسرائيليون بين الشعوب الفلسطينية بكِيان مُمزق، كثيرًا ما تعرضوا للقهر والعبودية، وأكثر من هذا أنهم انتكسوا في عقيدتهم.

فرجعوا عن التوحيد - الذي كان كل ميزتهم أيام موسى - إلى عبادة الأصنام ، وكانوا مع ذلك في حروب دائمة مع من جاورهم من الفلسطينيين، وحروب داخلية مع أسباطهم الاثني عشر.

ولقد ظهر فيهم رعاة لهم عُرِفوا باسم القضاة، حاولوا ردَّهم عن طرق الضلال والضياع، إلا أن جهودهم ذهبت سُدى.

وتستخدم كلمة قاضي في المؤلفات الدينية اليهودية لتشير إلى معنيين، عام وخاص: المعنى العام هو القاضي الذي يحكم بين الناس، وبهذا المعنى يكون موسى أول القضاة.

ثم خَلَفَه في القضاء رؤساء العشائر وشيوخ المدينة. وكان الملك في التاريخ العبراني القديم يُعَدُّ من القضاة أيضاً، يحكم معه مجموعة من

القضاة يكوِّنون مجلساً وعليهم استشارة الأنبياء والكهنة. وقد استمر هذا الوضع حتى التهجير البابلي.

ولكن كلمة قاض لها معنى آخر في تاريخ العبرانيين، فهو بمعنى المخلِّص، وتشير إلى ما يمكن تسميتهم شيوخ القبائل. وهؤلاء أشخاص من الكهنة المحاربين جمعوا بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية.

وسيطروا على أمور القبائل العبرانية بعد وفاة يشوع بن نون وحتى قيام حكم شاؤول أول ملوك القبائل العبرانية.

وكان من قُضاتهم من يلم شعث المتفرقين، ويجمع شملهم. وكان منهم من يقوم برد غارة أو دفع عدو عنهم، ومنهم من تولّى الحكم طوال حياته، ومنهم من فسد في حكمه، وولّى أولاده القضاء. [1]

ولقد سطَّر سِفْرُ القضاة سيرتهم وأحوالهم وما أصابهم من نكبات وقعت بهم.

ومن قراءة عهد القضاة من خلال سفر القضاة نستخلص: أن عهد القضاة أسوأ عهود بني إسرائيل، ففيه انتشرت الرذائل والمنكرات

---

[1] الأنبياء الملوك، علي محمد محمد الصلابي.

بينهم، وعبدوا الأصنام، وقتلوا الصالحين، وفشا بينهم الزنا، وترتب على ذلك أن تعرضوا خلال عهد القضاة لنكبات وغارات عليهم من غيرهم.[١]

وكان للفلسطينيين خمس مدن رئيسية وهي: جت وأشدود وغزة وأشقلون وعقرون. وكان الفلسطينيون في ذلك الحين شعبًا عظيمًا ذا بأس، ومدنهم حصينة، احتكروا صناعة الآلات والأسلحة الحديدية.

وبعد موت يشوع أخذ يهوذا غزة وأشقلون وعقرون، إلاّ أن الفلسطينيين استردوا هذه البلاد وسقط العبرانيون في قبضتهم.

فعند دخولهم فلسطين، بحسب رواية العهد القديم، أمرهم ربهم بعمل أول حرب إبادة لتطهير أرض الرب من بقية الأمم «القبائل العربية» كالكنعانيين والفلسطينيين.

وكذلك المؤابيين والعمونيين الذين جعلتهم التوراة نتاج عمليتيْ «زنا محارم» بين لوط النبي عليه السلام وابنتيه الكبرى و الصغرى.

وقد خصَّ العهد القديم هذه الحقبة بسِفْرٍ خاص، جاء في أوله أن الرب أمر اليهود بحرب العرب الكنعانيين، وإبادتهم، لكنهم بدلاً من

---

[١] المرجع السابق.

ذلك فرضوا عليهم الجزية ومالوا إلى نسائهم، وعبدوا تماثيل الإله الكنعاني العربي المسمى بعل.

وهكذا بدأ عصر القضاة الذى امتد حتى انتهى بوفاة الرجل اليهودى المهم «شمشون الجبار» الذى تابع هواه وتزوَّج بامرأة فلسطينية فغدرت به.

فانتقم من أهلها ثم ذهب إلى «غزة» ودخل على امرأةٍ بَغِيّ، وزنا بها، وبعد ذلك أحب شمشون فلسطينيةً أخرى، وهى التي مكرت به وأوقعته بعدما عرفت أن سرَّه يكمن في شعره.

يقول سِفْر القضاة، إن الفلسطينيين جاءوا بشمشون وهو مسلوب القُوَى، ليلعبوا به ويهزأوا، لكنه بعون الرب أسقط عامودَي البيت ومات مع أعدائه الفلسطينيين.

وبهذه القصة (الدراماتيكية) ينتهي عصر القضاة، ويدخل التاريخ اليهودي العام في حقبة أخرى «ملوكية» بدأت بتتويج «شاؤول» ملكا على اليهود، في فلسطين.

ويقال إن سِفْر القضاة كتبه صموئيل النبي، ويقال إن كاتبه هو فنحاس الكاهن، وهو يحكي قصص هؤلاء القضاة (بالعبرية: شوفيطيم) الذين كان زمانهم زمن بؤسٍ يهودي.

لأن أبناء الرب كانوا عُصاة .. زناة.. عبدة أوثان.. غير طائعين لأوامر ربهم القاضية بإبادة الآخرين كما زعموا! وقد تشرذم اليهود خلال هذه الحقبة، وكان لكل جماعة منهم قاضٍ يتولى شئونهم.

وهم فى هذا السِّفْر ، ما كانوا يتورَّعون عن الأعمال المنافية للشريعة والأخلاق، كالزنا والقتل. ولم يكن حكمهم وراثياً، ولا سلطة لهم على القوانين ولا يجوز لهم وضعها، كما لا يحق لهم فرض الضرائب على أتباعهم.

وبحسب الحسابات التأويلية لسفر القضاة، فإن هذا العصر الذي امتد قروناً، انتهى في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد. أي قبل تملك داود على المملكتين اليهوديتين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل.

وهو ما جرى بحسب تاريخهم الخاص في حدود سنة ألف قبل الميلاد.[1]

---

(١) https://gate.ahram.org.eg/daily/News

ويلخص سِفْرُ القضاة حال الإسرائيليين في تلك الفترة كالآتي:

لما مَاتَ يَشُوعُ بْنُ نُونَ عَبْدُ الرَّبِّ ابْنَ مِئَةٍ وَعَشْرَ سِنِينَ، قَامَ جِيلٌ آخَرُ لَمْ يَعْرِفِ الرَّبَّ، وَلاَ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَ لإِسْرَائِيلَ.

فعبدوا الأوثان وأشركوا بالله وعملوا المنكرات، فسلط الله عليهم أعداءهم فساموهم سوء العذاب فكان الرب يقيم لهم قاضيا يخلصهم من الأعداء ولكن عِنْدَ مَوْتِ الْقَاضِي كَانُوا يَرْجِعُون، وَيَفْسُدُونَ أَكْثَرَ مِنْ آبَائِهِمْ.

وكان القضاة الذي أقامهم الرب هم عثنيئيل، إهود، بَاراق، جدعون، يفتاح، شمشون. هؤلاء هم الستة الكبار.

والصغار هم: شمجر، تولع، يائير، إبصان، إيلون، عبدون.

وكان أول قضاتهم عُثْنِيئِيلَ.

فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخَلِّصًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ، عُثْنِيئِيلَ بْنَ قَنَازَ، أَخَا كَالِبَ الأَصْغَرَ.

وَقَضَى لإِسْرَائِيل. وَخَرَجَ لِلْحَرْبِ فَدَفَعَ الرَّبُّ لِيَدِهِ كُوشَانَ رِشَعْتَايِمَ مَلِكَ أَرَام، وَاعْتَزَّتْ يَدُهُ عَلَى كُوشَانِ رِشَعْتَايِم.

وَاسْــتَرَاحَتِ الأَرْضُ أَرْبَعِــينَ سَــنَة. وَمَــاتَ عُثْنِيئِيــلُ بْــنُ قَنَــاز. وَعَــادَ بَنُــو إِسْــرَائِيلَ لفســادهم الأول، فَشَــدَّدَ الــرَّبُّ عِجْلُــونَ مَلِــكَ مُــوآبَ عَلَــى بــني إِسْـــرَائيل، فَجَمَـــعَ إِلَيْـــهِ بَـــنِي عَمُّـــونَ وَعَمَـــالِيق، وَسَـــارَ وَضَـــرَبَ بـــني إِسْرَائِيل، وسيطر على مَدِينَةَ النَّخْلِ أريحا.

واستمر عناء الإسرائيليين ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَة.

وَصَــرَخَ بَنُــو إِسْــرَائِيلَ إِلَى الــرَّبّ، فَأَقَــامَ لَهُــمُ الــرَّبُّ مُخَلِّصًــا إِهُــودَ بْــنَ جِــيرَا الْبَنْيَــامِينِيّ، فــذهب إيهــود بهديــة للملــك عجلــون ثم اختلــى بــه وقتلــه غدرا.

وقضــى لبــني إســرائيل ثَمَــانِينَ سَــنَة. وَكَــانَ بَعْــدَهُ شَمْجَــرُ بْــنُ عَنَــاة. وَعَــادَ بَنُـــو إِسْـــرَائِيلَ للفســـاد والإفســـاد مـــرة أخـــرى فســـلط الله علـــيهم يَـــابِينَ مَلِــكِ كَنْعَــانَ الَّــذِي مَلَــكَ فِي حَاصُــورَ. وَرَئِــيسُ جَيْشِــهِ سِيسَــرَا عِشْــرِينَ سَنَة.

فأقــام الــرب لهــم بــاراق الــذي حــارب ملــك كنعــان وقتــل رئــيس جيشــه سيســرا. وحكــم أَرْبَعِــينَ سَــنَة. وعــاد بنــو إســرائيل إلى عصــيانهم القــديم مرة أخرى.

فسلط الله عليهم مِدْيَانَ سَبْعَ سِنِينَ فشردوهم وحاصروهم في مطاعمهم وشرودهم إلى الكهوف والجبال فأقام الرب لهم جدعون قاضيا فخلصهم من مديان.

وَاستمر جِدْعُونُ عدة سنوات قاضيا ثم مَاتَ وَدُفِنَ فِي قَبْرِ يُوآشَ أَبِيه، فِي عَفْرَةِ أَبِيعَزَر. وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ جِدْعُون، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَعُوا وَزَنَوْا وَرَاءَ الْبَعْلِيم، وَجَعَلُوا لَهُمْ بَعَل بَرِيثَ إِلهًا.

وَلَمْ يَذْكُرْ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ إِلهَهُم الَّذِي أَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ مِنْ حَوْلِهِمْ.

ثم قَامَ بَعْدَ ذلك لِتَخْلِيصِ إِسْرَائِيلَ تُوْلَعُ بْنُ فُوَاةَ بْنِ دُودُو.

فَقَضَى لإِسْرَائِيلَ ثَلاَثًا وَعِشْرِينَ سَنَة، وَمَاتَ وَدُفِنَ فِي شَامِير.

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ يَائِيرُ الْجِلْعَادِيّ، فَقَضَى لإِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَة.

وَمَاتَ يَائِيرُ وَدُفِنَ فِي قَامُون.

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيل، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّين، وَبِيَدِ بَنِي عَمُّون.

فَحَطَّمُوا وَرَضَّضُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي تِلْكَ السَّنَة. ثَمَانِي عَشَرَةَ سَنَة. جَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنّ، فِي أَرْضِ الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ فِي جِلْعَاد.

وَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبّ، وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالْعَشْتَارُوثَ وَآلِهَةَ أَرَام، وَآلِهَةَ صِيدُون، وَآلِهَةَ مُوآب، وَآلِهَةَ بَنِي عَمُّون، وَآلِهَةَ الْفِلِسْطِينِيِّين، وَتَرَكُوا الرَّبَّ وَلَمْ يَعْبُدُوه.

وَعَبَرَ بَنُو عَمُّونَ الأُرْدُنّ، لِيُحَارِبُوا أَيْضًا يَهُوذَا وَبَنْيَامِين، وَبَيْتَ أَفْرَايِم.

فَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ قَائِلِين: «أَخْطَأْنَا إِلَيْكَ لأَنَّنَا تَرَكْنَا إِلهَنَا وَعَبَدْنَا الْبَعْلِيم».

فَاجْتَمَعَ بَنُو عَمُّونَ وَنَزَلُوا فِي جِلْعَاد، وَاجْتَمَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَنَزَلُوا فِي الْمِصْفَاة.

فَقَالَ الشَّعْبُ رُؤَسَاءُ جِلْعَاد، الْوَاحِدُ لِصَاحِبِه: «أَيُّ هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَبْتَدِئُ بِمُحَارَبَةِ بَنِي عَمُّون؟ فَإِنَّهُ يَكُونُ رَأْسًا لِجَمِيعِ سُكَّانِ جِلْعَاد».

وَكَانَ يَفْتَاحُ الْجِلْعَادِيُّ جَبَّارَ بَأْس، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ زَانِيَة. وَجِلْعَادُ وَلَدَ يَفْتَاحَ فذَهَبَ شُيُوخُ جِلْعَاد، لِيَأْتُوا بِيَفْتَاحَ مِنْ أَرْضِ طُوب.

فقالوا لـه: جئنا إِلَيْكَ لِتَذْهَبَ مَعَنَا وَتُحَارِبَ بَنِي عَمُّون، وَتَكُونَ لَنَا رَأْسًا لِكُلِّ سُكَّانِ جِلْعَاد».

فعبَرَ يَفْتَاحُ إِلَى بَنِي عَمُّونَ لِمُحَارَبَتِهِمْ. فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِه.

فَضَرَبَهُمْ مِنْ عَرُوعِيرَ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى مِنِّيت، عِشْرِينَ مَدِينَة، وَإِلَى آبَلِ الْكُرُومِ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا. فَذَلَّ بَنُو عَمُّونَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيل.

وَقَضَى يَفْتَاحُ لإِسْرَائِيل سِتَّ سِنِين. وَمَاتَ يَفْتَاحُ الْجِلْعَادِيّ، وَدُفِنَ فِي إِحْدَى مُدُنِ جِلْعَاد.

وَقَضَى بَعْدَهُ لإِسْرَائِيلَ إِيلُونُ الزَّبُولُونِيّ. وقَضَى لإِسْرَائِيلَ عَشَرَ سِنِين.

وَمَاتَ إِيلُونُ الزَّبُولُونِيّ، وَدُفِنَ فِي أَيَّلُون، فِي أَرْضِ زَبُولُون.

وَقَضَى بَعْدَهُ لإِسْرَائِيل عَبْدُونُ بْنُ هِلِّيلَ الْفِرْعَتُونِيّ. وَمَاتَ عَبْدُونُ بْنُ هِلِّيلَ الْفِرْعَتُونِيّ، وَدُفِنَ فِي فِرْعَتُون، فِي أَرْضِ أَفْرَايِم، فِي جَبَلِ الْعَمَالِقَة. ثُمَّ عَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبّ، فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَرْبَعِينَ سَنَة. إلى أن خلصهم شمشون وقَضَى

لهـــم شمشـــون عِشْـــرِينَ سَـــنَة. ثم قَضَـــى بَعْـــدَهُ لبـــني إِسْـــرَائِيلَ إِبْصَـــانُ مِـــنْ بَيْتِ لَحْمٍ، سَبْعَ سِنِين.[1]

[1] الكتاب المقدس فاندايك، العهد القديم، سِفْر القضاة، الإصحاحات ٢–١٦.

عصر الملوك

عاش الإسرائيليون غنمًا مبددة، ولم تستطع عوامل الخطر وانعدام الأمن التي أحاطت بهم من كل جانب أن توحد صفوفهم، وبلغ بهم الانحلال والتردي غايته.

ومنذ أمد بعيد امتلأت أرض فلسطين وما حولها بالممالك، من قبل أن يكون للإسرائيليين فيها موطئ قدم، فلقد عرف هذا منذ عهد إبراهيم، وعرف الإسرائيليون ذلك عن كثب ولقد كانت المملكة عبارة عن شعب يسكن رقعة من الأرض.

يقيم بها المدن والحصون، ويقوم على رأسه ملك يتولى القيادة وشؤون الحكم في الحرب والسلم؛ ولذلك كثرت الممالك، حتى إن يشوع – خليفة موسى – استطاع أن يحارب واحدًا وثلاثين ملكًا، ينتمي مواطنهم إلى ستة شعوب:

وهم الحثيون، والأموريون، والكنعانيون، والفرزيون، والحويون، واليبوسيون.في أريحا ، وعاي وأورشليم ومجدو ، وقادش.

ولقد نظر الإسرائيليون حولهم، فوجدوا أن الشعوب الفلسطينية قد سبقتهم في تنصيب الملوك وإقامة الممالك.

واستطاعت بذلك أن تجمع شملها، وتحافظ على كيانها، وهنا تطلعت نفوس الإسرائيليين إلى شيء من ذلك.

فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاؤوا إلى صموئيل إلى الرامة، وقالوا له: هو ذا أنت شخت، وابناك لم يسيرا في طريقك - (وكان صموئيل قد عينهما قاضيين) - فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب.[1]

فالآن اجعل لنا مَلِكًا يقضي لنا كسائر الشعوب، ولكن نبيهم الذي يعرف طباعهم قال لهم:

﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ﴾ البقرة: ٢٤٦ - ٢٤٧

---

(١) https://www.alukah.net/culture

قَالَ عِكْرِمَةُ وَالسُّدِّيّ: كَانَ طالوت رجلا سَقَّاء! وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه: بل كَانَ دبَّاغا.

وَلِهَذَا اعترضوا وقالُوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ البقرة: ٢٤٧

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ البقرة: ٢٤٨

تابوت العهد

وها هي التوراة تعطينا قصة التابوت وكيف تم بناؤه. بعد نجاتهم من العبودية في مصر، استقر بنو إسرائيل في أسفل جبل سيناء. ثم فجأة، اهتزت الأرض، وعم الدخان السماء، وصوتُ الرب تَحَدَّث.

أمر موسى بتسلق الجبل، وبقي هناك أربعين ليلة، عندما عاد موسى، كان في يده لوحين صخريين منقوشين عليهما الوصايا العشر هذه الوصايا العشر كانت أساس عَقْدِ بني إسرائيل مع الرب سيكون بني إسرائيل شعب الله المختار مقابل اتباع أوامره.

بعد ذلك بمدة، أمر الربُّ موسى ببناء صندوق أو تابوت من أجل إبقاء الوصايا آمنة، ومن ثم أعطى تفاصيل تامة كيف يكون شكل التابوت: «وَيَصْنَعُونَ تَابُوتًا مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ. طُولُهُ ذِرَاعَانِ وَنِصْفٌ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ، وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ. وَتُغَشِّيهِ بِذَهَبٍ نَقِيٍّ. مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ تُغَشِّيهِ، وَتَصْنَعُ عَلَيْهِ إِكْلِيلًا مِنْ ذَهَبٍ حَوَالَيْهِ.- أي مصبوغًا بالذهب الخالص من الداخل والخارج-.» سفر الخروج ٢٥: ١٠-١١

تستمر التفاصيل، ويطلب من بني إسرائيل تركيب حلقتين من الذهب على كل جانب منه حتى يتم إدخال أعمدة منها ورفعه. «وَتَسْبِكُ لَهُ أَرْبَعَ حَلَقَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ... وَتَصْنَعُ عَصَوَيْنِ مِنْ خَشَبِ السَّنْطِ وَتُغَشِّيهِمَا بِذَهَبٍ. وَتُدْخِلُ الْعَصَوَيْنِ فِي الْحَلَقَاتِ... لِيُحْمَلَ بِهِمَا التَّابُوتُ.» سفر الخروج ٢٥: ١٢-١٤

داخل التابوت توضع اللوحتان الطينيتان اللتان تحتويان على الوصايا العشر.

بالإضافة إلى جرة بها المن والسلوى، وهي الأطعمة التي أنزلها الله على بني إسرائيل وهم في الصحراء، بالإضافة إلى صولجان خشبي كان مِلْكًا للنبي هارون. على التابوت غطاء ذهبي عليه تمثالان لملائكة الكروبيين، مواجهين لبعض.

«فِيهِ مَبْخَرَةٌ الذَّهَبِ وَتَابُوتُ الْعَهْدِ... الَّذِي فِيهِ قِسْطُ الذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ.» الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٤

«وَتَصْنَعُ غِطَاءً مِنْ ذَهَبٍ نَقِيٍّ... وَتَصْنَعُ كَرُوبَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ... وَيَكُونُ الْكَرُوبَانِ بَاسِطَيْنِ أَجْنِحَتَهُمَا إِلَى فَوْقُ... وَأَنَا أَجْتَمِعُ بِكَ هُنَاكَ وَأَتَكَلَّمُ مَعَكَ مِنْ عَلَى الْغِطَاءِ مِنْ بَيْنِ الْكَرُوبَيْنِ.» سفر الخروج ٢٥: ١٧-٢٢

وكان يُعْرَف بمقعد الرحمة، وكان أعظم جزء من التابوت. وحسب المعتقد اليهودي، كان هذا عرش الرب على الأرض، حيث كانت روحه تتجسد عليه عندما كان يخاطب موسى- تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا-.

بعد ذلك، تم وضع التابوت في خيمة كبيرة تسمى بالمسكن، فقط موسى وهارون كان بإمكانهما دخول الخيمة حيث كان التابوت موضوعًا. فقط هناك كان بإمكانهما التواصل مع الله مباشرة.

قال الطبري: وهو التابوت الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوا لهم قدموه أمامهم، وزحفوا معه، فلا يقوم لهم معه عدو، ولا يظهر عليهم أحد ناوأهم.[1]

---

[1] تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥/ ٣١٦).

ولم يبين القرآن من شأن التابوت إلا أن فيه السكينة ، وبقية مما تركه موسى وهارون عليهما السلام، وأن الملائكة تحمله وتأتي به. واختلف المفسرون في السكينة ما هي:

فقيل: ريح، أو دابة كالهرة، أو طست من ذهب، أو روح من الله تكلمهم، أو ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، أو الوقار، أو الرحمة.

وأما البقية مما تركه موسى وهارون، فقيل: رضاض من الألواح وعصا موسى.

وقيل عصا موسى وعصا هارون وثيابهما.

قال ابن عباس: ثم استولى قوم جالوت على التابوت، فدفنوه في متبرز لهم، فأخذهم الباسور، فهلكوا، ثم أخذه أهل مدينة أخرى، فأخذهم بلاء، فهلكوا، ثم أخذه غيرهم كذلك، حتى هلكت خمس مدائن.

فأخرجوه على بقرتين، ووجهوهما إلى بني إسرائيل، فساقتهما الملائكة.

قال وهب: قال بنو إسرائيل لنبيهم: اجعل لنا وقتاً يأتينا فيه، فقال: الصبح، فلم يناموا ليلتهم، ووافت به الملائكة مع الفجر، جاءت به على عجلة وثورين.

ملك طالوت

فلما جاءهم التابوت أقروا لطالوت بالملك، فتأهب للخروج، فأسرعوا في طاعته، وخرجوا معه. وتولى طالوت الملك على بني إسرائيل، وكان ذلك حوالي سنة ١٠٢٥ق.م.

وتسميه الروايات الإسرائيلية "شاؤول" وتساقط أتباعه في الاختبار عندما ابتلاهم الله بنهر الأردن ومنعهم من الشرب منه إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلاً منهم، ثم تساقط الكثير من القليل الذي بقي في الاختبار التالي عندما رأوا جالوت وجنوده، فقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، ولم تثبت في النهاية إلا ثلة قليلة مؤمنة أعطاها الله سبحانه النصر.

وقتل داوُدُ عليه السلام – وكان فتى – في هذه المعركة جالوتَ بالمقلاع.

ولم يكن ضعف الإسرائيليين وهزيمتهم يرجع إلى تفوق أعدائهم كمًّا ونوعًا، بقدر ما كان يرجع إلى تخلف نوعية الإسرائيليين فنيًّا.

لدرجة أنهم حتى ذلك الحين لم يوجد بينهم أي صانع يستطيع صنع أسلحتهم وعدتهم، أو حتى شحذها، بل كانوا يلجؤون في ذلك العمل إلى أعدائهم.

وفي أحد المعارك بين الفلسطينيين والإسرائيليين قتل شاول وثلاثة من أبنائه، وانتقل الملك والنبوة إلى نبي الله داود الذي يعتبره اليهود مجرد ملك فقط ويسلبونه النبوة.

وقد تفتق ذهن كتبة التوراة المحرفة عن قصة أشبه ما تكون بالأساطير فيذكرون أن داود كان كريمًا مع سيده وملكه شاول، رغم أن الأخير كان يجد في الطلب لقتله بعد أن حقد عليه بسبب التفاف الإسرائيليين حوله، وفي أحد المطاردات تمكن داود من شاول إلا أنه لم يقتله توقيرًا له بصفته مسيحًا من قبل الله.

وتفتق ذهن شاول عن حيلة ماكرة يقتل بها داود، وذلك بتزويجه إحدى بناته في نظير مهر يعرض داود للمخاطر، ألا وهو قتل ١٠٠ من الفلسطينيين، وقطع أعضاء ذكورتهم، والإتيان بغلفها للملك. ومن العجيب والغريب أن تذكر الأسفار أن داود رحب بالفكرة، وأتم التنفيذ، وجاء بصيد ثمين هو ٢٠٠ غلفة من الفلسطينيين مهرًا لزوجته. فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة.

قـــد يســـمع الإنســـان عـــن بعـــض القبائـــل الـــتي توصـــف بـــالتخلف والهمجيـــة، أنـــه حـــين يرغـــب أحـــد الشـــبان في الـــزواج، فـــإن عليـــه أن يـــذهب إلى الغابـــة ويقتـــل أحـــد الســـباع، ثم يـــأتي بجلـــده أو ذيلـــه، ويقدمـــه مهرًا لعروسه.

أمـــا أن يقتـــل داود - مســـيح الله - مـــائتي رجـــل ويـــأتي بغلفهـــم مهـــرًا لابنـــة شـــاول فـــإن هـــذه فعلـــة لا يمكـــن أن تمـــر دون تأمُّـــل وتفكـــير يقطـــع يقينًا بسقم خيال كَتَبَةِ الأسفار المقدسة.

واســـتمر شـــاول في محاولاتـــه لقتـــل داود والـــتخلص منـــه؛ ولـــذلك لم يجـــد داوود بُـــدًّا مـــن الهـــرب، بعيـــدًا عـــن ســـطوة عـــدوه، ولم يجـــد لـــه مـــن ملجـــأ يحتمي به هو وأتباعه إلا بين الفلسطينيين أعداء الإسرائيليين.

حيث بقي داود عندهم لاجئًا أكثر من عام.

فقـــام داود وعـــبر هـــو والســـت مائـــة رجـــل الـــذين معـــه إلى أخـــيش بـــن معـــوك ملـــك جـــت، وأقـــام داود هـــو ورجالـــه كـــل واحـــد وبيتـــه، داود وامرأتـــاه، فـــأخبر شـــاول أن داود قـــد هـــرب إلى جـــت، فلـــم يعـــد أيضًـــا يفـــتش عليـــه. وكـــان عـــدد الأيـــام الـــتي ســـكن فيهـــا داود في بـــلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر.

وفي تلك الفترة تذكر لنا الأسفار أن داود ورجاله كانوا يعيشون على السطو على الشعوب والقبائل المجاورة أصحاب الأرض الأصليين، فيغزونها بعنف وقسوة.

ويقتلون كل نفس حية؛ حتى لا يبقى من يخبر بمذابحهم:

ويؤكد كتبة الأسفار أن هذه كانت عادة داود دائمًا حتى من قبل أن يتحول إلى لاجئ في بلاد الفلسطينيين، فقد اعتاد على فرض الإتاوة على الناس.

واغتصابِ أموالهم وثرواتهم بالقوة، ثم استباحة دمائهم، وقد لطخ كَتَبَةُ الأسفار تاريخَ النبي داود ببقع سوداء كبيرة ترجع - حسب زعمهم - إلى سلوكه وسياسته التي أقامها على مبدأ لا أخلاقي يقضي بأن الغاية تبرر الوسيلة.

بصرف النظر عما وراء ذلك، فلكي يحافظ داود على حياته، فإنه كان على استعداد تام للحرب في صفوف الفلسطينيين هو ورجاله، كجنود مرتزقة ضد بني جلدته من الإسرائيليين.

ولما استنكر رؤساء الفلسطينيين ذلك بغضًا منهم له بسبب عداوته القديمة، كان داود يتوسل إلى أحد ملوكهم - وهو أخيش ملك

جت الذي عاش في كنفه – أن يخرج معه للحرب ويعده بالنصر على أعدائه الإسرائيليين.[١]

۞ عهدُ داود عليه السلام.

ينفتح فصل جديد في تاريخ بين إسرائيل في انتشار وسيطرة دعوة التوحيد على الأرض المباركة وذلك بتولي داود عليه السلام الملك بعد طالوت سنة ١٠٠٤ ق.م.

ويُعتَبَر داود عليه السلام المؤسس الحقيقي لمملكة بني إسرائيل في فلسطين، فقد قضى اليهود الفترة التي سبقت داود دون أن يملكوا سوى سلطان ضئيل في أجزاء محدودة من فلسطين ودون أن يستطيعوا أن يكونوا سادتها، ومضى جميع عصر القضاة في القتال الجزئي بجماعات صغيرة وذلك بأن تدافع كل جماعة بمشقة عن قطعة الأرض التي استولت عليها .

ولد داود عليه السلام في بيت لحم، واستمر حكمه أربعين عاماً تقريباً. كانت عاصمة حكمه في البداية مدينة الخليل حيث مكث فيها سبع سنوات، ثم إنه فتح القدس حوالي سنة ٩٩٥ قبل الميلاد، فنقل عاصمته إليها.

---

[١] http://cp.alukah.net/culture/0/72745

وواصل حربه ضد الأقوام الكافرة في الأرض المقدسة حتى تمكن من إخضاعهم سنة ٩٩٠ قبل الميلاد تقريباً، وأجبر دمشق على دفع الخراج وأخضع المؤابيين والأيدوميين والعمونيين، وهكذا سيطر أتباع التوحيد – في ذلك الزمان – لأول مرة – على معظم أنحاء فلسطين، غير أنه حدود مملكة داود عليه السلام في أغلب الظن لم تلامس البحر إلا من مكان قريب من يافا.

ويبدو أن حدود المملكة الإسرائيلية في أوجها كانت مئة وعشرين ميلاً في أطول أطوالها وستين ميلاً في أعرض عرضها وأقل من ذلك بكثير في أغلب الأحيان، أي أن مساحتها لم تزد عن ٧٢٠٠ ميل مربع أي حوالي ٢٠ ألف كم٢.

وهذا أقل من مساحة فلسطين الحالية بحوالي سبعة آلاف كم٢. لقد سيطر اليهود على المناطق المرتفعة لكنهم أخفقوا في السيطرة على السهول وخصوصاً أجزاء كبيرة من الساحل الفلسطيني.

وهي أجزاء لم تتم لدولتهم السيطرة عليها إطلاقاً طوال قيامها. وإذا كان يهود هذا الزمان يفاخرون بداود عليه السلام ويعتبرون أنفسهم حاملي لوائه وميراثه، فإن المسلمين يعتبرون أنفسهم أحق بداود من بني إسرائيل، وهم يؤمنون به نبياً من أنبياء الله ويحبونه

ويكرمونه، ويفاخرون به لأنه أنشأ دولة الإيمان القائمة على التوحيد في فلسطين وهم السائرون على دربه الحاملون لرايته في هذا الزمان بعد أن نكص عنها بنو إسرائيل وكفروا وأشركوا ونقضوا عهودهم مع الله.

وَقد أَنْزَلَ الله عَلَى داود الزَّبُور، وَعَلَّمَهُ صَنْعَةَ الدُّرُوع، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَهَا، وَأَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ، وَأَمَرَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ يُسَبِّحُونَ مَعَهُ إِذَا سَبَّح، وَلَمْ يُعْطِ اللَّهُ أَحَدًا مِثْلَ صَوْتِه، كَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ تَدْنُو الْوُحُوشُ حَتَّى يَأْخُذَ بِأَعْنَاقِهَا وَإِنَّهَا لَمُنْصِتَةٌ تَسْمَعُ صَوْتَه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ سبأ: ١٠ – ١١

وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ ص: ١٧ – ٢٠

وَكَانَ شَدِيدَ الِاجْتِهَاد، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْبُكَاء، وَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ نِصْفَ الدَّهْر، وَكَانَ يَحْرُسُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَرْبَعَةُ آلاف، وَكَانَ يَأْكُلُ

مِنْ كَسْبِ يَدِهِ. كَانَ يَعْمَلُ كُلَّ يَوْمٍ دِرْعًا يَبِيعُهَا بِسِتَّةِ آلَافِ دِرْهَم، ولَمَّا كَثُرَ الشَّرُّ وَشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيل، أُعْطِيَ دَاوُدُ سِلْسِلَةٌ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَكَانَتْ مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِس، وَكَانَتْ مِنْ ذَهَب، فَإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلَانِ فِي حَقّ، فَأَيُّهُمَا كَانَ مُحِقًّا وصل إليها ونَالَهَا، وَالْآخَرُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلًا لُؤْلُؤَة، فَجَحَدَهَا وأنكرها، وَاتَّخَذَ عُكَّازًا وخبَّأها فيه، فَلَمَّا حَضَرَا عِنْدَ السِّلْسِلَةِ تَنَاوَلَهَا الْمُدَّعِي فوصل إليها، فَلَمَّا قِيلَ لِلْآخَر: خُذْهَا بِيَدِك. عَمَدَ إِلَى الْعُكَّاز، فَأَعْطَاهُ الْمُدَّعِي وَفِيهِ تِلْكَ اللُّؤْلُؤَة، ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّلْسِلَةَ فوصل إليها، فَأَشْكَلَ أَمْرُهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل، فرُفِعَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ.[1]

وها هو الكتاب المقدس كعادته يعود إلى القصص الخليعة مرة أخرى فيذكر لداود عليه السلام قصة مكذوبة مرذولة فقد جاء في " العهد القديم " صموئيل الثاني ، الإصحاح الحادي عشر (ص ٤٩٨) ما نصُّه : وأما داود فأقام في أورشليم ، وكان وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدّاً.

---

[1] البداية والنهاية ط هجر (٢/ ٣٠٨).

فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه " بَثْشَبَعَ بنت أَلِبعَام " امرأة أُوريا الحثي ، فأرسل داود رسلاً وأخذها ، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مُطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة ، فأرسلت وأخبرت داود.

وقالت : إني حبلى !! ... .فكتب داود مكتوبًا إلى يواب وأرسله بيد أوريا ، وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وأرجعوا مَن وراءه ، فيُضرَب ويموت.

وكان في محاصرة يواب المدينة : أنه جعل أوريا في الموضع الذي علم أن رجال البائس فيه ، فخرج رجال المدينة وحاربوا يواب فسقط بعض الشعب من عبيد داوود ، ومات أوريا الحثي أيضاً.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلها ، ولما مضت المناحة أرسل داوود وضمها إلى بيته ، وصارت له امرأة ، وولدت له ابناً!.

وقد تسرَّبت هذه القصة القبيحة إلى بعض كتب التفسير، فذكروها عند قوله تعالى:
﴿۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ ص: ٢١
قال ابن حزم – رحمه الله – بعد أن ساق الآيات السابقة - :وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود ، وإنما كان ذلك الخصم قوماً من

بني آدم بلا شك مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم ، بغَى أحدهما على الآخر على نص الآية ، ومَن قال إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء : فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل ، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذّب اللهَ عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة أنه كذَّب الملائكة ؛ لأن الله تعالى يقول: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْم، فقال هو : لم يكونوا قط خصميْن ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له (أَكْفِلْنِيهَا)، فاعجبوا لما يقحم فيه أهل الباطل أنفسهم ، ونعوذ بالله من الخذلان ، ثم كل ذلك بلا دليل ، بل الدعوى المجردة ، وتالله إن كل امرئ منَّا ليصون نفسَه وجارَه المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّض زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، هذه أفعال السفهاء المتهوِّكين الفسَّاق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى ، فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذي أوحى إليه كتابَه وأجرى على لسانه كلامَه ؟! لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله ؟! . وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له : فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة

والاستغفار فعل خير لا يُنكر مِن ملك ولا مِن نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب ...

وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام: وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاه، وقوله تعالى: فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِك، فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما آتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة.

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه، فاستغفر الله تعالى من هذا الظن فغفر الله تعالى له هذا الظن إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة.[١]

وقال ابن كثير – رحمه الله – : قَدْ ذَكَرَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا قِصَّةً أَكْثَرُهَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهَا عَنِ الْمَعْصُومِ حَدِيثٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ وَلَكِنْ رَوَى ابن أبي حاتم حَدِيثًا لَا يَصِحُّ سَنَدُهُ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه وَيَزِيدُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ لَكِنَّهُ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ. [٢]

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٤).

[٢] تفسير ابن كثير ط العلمية (٧/ ٥١)

۞ قصة أصحاب السبت.

وفي زمن داود عليه السلام حدثت قصة أصحاب السبت كما ذكر ابن كثير في البداية والنهاية: وهُمْ أَهْلُ أَيْلَة، بَيْنَ مَدْيَنَ وَالطُّور، كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ التَّوْرَاةِ فِي تَحْرِيمِ السَّبْتِ فِي ذَلِكَ الزَّمَان.

فَكَانَتِ الْحِيتَانُ قَدْ أَلِفَتْ مِنْهُمُ السَّكِينَةَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْم؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَحْرُمُ عَلَيْهِمُ الِاصْطِيَادُ فِيه، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الصَّنَائِعِ وَالتِّجَارَاتِ وَالْمَكَاسِب، فَكَانَتِ الْحِيتَانُ فِي مِثْلِ يَوْمِ السَّبْت، يَكْثُرُ غَشَيَانُهَا لِمَحِلَّتِهِمْ مِنَ الْبَحْر.

فَتَأْتِي مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ظَاهِرَةً آمِنَةً مُسْتَرْسِلَة، فَلَا يُهَيِّجُونَهَا وَلَا يَذْعَرُونَهَا. وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصْطَادُونَهَا فِيمَا عَدَا السَّبْت.

فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِك، احْتَالُوا عَلَى اصْطِيَادِهَا فِي يَوْمِ السَّبْت، بِأَنْ نَصَبُوا الْحِبَالَ وَالشِّبَاكَ وَالشُّصُوص، وَحَفَرُوا الْحُفَرَ الَّتِي يَجْرِي مَعَهَا الْمَاءُ إِلَى مَصَانِعَ قَدْ أَعَدُّوهَا، إِذَا دَخَلَهَا السَّمَكُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

فَفَعَلُوا ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَة، فَإِذَا جَاءَتِ الْحِيتَانُ مُسْتَرْسِلَةً يَوْمَ السَّبْت، عَلِقَتْ بِهَذِهِ الْمَصَايِد، فَإِذَا خَرَجَ سَبْتُهُمْ أَخَذُوهَا، فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ؛ لَمَّا احْتَالُوا عَلَى خِلَافِ أَمْرِه، وَانْتَهَكُوا مَحَارِمَهُ

بِالْحِيَل. فلما ارْتَكَبُوا هَذَا الصُّنْع، اعْتَزَلَهُمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَد، وَنَهَاهُمْ مَنْ نَهَاهُمْ مِنْهُمْ، فَلَمْ يَقْبَلُوا، فَكَانُوا يَبِيتُونَ وَحْدَهُمْ وَيُغْلِقُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَبْوَابًا، حَاجِزًا لِمَا كَانُوا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ هَلَاكِهِمْ.

فَأَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْوَابُ نَاحِيَتِهِمْ مُغْلَقَة، لَمْ يَفْتَحُوهَا، وَارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الضُّحَاء، فَأَمَرَ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَد، رَجُلًا أَنْ يَصْعَدَ عَلَى سَلَالِمَ وَيُشْرِفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، إِذَا هُمْ قِرَدَةٌ لَهَا أَذْنَابٌ يَتَعَاوَوْنَ وَيَتَعَادَوْنَ.

فَفَتَحُوا عَلَيْهِمُ الْأَبْوَاب، فَجَعَلَتِ الْقِرَدَةُ تَعْرِفُ قَرَابَاتِهِمْ، وَلَا تَعْرِفُهُمْ قَرَابَاتُهُمْ، فَجَعَلُوا يَلُوذُونَ بِهِمْ، وَيَقُولُ لَهُمُ النَّاهُون: أَلَمْ نَنْهَكُمْ عَنْ صَنِيعِكُمْ؟ فَتُشِيرُ الْقِرَدَةُ بِرُءُوسِهَا أَنْ نَعَمْ.[1]

وصَارَ شَبَابُ الْقَرْيَةِ قِرَدَةً، وَشُيُوخُهَا خَنَازِير. فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا جميعا. ونجَّى الله الذين أنكروا عليهم هذا المنكر وسكت عن الساكتين.

قال تعالى:

---

[1] البداية والنهاية ط هجر (٢/ ٥٨٥).

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦

۞ وفاةُ داوود.

لَمَّا اسْتَخْرَجَ اللهُ ذُرِّيَّةَ آدم مِنْ ظَهْرِهِ، فَرَأَى فِيهِمُ الْأَنْبِيَاء، عَلَيْهِمُ السَّلَام، وَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يُزْهِر، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُود، قَالَ: أَيْ رَبِّ، كَمْ عُمُرُه؟ قَالَ: سِتُّونَ عَامًا. قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْ فِي عُمُرِه. قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ أَزِيدَهُ مِنْ عُمُرِك. وَكَانَ عُمُرُ آدَمَ أَلْفَ عَام، فَزَادَهُ أَرْبَعِينَ عَامًا، فكان عُمْرُ داوود مِائَةَ سَنَة. وَكَانَ مُدَّةُ مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَة، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَاب، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِع، قَال: فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِّقَتِ الدَّار، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّار، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّار، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْت: مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالدَّارُ مُغْلَقَة؟ وَاللَّهِ

لَتُفْتَضَحُنَّ بِدَاوُود، فَجَاءَ دَاوُود، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّار، فَقَالَ لَهُ دَاوُود: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوك، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْء، فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ -وَاللَّهِ- مَلَكُ الْمَوْت، فَمَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّه، فَرَمَلَ دَاوُودُ مَكَانَه، حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُه.[1]

وحضَر الناسُ جِنَازَةَ دَاوُود، عَلَيْهِ السَّلَام، فَجَلَسُوا فِي الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ صَائِف، وَكَانَ قَدْ شَيَّعَ جِنَازَتَهُ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَاهِب، عَلَيْهِمُ الْبَرَانِس، سِوَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاس.

وَلَمْ يَمُتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيل - بَعْدَ مُوسَى وَهَارُون - أَحَدٌ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ جَزَعًا عَلَيْهِ مِنْهُمْ عَلَى دَاوُود.

فَآذَاهُمُ الْحَرّ، فَنَادَوْا سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَام، أَنْ يَعْجَلَ عَلَيْهِمْ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْحَرّ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فَنَادَى الطَّيْرَ فَأَجَابَتْ، فَأَمَرَهَا فَأَظَلَّتِ النَّاس، فَتَرَاصَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنْ كُلِّ وَجْه، حَتَّى اسْتَمْسَكَتِ الرِّيح، فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَهْلِكُوا غَمًّا، فَصَاحُوا إِلَى سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَام، مِنَ الْغَمّ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فَنَادَى الطَّيْرَ أَنْ أَظِلِّي النَّاسَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمْسِ، وَتَنَحِّي عَنْ نَاحِيَةِ الرِّيحِ. فَفَعَلَتْ،

---

[1] مسند أحمد (١٥/ ٢٥٥).

فَكَانَ النَّاسُ فِي ظِلٍّ وَتَهُبُّ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا رَأَوْهُ مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ.

۞ مُلْكُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُود.

لَمَّا تُوُفِّيَ دَاوُود، مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ سُلَيْمَانُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ ابْنَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَآتَاهُ اللَّهُ مَعَ الْمُلْكِ النُّبُوَّةَ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ، وَالْجِنَّ، وَالشَّيَاطِينَ، وَالطَّيْرَ، وَالرِّيحَ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى مَجْلِسِهِ عَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَقَامَ لَهُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ حَتَّى يَجْلِسَ.

وَكَانَ أَبُوهُ يَسْتَشِيرُهُ فِي حَيَاتِهِ وَيَرْجِعُ إِلَى قَوْلِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَصَّهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ﴾ الأنبياء: ٧٨

وَكَانَ خَبَرُهُ: أَنَّ غَنَمًا دَخَلَتْ بستانا من العنب فَأَكَلَتْ عَنَاقِيدَهُ وَأَفْسَدَتْهُ، فَقَضَى دَاوُدُ بِالْغَنَمِ لِصَاحِبِ العنب، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ: أَنْ تُسَلِّمَ العنب إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومَ عَلَى إصلاحها حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ العنب فينتفع بها إِلَى أَنْ يَعُودَ عنبه إِلَى حَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذَ عنبه، وَيَدْفَعَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا. فَأَمْضَى دَاوُدُ قَوْلَهُ قَالَ اللَّهُ تعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ

الْغَـزْوِ، وَكَـانَ إِذَا أَرَادَ الْغَـزْوَ أَمَـرَ بِعَمَـلِ بِسَـاطٍ مِـنْ خَشَـبٍ يَسَـعُ عَسْـكَرَهُ وَيَرْكَبُـونَ عَلَيْـهِ هُـمْ وَدَوَابُّهُـمْ وَمَـا يَحْتَـاجُونَ إِلَيْـهِ، ثُمَّ أَمَـرَ الـرِّيحَ فَحَمَلَتْـهُ فَسَـارَتْ فِي غَدْوَتِـهِ مَسِـيرَةَ شَـهْرٍ وَفِي رَوْحَتِـهِ كَـذَلِكَ، وَكَـانَ لَـهُ ثَلاثُمِائَـةِ زَوْجَةٍ وَسَبْعُمائَةِ سَرِيَّة.

وقـد وهـب الله سـبحانه سـليمان مُلْكـاً لا يحصـل لأحـد بعـده فقـد سـخر الله لـه الجـن لخدمتـه كمـا سـخر لـه الـريح تجـري بـأمره، واشـتهر سـليمان بحكمتـه وعدلـه وقـوة سـلطانه، كمـا علمـه الله لغـةَ الطـير والحيوانات .

لقـد كـان ملـك سـليمان بحـد ذاتـه معجـزة ربانيـة أعطاهـا الله لـه دلالـة علـى نبوتـه، وقـد نعمـت فلسـطين بهـذا الحكـم الإيمـاني المعجـزة الـذي تدعمـه قـوى الجـن والإنـس والطـير والـريح، وكـرَّم الله سـليمان بمعجـزة إسـالة النحـاس لـه حـتى كـان يجـري كأنـه عـين مـاء متدفقـة مـن الأرض، وشهدت مملكة سليمان حركة بناء وعمران ضخمة.

ولقـد جـاء ذِكْـرُ سـليمان مـرات عديـدة في القـرآن الكـريم مشـيراً إلى عمله ومُلْكِه ونبوته، قال تعالى محدثاً عن سليمان:

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧

وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا
لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ ص: ٣٥ - ٤٠

وقال تعالى:

﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ
هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ
يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ النمل: ١٦ - ١٧

وقال تعالى:

﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن
يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ
دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٢ - ١٣

وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨١

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡوَهَّابُ ﴾ كانت دعوة نبي مجابة، فإذا قرأت هذه الآيات ظهر لك أنَّه مُلْكٌ لن يُعطى لأحد من بعده أبدًا، أي إنه أعظم من

حضارتنا وعلمنا. سُخِّرت فيه الرياح والجبال والطير والوحوش مع الإنس والجن تحت أمره وسلطانه، وأُقيمت فيه مملكة عظيمة من الصروح والتماثيل وفنون الجان.

والتماثيل: منحوتات ونقوش ومجسمات. وجفان كالجواب: أي قصاع عظيمة على شكل صحون كالأحواض العظيمة التي يجمع فيها الذي يسقى به الأشجار والزروع. والقدور الراسيات: هي قدور ضخمة كان يصعد إليها بالسلالم والحبال.

أما عين القِطْر: فهو النحاس المذاب، فقد أسال الله له النحاس كأنه عين ماء.

ومن عجائب ما أوتي النبي سليمان من الملك والآيات العظام: التماثيل التي عملتها له الجن.

والتمثال هو ما صُوِّرَ على مثل شيء آخر، وقد نقل السيوطي في تفسيره: عن الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: اتخذ سليمان عليه السلام تماثيل من النحاس

فقال: يا رب انفخ فيها الروح فإنها أقوى على الخدمة والجهاد في سبيلك، فنفخ الله تعالى فيها الروح فكانت تخدمه وتقاتل معه.[١]

ومنها ما ذكره مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَان قال: لما سارت بلقيس إلى سليمان، أَمَرَتْ بِسَرِيرِ مُلْكِهَا، الَّذِي كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَيْهِ، وَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ مُفَصَّصٍ بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ وَاللُّؤْلُؤ، فَجُعِلَ فِي سَبْعَةِ أَبْيَات، بَعْضُهَا فِي بَعْض، ثُمَّ أَقْفَلَتْ عَلَيْهِ الْأَبْوَاب، ثُمَّ قَالَتْ لِمَنْ خَلَّفَتْ عَلَى سُلْطَانِهَا:

احْتَفِظْ بما قِبَلَكَ وَسَرِيرِ مُلْكِي، فَلَا يَخْلُصُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّه، وَلَا يَرَيَنَّهُ أَحَدٌ حَتَّى آتِيَك، فَجَعَلَ سُلَيْمَانُ يَبْعَثُ الْجِنَّ يَأْتُونَهُ بِمَسِيرِهَا وَمُنْتَهَاهَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَة، حَتَّى إِذَا قربت منه، جَمَعَ مَنْ عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ النمل: ٣٨ – ٣٩، أَيْ قَوِيٌّ عَلَى حَمْلِهِ، أَمِينٌ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوْهَر، فقال سليمان عليه الصلاةُ والسلام: أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِك، وَمِنْ هَاهُنَا يَظْهَرُ أن سُلَيْمَان، أَرَادَ بِإِحْضَارِ هَذَا السَّرِير، إِظْهَارَ عَظَمَةِ ما وهب الله له من المِلْك، وما سَخَّر لَهُ مِنَ الْجُنُودِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ قَبْلَه، وَلَا يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِه، وَلِيَتَّخِذَ ذَلِكَ حُجَّةً عَلَى نُبُوَّتِه، عِنْدَ بلقيسَ وَقَوْمِهَا.

---

[١] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٦٧٩).

لِأَنَّ هَـذَا خَـارِقٌ عَظِـيمٌ، أَنْ يَـأْتِيَ بِعَرْشِـهَا كَمَـا هُـوَ مِـنْ بِلَادِهَـا، قَبْـلَ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْه، هَذَا وَقَدْ حَجَبَتْهُ بِالْأَغْلَاقِ وَالْأَقْفَالِ وَالْحَفَظَة.

فَلَمَّا قَالَ سُلَيْمَانُ أُرِيدُ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِك: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ النمل: ٤٠
أَيِ ارْفَـعْ بَصَـرَكَ وَانْظُـرْ مَـدَّ بصـرك، ممـا تقـدر عَلَيْـهِ، فَإِنَّـكَ لَا يَكِـلُّ بَصَـرُك، إِلَّا وَهُـوَ حَاضِـرٌ عِنْـدَك، فلَـمْ يَشْـعُرْ سُـلَيْمان، إِلَّا وَعَرْشُـهَا يُحْمَـلُ بَـيْنَ يَدَيْـه، فَلَمَّـا عَـايَنَ سُـلَيْمَانُ وَمَلَـؤُهُ ذَلِـك، وَرَآهُ مُسْـتَقِرًّا عِنْـدَه، قَـالَ : هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى، أَيْ هَـذَا مِـنْ نِعَـمِ اللَّـهِ عَلَـيّ، لِيَبْلُـوِني، أَيْ لِيَخْتَـبِرَنِي: ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ، أَيْ هُـوَ غَـنِيٌّ عَـنِ الْعِبَـادِ وَعِبَـادَتِهِمْ، كَـرِيمٌ فِي نَفْسِـه، وَإِنْ لَمْ يَعْبُدْهُ أَحَد، فَإِنَّ عَظَمَتَهُ لَيْسَتْ مُفْتَقِرَةً إِلَى أَحَد.

فلَمَّـا جِـيءَ سُـلَيْمَانُ عَلَيْـهِ السَّـلَامُ بِعَـرْشِ بِلْقِـيس قَبْـلَ قُـدُومِهَا، أَمَـرَ بِـهِ أَنْ يُغَيَّـرَ بَعْـضُ صِـفَاتِه، لِيَخْتَـبِرَ مَعْرِفَتَهَـا وَثَبَاتَهَـا عِنْـدَ رُؤْيَتِـه، هَـلْ تُقْـدِمُ عَلَى أَنَّهُ عَرْشُهَا أو أنه ليس بعرشها.

فَقَـالَ نَكِّـرُوا لَهَـا عَرْشَـها نَنْظُـرْ، أَتَهْتَـدِي أَمْ تَكُـونُ مِـنَ الَّـذِينَ لَا يَهْتَدُون. فَلَمَّا جاءَتْ قِيلَ أَهكَذا عَرْشُكِ؟!

فَكَانَ فِيهَا ثَبَاتٌ وَعَقْل، وَلَهَا لُبٌّ وَدَهَاءٌ وَحَزْم، فَلَمْ تُقْدِمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ لِبُعْدِ مَسَافَتِهِ عَنْهَا، وَلَا أَنَّهُ غَيْرُه، لِمَا رَأَتْ مِنْ آثَارِهِ وَصِفَاتِه، وَإِنْ غُيِّرَ وَبُدِّل، فَقَالَتْ: كَأَنَّهُ هُو. أَيْ يُشْبِهُهُ وَيُقَارِبُه.

فقيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْح، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً، وَكَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها، وَذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ الشَّيَاطِينَ فَبَنَوْا لَهَا قَصْرًا عَظِيمًا مِنْ قَوَارِير. أَيْ مِنْ زُجَاجٍ وَأَجْرَى تَحْتَهُ الْمَاء، فَالَّذِي لَا يَعْرِفُ أَمْرَه، يَحْسَبُ أَنَّهُ مَاء، وَلَكِنَّ الزُّجَاجَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَاشِي وَبَيْنَه، وأراد سليمان بذلك أن يبين لها أن الحق قد يشتبه بالباطل، وأن الكفر كالسراب يظنه الرائي ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

فبَهَرَهَا مَا رَأَتْ مِنْ حكمة سليمان وأنه صَادِقٌ فِيمَا دَعَاهَا إِلَيْه، وَأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلِمَتْ أَنَّ دِينَهَا وَدِينَ قَوْمِهَا بَاطِل، فَاعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا ظَلَمَتْ نَفْسَهَا فِي اتِّبَاعِ الضَّلَال، بِعِبَادَةِ الشَّمْس. فَقَالَتْ: أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِين.

ومن هذه اللحظة بدأت قصة أهل اليمن مع اليهود المثيرة للجدل والتي سنبين تفاصيلها قريبا.

ومن الأمور العجيبة التي أُعطِيَها سليمان تسخير الريح له. ذكر ابنُ كثير عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ:

كَانَ يُوضَع لِسُلَيْمَانَ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ كُرْسِيّ، فَيَجْلِس مِمَّا يَلِيهِ مُؤْمِنُو الْإِنْس، ثُمَّ يَجْلِس مِنْ وَرَائِهِمْ مُؤْمِنُو الْجِنّ، ثُمَّ يَأْمُرُ الطَّيْرَ فَتُظِلُّهُمْ، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَحْمِلُه.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْد بْنِ عُمَيْر: كَانَ سُلَيْمَانُ يَأْمُرُ الرِّيح، فتجتمع كالطَّود الْعَظِيم، ثُمَّ يَأْمُرُ بِفِرَاشِهِ فَيُوضَعُ عَلَى أَعْلَى مَكَانٍ مِنْها.

ثُمَّ يَدْعُو بفَرَسٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَة، فَتَرْتَفِعُ حَتَّى تَصْعَدَ عَلَى فِرَاشِه، ثُمَّ يَأْمُرُ الرِّيحَ فَتَرْتَفِعُ بِهِ كُل شَرَف دُونَ السَّمَاء، وَهُوَ مُطَأْطِئٌ رَأْسَه، مَا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا تَعْظِيمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلّ، وَشُكْرًا لِمَا يَعْلَمُ مِنْ صِغَرِ مَا هُوَ فِيه، فِي مُلْكِ الله تعالى، حَتَّى تَضَعَهُ الرِّيحُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ تَضَعَه.[1]

ومن ذلك أن الله سخّر له من الشياطين من يغوصون في أعماق البحار ليجلبوا له اللآلئ وغيرها، ومنهم من يعمل في البناء والغوص.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٥/ ٣١٤)

ومنهم من قُيِّدَ بالأصفاد، وكان الله يحفظه من شرهم، فلا يجرؤ أحد منهم على الاقتراب منه، بل هم جميعًا تحت سلطانه، يطلق من يشاء ويحبس من يشاء.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾ ص: ٣٨
وقد قامت اليهود بإضلال الناس واختلاق الأكاذيب ووصفوا سليمان بالساحر والعياذ بالله.

وادعوا أن كل تلك الخوارق والمعجزات حصلها عليها سليمان عن طريق السحر والشياطين وألصقوا هذه الافتراءات بخاتمه عليه السلام.

فهم يعتبرون نبي الله سليمان مجرد ملك من ملوك بني إسرائيل فقط ولا يثبتون له النبوة، وقد أنزل الله آية عظيمة تبرئ عبده سليمان من السحر والكفر.

قال جل في علاه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢، تقول اليهود عليهم ما يستحقونه من الله: إن خاتماً كان يملكه النبي سليمان عليه السلام أعطاه القدرة على قيادة الشياطين والجن والحديث مع الحيوانات.

وهو عبارة عن نجمة سداسية على غرار نجمة داود عليه السلام، اتخذها بنو صهيون شعاراً لهم. إذ يذكرون في كتبهم أن الخاتم به قوى سحرية ومصدراً للقوة اليهودية.

ورد في تلمود اليهود مما حرَّفوا وكذَبوا فيه على الله: أن النبي سليمان كان لديه خاتم منقوش عليه الاسم الأعظم الذي انقاد بتأثيره كل الإنس والجن والغيلان والحيوانات، فسخرها لنفسه وقوى بها مملكته.

ولا ينسى اليهود أن يدنسوا عرض نبي الله سليمان ولا يفوتهم ذلك فقد ذكروا أن سليمان أراد أن يدخل الخلاء، فأعطى إحدى نسائه وكان اسمها الجرادة خاتمَه.

فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها : هاتي خاتمي . فأعطته، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها : هاتي خاتمي، فقالت : قد أعطيته سليمان.

قال : أنا سليمان قالت : كذبت لست سليمان، فجعل لا يأتي أحدا يقول : أنا سليمان، إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، وقام الشيطان يحكم بين الناس.

فلما أراد الله أن يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن : هل تنكرن من سليمان شيئا؟ قلنا : نعم، إنه يأتينا ونحن حُيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك، فلما رأى ذلك الشيطان أنه قد فطن له بعث بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته.

وكان سليمان يحمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان فقال : تحمل لي هذا السمك؟ قال : نعم ، بكم؟ قال : بسمكة من هذا السمك.

فحمل سليمان السمك، ثم انطلق به إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى بابه، أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها.

فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين، وعاد إلى حاله.

وللأسف فقد تسربت هذه القصة المكذوبة إلى بعض تفاسير القرآن ولكن المحققين ردوها وبينوا بطلانها.

قال النسفي في تفسيره : "وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان، في بيت سليمان عليه السلام : فمن أباطيل اليهود ."[١]

وقال الزمخشري في الكشاف بعد أن ذكر قصة الخاتم : ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله، وقالوا هذا من أباطيل اليهود.[٢]

وقال القرطبي في تفسيره لسورة ص : "وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان، حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق، وهم مع الشيطان في باطل.[٣]

الحِمْيَرِيون والضربةُ القاصمة.

وكان من الأحداث المهمة التي حصلت في زمن سليمان عليه السلام إسلام أهل اليمن ومَلِكَتُهم بلقيس في قصة شهيرة ذكرها القرآن.

ولم يكن إسلام الحِمْيَرِيين ودخولهم في دين سليمان شيئا عابرا لأنهم كانوا ملوك الأرض حينها.

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٥٦).

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٩٤)

(٣) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠١)

فبعد أن اكتملت أسباب القوةِ والمُلْكُ لنبي الله سليمان عليه السلام، وحان الوقت لقيام مملكة سليمان الإسلامية العظيمة التي تدير شؤون البشر بمنهج إلهي عادل.

حُشِرَ لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير لخدمة هذه القضية الإلهية المقدسة.

وبدلاً من أن يزحف سليمان إلى جميع أقطار الأرض لفتحها وتحريرها من ظلم طغاة البشرية.

ألهَمَهُ الله أن يقوم بعمل يختصر له قيام هذا المشروع العظيم. وهو إسلام الحِمْيَرِيين الذين كانوا يُحْكِمُون السيطرة على الاقتصاد العالمي والتجارة البحرية.

فلما أسلم الحِمْيَرِيون، أصبحوا جزءًا من مملكة النبي سليمان عليه السلام، وساهموا إسهامًا كبيرًا في نجاح الدعوة وتبليغها إلى الآفاق حتى أصبح سليمان أحد الأربعة الذين ملكوا الأرض كلها.

ولكن بعد موت النبي سليمان عليه السلام دخل بنو إسرائيل في صراع على المُلْك فيما بينهم، وانقسمت مملكتهم كما سيأتي بيانه لاحقا، وضيعوا مشروع نبي الله سليمان ومملكته العظيمة.

ولأن الحِمْيَرِيين في اليمن كانوا جزءًا من مملكة النبي سليمان عليه السلام، فقد حملوا أعباءها وقاموا باستكمال مشروع النبي سليمان عليه السلام الذي بدأه بعد أن تخلى عنه بنو إسرائيل في الشام.

ولكن كان موقف بني إسرائيل من الحِمْيَرِيين بعد أن استبدلهم الله بهم وأورثَهم مملكة سليمان ومشروعه العظيم، كان موقفا سلبيا لكونهم من غير جنس بني إسرائيل، وكانت نظرةُ اليهود للحِمْيَرِيين نظرة حسد وبغض وازدراء؛ لأنهم أرادوا احتكار الرسالة والتفضيل لهم من دون سائر الخلق، وكانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار وبقية الناس عبيد لهم لا يستحقون أن يكونوا يهودًا.

فضلاً عن أن يتبنوا مشروع الرسالة كما فعل الحِمْيَرِيون، بل إنهم تعاونوا مع كل أعداء الحِمْيَرِيين وشجعوهم على تدمير مملكة حِمْيَر.

بل إنهم قاموا بتشويه تاريخ مملكة حِمْيَر وإخفاء الكثير منه؛ لأن تاريخ مملكة حمير يشكل خطرًا على يهود بني إسرائيل وعقيدتهم المحرفة في الماضي والحاضر.

ولا يزال تاريخ مملكة حِمْيَر يشكل خطرًا على يهود بني إسرائيل إلى اليوم؛ لأن الحركة الصهيونية المعاصرة قامت بتأسيس إسرائيل على

فكــرةٍ وعقيــدةٍ إســرائيلية محرَّفــة، وهــذه الفكــرة ينســفها التــاريخ الحِمْــيَرِي نسفًا.

فقــد اعتمــد الصــهاينة لتأســيس إســرائيل علــى الوعــد الإلهــي المزعــوم لبــني إســرائيل بإعطــائهم أرض كنعــان مــن الفــرات إلى النيــل، ولكــن هــذا الوعد يشترط أن يكون اليهود جميعًا من جنس بني إسرائيل.

ولــيس مــن أمــة أخــرى؛ لــذلك فــإن اليهــود الصــهاينة يزعمــون أن كــل يهــود العــالم مــن جــنس بــني إســرائيل، وليســوا مــن أمــة أخــرى؛ ويزعمــون أن أنبيــاءهم لم يكونــوا يــدعون أحــدًا للــدين غــير جــنس بــني إســرائيل؛ لأنهــم أمــة الرســالة وشــعب الله المختــار وعلــى هــذا الأســاس قــام الصــهاينة بالتعــاون مــع دول غربيــة بتجميــع اليهــود مــن كــل بقــاع الأرض وإسكانهم في فلسطين.

لكــن تــاريخ الدولــة الحِمْيَرِيــة القــديم يَنْسِــفُ هــذه الفكــرة الصــهيونية مــن جــذورها؛ لأن الحِمْيَرِيــين لم يكونــوا مــن جــنس بــني إســرائيل، بــل كــانوا عربًا قحطانيين، ومع ذلك كانوا يهودًا بمفهوم ذلك العصر.

ويتبعون الدين الحقيقي الذي أُرسِلَ به أنبياء بني إسرائيل، وقد كان كثير من أهل اليمن يعتنقون اليهودية عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما أرسله إلى اليمن إنك تأتي قوما أهل كتاب ... الحديث.

ولكنهم أسلموا مباشرة عند دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم إلى الإسلام، بعكس يهود يثرب وخيبر الذين لم يؤمنوا برسول الله أبدًا، وفضلوا عداوته إلى الأبد مع معرفتهم له حق المعرفة بأنه النبي الذي بشرت به التوراة؛ لأنهم كانوا من يهود بني إسرائيل جنسًا، الذين أرادوا احتكار الرسالة فيهم، لذلك لم يقبلوا برسولٍ من غير جنسهم.

ولأجل هذا حاولوا إخفاء التاريخ الحقيقي لمملكة حِمْيَرَ اليمنية وطمس ما يشير إلى علاقتهم بالشريعة اليهودية ومملكة النبي سليمان عليه السلام.

ولهذا السبب يحاول اليهود استباقها بالتمهيد لفكرة صهيونية جديدة نسمع عنها كثيرًا هذه الأيام، ويروج لها مفكرون عرب وهي أن الحِمْيَرِيين من بني إسرائيل.

وبني إسرائيل قبيلة سبئية يمنية، والتوراة كتاب يمني، بل إن تاريخ بني إسرائيل جزء من تاريخ اليمن. كل هذا لأن تاريخ الحِمْيَرِيين الحقيقي يحرج الصهاينة ويهدد وجود دولتهم المزعومة.

فلم يعد لهم سوى أن يقولوا: إن الحِمْيَرِيين من بني إسرائيل ليبرروا لنا سبب اعتناق الحِمْيَرِيين لليهودية، وليقولوا لنا إنه ليس من حق أي أحد أن يكون يهوديًا. كل هذا حتى لا تتأثر الفكرة الصهيونية التي نشأت عليها إسرائيل المحتلة. وليس هذا هو الهدف فحسب، بل إن بعض المفكرين يرون أن هذه النظرية التي تقول بأن الحِمْيَرِيين من بني إسرائيل، يهدف اليهود من خلالها إلى التمهيد لاحتلال اليمن مستقبلاً.

فما دام أن الحِمْيَرِيين، ملوك اليمن العظماء والتبابعة الحكماء الذين يفتخر بهم اليمنيون ليل نهار وعلى مر قرون من الزمان، ما دام أنهم من بني إسرائيل، فمن حق اليهود أن يكون لهم وطنٌ قوميٌ في اليمن كما فعلوا في فلسطين.

عصر الانقسام

بعــد وَفَــاة سُــلَيْمَان عَلَيْــهِ الصَّــلَاة وَالسَّــلَام اجْتمــع بَنــو إِسْــرَائِيل فِي أورشــليم لتنصــيب رحبعــام بــن سُــلَيْمَان مَكَــان أَبِيــه، وَلَكــنهُمْ اشــترطوا عَلَيْهِ تَخْفيف الْأَحْكَام الَّتِي فَرضهَا عَلَيْهِم سُلَيْمَان.

لكنــه رفــض ذَلِــك فانحــاز مُعظــم الشّــعب (١٠ أَسْــبَاط) إِلَى مبايعــة يربعــام بــن نبــاط (وَكَــانَ أحــد قــادة جيــوش سُــلَيْمَان فانشــق عَنــهُ وهــرب إِلَى مصر وَعَاد إِلَى فلسطين بعد وَفَاة سُلَيْمَان).

وَبَــايع سِــبْطَا يهــوذا وبِنْيَــامِين رحبعــام، وَبِهَــذَا انقســمت مملكــة بــني إِسْــرَائِيل إِلَى دولتــين متنــازعتين.[١] ومــن المهــم والطريــف أن نلاحــظ أن حــدود هــاتين الــدولتين تتفــق إلى حــد أو آخــر لا مــع رقعــة اسـرائيل المزعومة حاليا وإنما مع رقعة الضفة الغربية.

ولم تعــد قــوة المملكتــين علــى حالهــا إبــان عصــر مملكــة داود الموحــدة وجيشــه الجــرار، فانفصــلت آدوم عــن مملكــة يهــوذا، وانفصــلت مــوآب عن مملكة إسرائيل.

---

[١] موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة (ص: ٢٥٦).

وأصبحت المملكتان صغيرتين وضعيفتين في مواجهة شعبين من أقوى شعوب الأرض: شعب آشور، وشعب مصر.

وكان الملك أكثر استقرارًا في مملكة يهوذا مقارنة بمملكة إسرائيل، التي لم تستطع أي عائلة الاحتفاظ بالحكم فيها لأكثر من بضعة أجيال من دون أن تأتي عائلة أخرى وتحكم إسرائيل.

إلى أن انهارت مملكة إسرائيل تمامًا أمام قوة آشور التي قضت عليها، ومن عاش منها حاول الهرب جنوبًا إلى مملكة يهوذا الأكثر استقرارًا، والتي ظل نظام الحكم فيها من نفس العائلة التي يُعتَقَدُ أنها من نسل داود من سبط يهوذا.

هذه الطريقة في تداول السلطة بالتوارث حفظت أوضاع الحكم بشكل أكثر استقرارًا لقرن إضافي بعد انهيار مملكة إسرائيل.

ولا ينسى اليهود الافتراء على نبي الله سليمان بأنه كان سبب انقسام المملكة ففي سفر الملوك الأول: أنه بسبب خطايا سليمان، أعلن الرب أنه سينزع المملكة عنه ليهبها إلى واحد من عبيده (أي عبيد سليمان).

ويفترون عليه افتراء عظيما بأنه عبد الأوثان وترك عبادة الله تأثرًا بزوجاته الأجنبيات، يقول سفر الملوك: وكان في زمن شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. (الملوك الأول ١١: ٤-٦).

۞ مملكة إسرائيل

وبعد الانقسام استمرت مملكة إسرائيل منذ ٩٣٠ ق.م. مع بداية الانقسام، وكان أول ملوكها يربعام بن ناباط، وانتهت بالسبي إلى آشور سنة ٧٢٢ ق.م.

وآخر ملوكها هوشع بن أيلة. أي أنها استمرت نحو مائتين وثماني سنين. وتوالى على مملكة إسرائيل تسعة عشر ملكًا فنشروا العبادات الوثنية في أرجاء البلاد، ولم يستجيبوا لأنبياء الله.

وفي هذه المملكة عاش إيليا النبي، وتلميذه أليشع ، ولم يستمر الملك في المملكة الشمالية في عائلة واحدة، ولكنه انتقل إلى تسع عائلات عن طريق الاغتيالات.

فاغتيل ثمانية من ملوكها وهم ناداب بن يربعام، وأيلة بن بعشا، وزمري الذي مات منتحرًا عند حصاره، وياهورام بن أخآب، وزكريا بن يربعام، وشلُّوم بن يابيش، وفقحيا بن محنيم، وفقح بن رمليا.

وملوكها على الترتيب هم:

يربعام بن نابـاط: من سبط أفرايم، من صردة، ابن امرأة أرملة تُدعى صَرُوعة ومَلَكَ لمدة ٢٢ سنة.

كان رجلا جبارا، أقامه سليمان رقيبًا على أعمال سبطي منسّى وأفرايم فأراد الانقلاب على سليمان عليه السلام، ولكنه فشل فهرب إلى شيشنق فرعون مصر أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين.

الذي أحسن استقباله، لأنه كان يطمع في الاستيلاء على فلسطين وبعد موت سليمان عاد يربعام إلى فلسطين وانشقت المملكة بسبب مشورة الأحداث لرحبعام بن سليمان، فملك يربعام بن نابـاط على عشرة أسباط.

وبنى شكيم وسكن فيها، ثم بنى فنوئيل. وخشى يربعام من عودة الشعب للعبادة في هيكل أورشليم فيأخذه الحنين، ويرتد عن مملكة يربعام، فصنع عجلي ذهب أقام أحدهما في دان والآخر في بيت إيل.

يقول هنري روسييه: لقد كان يربعام سياسيًا بارعًا، وأقام واحدًا من العجلين في بيت إيل على حدود يهوذا، والعجل الآخر في دان على

الحدود الشمالية للمنطقة، ورسم العبادة على ذات صورة العبادة المرسومة في ناموس موسى.

وحلَّ محل الهيكل، بيت المرتفعات واستبدل الكهنوت اللاوي بالكهنة من كل فئات الشعب لم يكونوا من بني لاوي وكما كان لإسرائيل عيد المظال فإن يربعام أقام كذلك عيدًا ولكن متأخرًا عن موعده بشهر.

وأقام مذبحًا في بيت إيل بديلًا عن المذبح النحاسي وأقامه أمام الوثن وأوقد عليه البخور بدلًا من المحرقات وكل هذا ابتدعه من عنده.

ناداب بن يربعام: مَلَكَ على إسرائيل في السنة الثانية لحكم آسا ملك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سنتين واغتاله بعشا بن أخيا، من سبط يسّاكر وأحد قواده، اغتاله وهو يحاصر جبثون التابعة للفلسطينيين، في السنة الثالثة لحكم آسا، وأباد بِعْشَا كلَّ بيت يربعام .

بِعْشَا بن أَخِيَا: من سبط يسّاكر، اغتال ناداب بن يربعام، وأباد كل بيت يربعام حتى لم يتبقَ منه نسمة، ومَلَكَ عوضًا عنه، في السنة الثالثة لحكم آسا ، مَلَكَ على إسرائيل لمدة أربعة وعشرين سنة كان بينه وبين آسا ملك يهوذا حربًا كل أيامهما .

أيلة بن بِعْشَا: من سبط يَسَّاكَر، ومَلَكَ بعد موت أبيه في السنة السادسة والعشرين لحكم آسا مَلِك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سنتين كان يشرب ويسكر فاغتاله زمري أحد قادة الجيش في السنة السابعة والعشرين لحكم آسا.

زمري: كان رئيسًا لنصف مركبات الجيش، وقد استغل مركزه في اغتيال أيلة بن بِعْشَا، بينما كان الجيش يحاصر جبَّثون التابعة للفلسطينيين.

وقد اغتاله في السنة السابعة والعشرين لحكم آسا ملك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سبعة أيام فقط فعندما سمع الجيش بأخبار اغتيال زمري لأَيْلَة، نصَّب عمري رئيس الجيش مَلِكًا على إسرائيل، فترك جبَّثون وحاصر ترصة وأخذ المدينة، فدخل زمري إلى قصر بيت الملك وأحرق القصر مع بيت الملك فمات.

عمري: كان قائدًا لجيش بني إسرائيل في أيام أيلة بن بعشا، وانتقم من زمري قاتل سيده، وانقسم الشعب على نفسه، فمنهم من رشح تبنِي ومنهم من رشح عمري فمات تبنِي ومَلَكَ عمري في السَّنَة الحادية والثلاثين لحكم آسا ملك يهوذا، ومَلَكَ اثنى عشر سنة.

وأنشأ مدينةَ السامرة وجعلها عاصمة لِمُلْكه بدلًا من تَرْصَة ومات ودُفِنَ فيها.

أخآب: مَلَكَ في السامرة بعد موت أبيه عمري، في السنة الثامنة والثلاثين لحكم آسا مَلَكَ يهوذا، ومَلَكَ لمدة اثنين وعشرين سنة فعمل الشر أكثر من جميع الذين ملكوا قبله.

أخزيا بن أخآب: مَلَكَ بعد مقتل أبيه في السنة السابعة عشر لحكم يهوشافاط ملك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سنتين، ومات أخزيا ولم يكن له ابن يَخْلُفُه، فتولى المُلْكَ بعده أخوه يهورام. وفي عهده انتهت رسالة إيليا النبي وتولى الرسالة بعده تلميذه أليشع.

يهورام بن أخآب: مَلَكَ عوضًا عن أخيه حزقيا في السنة الثامنة عشرة لحكم يهوشافاط ملك يهوذا، ومَلَكَ اثنتي عشرة سنة في السامرة.

ياهو بن نمشي: كان من قادة الجيش، وأباد كل نسل أخآب ومَلَكَ في السامرة لمدة ثمان وعشرين سنة وحافظ ياهو على استقرار البلاد.

وأسَّس أسرة ملكية توارث فيها الأبناء الحكم لمدة نحو مائة عام، وفي عصره هاجم شلمناصر ملك آشور إسرائيل سنة ٨٤١ ق.م. تارة، وفي سنة ٨٣٧ ق.م. تارة أخرى.

وعندما اغتيل شلمناصر خلَفه ابنه شمس هدد(شمس عاد) الذي مات سنة ٨١٢ ق.م. فخلفته الملكة سميراميس لمدة أربع سنوات.

يهوآحاز بن ياهو: مَلَكَ في السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سبعة عشر عامًا.

يهوآش بن يهواحاز: مَلَكَ في السنة السابعة والثلاثين لحكم يوآش ملك يهوذا.

ومَلَكَ لمدة ستة عشر عامًا في السامرة، ومات أليشع في عصره. ثم مات ودُفن في السامرة ومَلَك ابنه يربعام عوضًا عنه.

يربعام بن يوآش: وهو يربعام الثاني بعد يربعام بن ناباط ومَلَكَ في السنة الخامسة عشر لحكم أمصيا مَلِك يهوذا.

ومَلَكَ واحدا وأربعين سنة في السامرة، توسع يربعام في حدود الدولة إلى أن وصلت إلى وادي العربة، كما استرجع جميع الأماكن التي استولى عليها الأراميون من قبل.

وشهد عصره نشاطًا اقتصاديًا ضخمًا، ويُعتَبر من أغنى ملوك إسرائيل وأكثرهم رفعة، ومات ودُفِن في السامرة، ومَلَكَ ابنُه عِوَضًا عنه.

زكريا بن يربعام: ملك في السَّنَة الثامنة والثلاثين لحكم عزريا مَلِك يهوذا، ومَلَكَ لمدة ستة أشهر فقط في السامرة، اغتاله شلُّوم بن يابيش، وهو آخر ملوك بيت ياهو.

شلُّوم بن يابيش: مَلَكَ في السنة التاسعة والثلاثين لحكم عُزّيا مَلِك يهوذا، ومَلَكَ فقط لمدة شهر واحد، فثار عليه منحيم بن جادي من تَرْصَة، فجاء منحيم إلى السامرة واغتاله.

منحيم بن جادي: مَلَكَ في السنة التاسعة والثلاثين لحكم عُزّيا ملك يهوذا، ومَلَكَ لمدة عشر سنوات.

فهجم عليه فول تغلث فلاسر الثالث مَلِك آشور، فقدم له محنيم ألف وزنة من الفضة ليثبّته على كرسيه، وفرض مَلِكُ آشور جزية على بني إسرائيل بمعدل ٥٠ شاقل فضة عن كل رجل.

مات منحيم ومَلَكَ بعده ابنه فقحيا.

فقحيا بن منحيم: مَلَكَ في السنة الخمسين لمِلْكِ عُزّيا مَلِك يهوذا، ومَلَكَ لمدة سنتين في السامرة، اغتاله فقح بن رمليا ومعه خمسون رجلًا من الجلعاديين.

فقح بن رمليا: مَلَكَ في السنة الثانية والخمسين لحكم عزريا ملك يهوذا، ومَلَكَ في السامرة لمدة عشرين سنة، اغتاله هوشع بن أيلة بعد أن قامت المجموعة الموالية لآشور بانقلاب ضد فقح، وقد خطط له تغلث فلاسر، فقُتل فقح بن رمليا وتولى الحكم هوشع زعيم المتآمرين.

هوشع بن أيلة: مَلَكَ في السنة الثانية عشرة لآحاز ملك يهوذا، ومَلَكَ في السامرة لمدة تسع سنوات، وظل لعدة سنوات يدفع الجزية لآشور، ولكن المجموعة الموالية لمصر استطاعت إقناعه بالتوقف عن دفع الجزية لآشور، فأرسل رسلًا يستعين بفرعون مصر " سوا"، وامتنع عن دفع الجزية، فجاء شلمناصر ملك آشور وحاصر السامرة لمدة ثلاث سنوات، حتى سقطت في أيام سنحاريب ملك آشور، فألقى هوشع في السجن، وسبى شعب إسرائيل إلى آشور وأحلَّ مهجَّرين بدلًا منهم، فكانت نهاية مملكة إسرائيل سنة ٧٢٢ ق.م.[1]

---

[1] راجع للاستزادة سفر الملوك الأول والثاني.

يقول " المطران يوسف الدبس": "وقد تبيَّن من الآثار المسمارية أن سقوط السامرة كان سنة ٧٢٢ أو ٧٢١ ق.م.، وهذا يطابق ما جاء في سفر الملوك.

۞ مملكة يهوذا.

وأما المملكة الجنوبية فاستمرت خلال الفترة من (٧٣٠ – ٥٨٦ ق.م.) نحو ٣٣٤ عامًا، تولى خلالها الحكم تسعة عشر ملكًا جميعهم من سلالة داود بالإضافة إلى مَلِكة واحدة وهي "عثليا" من نسل عمري ملك إسرائيل، ومن أشهر ملوكهم صلاحًا يوشيا وحزقيا.

يقول " الخوري بولس الفغالي": "لم تعرف مملكة يهوذا منازعات على الحكم مثل مملكة إسرائيل.

وفيما يلي سرد لملوك يهوذا:

رحبعام بن سليمان: تولى الحكم بعد موت أبيه سليمان عليه السلام، تولى " يربعام بن ناباط " حكم العشرة أسباط الشمالية، وتولى " رحبعام " حكم سبطي يهوذا وبنيامين، مَلَكَ رحبعام وله من العمر واحد وأربعون عامًا، ومَلَكَ سبعة عشر سنة في أورشليم. ومات ودُفن مع أبائه في مدينة داود.

أبيـــام بـــن رحبعـــام: مَلَـكَ في الســنة الثانيــة عشــرة لمللــك يربعــام، ومَلَـكَ ثلاث سنين في أورشليم، ومات ودُفن في مدينة داود.

آســا بــن أبيــا: مَلَـكَ في الســنة العشــرين ليربعــام ملــك إســرائيل، ومَلَـكَ في أورشليم واحد وأربعين سنة، وكان ملكا صالحاً.

يهوشــافاط بــن آســا: مَلَـكَ في الســنة الرابعــة لأخــآب، وكــان عمــره حينــذاك خمســة وثلاثــين عامًــا، ومَلَــكَ خمسًــا وعشــرين ســنة في أورشــليم، قــام بإصــلاحات سياســية واقتصــادية ودينيــة، فجعــل جيشًــا في كــل مــدن يهــوذا الحصــينة، وبــنى حصــونًا ومــدن ومخــازن، وأقــام قضــاة في الأرض وأوصــاهم بإقامــة العــدل والابتعــاد عــن الرشــوة، وأطلــق اللاويــين في مــدن يهــوذا ومعهــم ســفر شــريعة الــرب ليعلّمــوا الشــعب، صــاهر أخــآب ملــك إســرائيل ســعيًا وراء الصــلح والســلام، وعلــى أمــل إعــادة الوحــدة بــين المملكتــين، ولكــن لم يتحقــق أملــه، ومــات يهوشافاط ودُفن مع أبائه في مدينة داود.

يهــورام بــن يهوشــافاط: شــارك أبــاه الملــك في الســنة الخامســة ليــورام بــن أخــآب ملــك إســرائيل، وكــان عمــره حــين مَلَــكَ اثنــين وثلاثــين ســنة ومَلَــكَ ثمــان ســنين في أورشــليم، كــان فــاجرا فســلط الــرب عليــه الفلســطينيين، فســبوا نســاءه وأموالــه وأولاده باســتثناء يهواحــاز ابنــه

الأصغر، وأصيب بداء في أمعائه، ومات غير مأسوف عليه، ولم يُدفن في قبور الملوك.

أخزيا أو يهواحاز بن يهورام: مَلَكَ في السنة الثانية عشر ليورام بن أخآب ملك إسرائيل، وكان عمره حين مَلَكَ اثنين وعشرين سنة ومَلَكَ سنة واحدة في أورشليم.

عثليا بنت أخآب: ملكت نحو ست سنوات، أثّرت عثليا على زوجها يهورام، ثم على ابنها أخزيا، فنشرت عبادة الأصنام في مملكة يهوذا في الوقت الذي كادت تتوقف فيه هذه العبادة في المملكة الشمالية، عندما قُتل ابنها أخزيا نصَّبت نفسها ملكة على يهوذا، ولكي تضمن العرش لها قامت بإبادة أحفادها، فلم ينجو غير طفل صغير وهو " يوآش " الذي أخفته عمته " يهوشبع، لمدة ست سنوات، وفي السنة السابعة نصبوه ملكًا، وقتلت عثليا.

يوآش بن أخزيا: مَلَكَ في السنة السابعة لحكم ياهو ملك إسرائيل، وقد مَلَكَ وله من العمر سبع سنوات تحت إرشاد الكاهن يهوياداع، واستمر في الحكم أربعين عامًا، قتله عبيده على سريره، ولم يدفنوه في قبور الملوك.

أمصيا بن يوآش: مَلَكَ في السنة الثانية لحكم يوآحاز ملك إسرائيل، وقد مَلَكَ وله من العمر خمسة وعشرون عامًا، ومَلَكَ لمدة تسعة وعشرين سنة في أورشليم، كان ملكاً صالحا وقد قتل الذين قتلوا أباه، اشتعلت نيران الحرب بينه وبين ملك اسرائيل وأُسر أمصيا، وجاء يوآش ملك إسرائيل وهدم جزءا كبيرا من سور أورشليم، وعاش أيضًا بعد موت يوآش ملك إسرائيل خمسة عشر سنة، وعندما سمع أن هناك مؤامرة تُحاك ضده هرب إلى أخيش، فأرسلوا وراءه رجالًا قتلوه.

عزريا بن أمصيا: ملَكَ في السنة السابعة والعشرين من حكم يربعام الثاني ملك إسرائيل، وكان عمره حين مَلَكَ ستة عشر عامًا، ومَلَكَ لمدة اثنين وخمسين سنة في أورشليم، كان ملكاً صالحا، وحصَّن أورشليم إذ بنى أبراجًا فيها وفي البرية، واهتم بتسليح الجيش وعمل منجنيقات لرمي السهام والحجارة حتى صار أقوى ملوك المنطقة، فكان مصدر خطر على الإمبراطورية الآشورية، وورد اسمه في السجلات الآشورية على أنه يُعمل له ألف حساب.

يوثام بن عُزّيا: مَلَكَ في السنة الثانية لحكم فقح بن رمليا، وكان عمره حينذاك خمسة وعشرون عامًا، ومَلَكَ ستة عشر سنة في

أورشليم، شارك يوثام أباه عُزّيا الحكم آخر أربع سنوات من مُلكه، واستكمل الإصلاحات التي بدأها أبوه، وبنى مدنًا على جبل يهوذا وحارب العمونيين وانتصر عليهم، وفرض جزية سنوية عليهم، ومات ودُفن في قبور الملوك في أورشليم.

أحاز بن يوثام: مَلَكَ في أورشليم وعمره كان حينذاك عشرون سنة، ومَلَكَ ستة عشر عامًا، ومات آحاز فدفنوه في أورشليم .

حزقيا بن آحاز: مَلَكَ على يهوذا في السنة الثالثة لحكم هوشع بن أيلة آخر ملوك إسرائيل، وكان عمر حزقيا حين مَلَكَ خمسة وعشرين سنة، ومَلَكَ في أورشليم لمدة تسعة وعشرين عامًا طهَّر بيت الرب من الأوثان والأصنام وكسر التماثيل التي عبدها بنو إسرائيل، وعمل حزقيا عيد الفصح وعيد المظال، فكان فرح عظيم في أورشليم، فإنه لم يُعمل عيد كهذا منذ أيام سليمان وانطلق الشعب في أرجاء البلاد يزيلون العبادات الباطلة في يهوذا وبنيامين وأفرايم ومنسى، وفي السنة الرابعة للملك حزقيا صعد سنحاريب ملك آشور على مدن يهوذا الحصينة فاستولى عليها، فدفع له حزقيا إتاوة ثلثمائة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب.

منسى بن حزقيا: كان عمره حين مَلَكَ اثني عشر عامًا، ومَلَكَ خمسة وخمسين سنة في أورشليم، أكثر من أي ملك آخر سواء من ملوك يهوذا أو إسرائيل لم يسلك منسى في طريق أبيه حزقيا، بل كان فاسدا وأعاد طقوس الدعارة إلى معبد أورشليم، واستخدم الجان والتوابع، وأضل الشعب وراءه، وسفك منسى دماء بريئة حتى ملأ أورشليم دمًا، واضطهد أنبياء الله حتى أنه نشر إشعياء بالمنشار، فسلط الله على مملكة يهوذا الآشوريين، فأسروا منسى وذهبوا به إلى بابل، ثم عاد مرة أخرى إلى أورشليم، وبنى سورًا خارج مدينة أورشليم، وأزال الأصنام وأمر يهوذا بالعودة إلى عبادة الله، ومات منسى ودُفن في بستان بيته.

آمون بن منسى: كان عمره حين مَلَكَ اثنين وعشرين سنة، ومَلَكَ سنتين في أورشليم لم يتعظ من حياة أبيه منسى، فعبد الأصنام وذبح لجميع التماثيل وعبدها، اغتاله عبيده وهو في بيته.

يوشيا بن آمون: كان عمره حين مَلَكَ ثمان سنوات، ومَلَكَ ٣١ سنة في أورشليم، وفي عهده كان " بسماتيك " ملك مصر القوة الضاربة في الجنوب، ومملكة آشور في الشرق، واحتار بينهما يوشيا، لمن منهما ينضم..؟ أما أرميا النبي فدعى لعدم الاتكال لا على

مصر ولا على آشور، كان ملكاً صالحا قوياً قام بإصلاحات عظيمة، في العشرين من عمره طهَّر أورشليم ويهوذا ومدن منسى وأفرايم وشمعون حتى نفتالي من الأصنام والتماثيل، ويعتبر سليمان الثاني لأنه يشبه سليمان النبي عليه السلام في أعماله، وفي عهده انهارت الإمبراطورية الآشورية وسقطت مدينة نينوى سنة ٦١٢ ق.م.، وضعفت آشور أمام هجمات البابليين، فصعد " نخو الثاني " ملك مصر ابن بسماتيك إلى معركة كركميش لمساعدة ملك آشور " آشور أوباليت في حربه ضد البابليين، فخرج يوشيا " ليتصدى لنخو فرعون مصر ونصحه نخو بالتنحي، قائلًا له: مالي ولك يا ملك يهوذا؟! ولكنه اشتبك مع الجيش المصري في مجدو، فقُتل، وحمله عبيده ودفنوه في أورشليم.

يهوآحاز بن يوشيا: كان أصغر أبناء يوشيا، وكان عمره حين مَلَكَ ثلاثة وعشرين عامًا، ومَلَكَ نحو ثلاثة أشهر وكان " نخو " ملك مصر قد عاد من معركة كركميش، فعزله من الحكم وملَّك ألياقيم أخاه الأكبر، وغيَّر اسمه إلى " يهوياقيم"، وأخذ معه يهواحاز إلى مصر مكبلًا بالأصفاد فمات في مصر.

يهوياقيم بن يوشيا: كان عمره حين مَلَكَ ٢٥ سنة، ومَلَكَ إحدى عشر عامًا. كان فاجرا فاسدا وفي عهده حدث السبي البابلي، فاستعبد نبوخذنصر مملكة يهوذا، ودفع له يهوياقيم الجزية لمدة ثلاث سنين، وأرهق الشعب بالضرائب الباهظة، وحاول الثورة على بابل معتمدًا على مصر.

وفي سنة ٦٠٥ ق.م. زحف نبوخذنصر على أورشليم وقيَّد يهوياقيم بسلاسل من نحاس ليقتاده إلى بابل، ثم عفا عنه، وحدث السبي الأول الذي أُقتيد فيه دانيال النبي وأصدقاؤه.

وفي السنة الخامسة من مُلك يهوياقيم زحف الجيش البابلي على فلسطين وهدم أشقلون. وفي سنة ٦٠١ ق.م. التقى الجيش البابلي مع الجيش المصري أيضًا فدارت معركة طاحنة قرب بيلوزيوم (بورسعيد) وتحمل الطرفان خسارة كبيرة، فعاد نبوخذ نصر إلى بابل سنة ٦٠٠ ق.م. ليقوي جيشه. أما يهوياقيم فقد اعتبر أن عودة نبوخذنصر إلى بابل وهو شبه مهزوم فرصة للتمرد على بابل، بالرغم من تحذيرات أرميا مرارًا وتكرارًا بعدم الاعتماد على مصر لأن نبوخذ ناصر سيعود ثانية، وفعلًا في سنة ٥٩٨ ق.م. عاد نبوخذ ناصر إلى اليهودية وقتل يهوياقيم وأشراف المدينة، وألقى بجثته بجوار السور.

يهوياكين بن يهوياقيم: كان عمره حين مَلَكَ ثماني عشرة سنة، ومَلَكَ فقط نحو ثلاثة أشهر، فحاصر جيش نبوخذ نصر أورشليم: فخرج يهوياكين مع أمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه إلى ملك بابل، فسباهم إلى بابل في ٥٩٧ ق.م.، وسبى نبوخذ نصر عشرة آلاف من سكان أورشليم، وسلب خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وملَّك عوضًا عنه عمه متَّنيا، وغيَّر اسمه إلى صدقيا، وأمضى يهوياكين سبعة وثلاثين سنة في سجن بابل، ثم أفرج عنه أويل مردوخ ملك بابل، الذي كان قد زامله في السجن قبلًا، فكلمه بالخير وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل، وبدَّل ثياب سجنه، وكان يأكل على مائدته كل أيام حياته.

صدقيا بن يوشيا: كان عمره حين مَلَكَ واحد وعشرين سنة، ومَلَكَ إحدى عشرة سنة في أورشليم. وكان ملكًا فاسدا وضعيفًا فكان الشعب يعتبر أن الملك الحقيقي هو يهوياكين الذي سُبي إلى بابل، وعُثر في السجلات البابلية على عبارة أن يهوياكين المقيد في بابل هو ملك اليهودية، وكان المسبيون يحسبون سني سبيهم من سنة سبي ملكهم يهوياكين. وقد سادت العبادة الوثنية بشكل أكبر في عصر صدقيا، وتحوَّلت أورشليم إلى مركز للمؤامرات، وبعد أن كان ولاءه لبابل تحوَّل إلى مصر وشق عصا الطاعة على بابل، ولم يصغِ

لتحذيرات أرميا النبي، فحاصرت جيوش بابل أورشليم، وجعل نبوخذ نصر معسكره في ربلة على نهر الأورنت بسوريا، تاركًا لقائده نبوزردان مهمة محاصرة أورشليم، كما ضرب نبوخذنصر المدن المحيطة بأورشليم مثل دبير ولخيش وبيت شمس وبيت عكاريم ليضمن قطع وصول أي إمدادات عسكرية من مصر، وعندما حُوصرت المدينة دافعت أورشليم عن نفسها ببسالة برجالها ونسائها وأطفالها، أما أرميا فقد كان له رأي آخر، وهو أن تستسلم المدينة للبابليين حتى لا تشتد نقمتهم على المدينة، فاتهموه بالخيانة والموالاة لملك بابل.

ودام الحصار لمدة سنتين حتى اشتد الجوع فثُغرت المدينة وهرب الملك ورجال القتال ليلًا، فتتبع البابليون صدقيا وأدركوه في برية أريحا، فأخذوه إلى ربلة لنبوخذ نصر الذي حكم بقتل أولاده أمام عينيه، ثم أمر بقلع عينيه، وقيدوه بسلسلتين من نحاس وسبوه إلى بابل، وأحرقوا بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وهدموا أسوار المدينة وسبوا بقية الشعب. وبهذا كانت نهاية مملكة يهوذا سنة ٥٨٦ ق.م.

عصر السبي البابلي

بعد أن صارت الدولة الواحدة القوية دولتين متحاربتين، متعاديتين وقعتا في سياسة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهما... تعرضت المملكة الجنوبية لغزوات مصر مرتين الأولى على يد شيشنق والثانية على يد نخاو، إلى أن جاء دور المملكة الشمالية حين قضي عليها نهائيا سرجون الأشوري في القرن ٨ ق . م. ثم قضى نبوخذنصر البابلي على المملكة الجنوبية في القرن ٦ ق . م حيث دمر أورشليم والهيكل، وبذلك زالت إلى الأبد دولة اليهود في فلسطين بعد حياة طولها أربعة قرون فقط يغلب عليها الطابع الدموي العنيف ، بينما أن كل إقامة اليهود المتصلة في فلسطين لم تزد على ستة قرون من ١٢٠٠ ق . م حتى ٥٨٦ ق . م .

وإذا كانت الفترات السابقة هي المرحلة التكوينية فإن من بعدها يبدأ الخروج والشتات الذي يمكن أن نميز فيه ثلاث دورات أو أربعا ، فقد بدأ سرجون بنقل كثير من إسرائيلي السامرة من أبناء القبائل

العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أسراء من البلاد المفتوحة الأخرى، ولكن نبوخذنصر بالذات الذي نقل أغلبية اليهود، أسرى الى بابل ، والمقدر أن عدد اليهود قبل ذلك بلغ زهاء ثلاثة أرباع المليون.

ذلك كان "الأسر البابلي" الشهير الذي يمكن أن يعد الشتات الأول. وإذا كان الفرس ، بعد أن هزموا بابل على يد كسرى ٥٣٨ ق. م.. واحتلوها وممتلكاتها في فلسطين، قد سمحوا لليهود بالعودة إلى أورشليم بعد نصف قرن من الأسر البابلي، فإن قلة ضئيلة هي التي عادت كما سيأتي بيانه وتقدر بنحو ٥٠ ألفا فقط، وحتى هذه لم تجد ترحيبا لأن أرض أجدادهم كان يحتلها الآن أسرى سرجون الذين وطنوا بها، ولذلك سكنوا في منطقة يهودية الجنوبية حيث لم يطرب لعودتهم حتى اليهود المقيمون أنفسهم.

أما الأغلبية المطلقة منهم فقد بقيت في العراق حيث كونت مستعمرات مهمة نمت حتى بلغت في عهد المسيح مليونا بل وأكثر من المليون في القرون التالية إبان العصور العربية الإسلامية . وقد امتد انتشار اليهود في العراق شمالا إلى كردستان ، غير أن يهود العراق – مع كل سكانه . تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولي حيث

هوى عددهم إلى بضعة آلاف فقط. على أن يهود العراق كانوا نواة الشتات شرقا ، فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة في عهد كسرى، ولكن هجرتهم الكبرى كانت في القرن الثاني عشر الميلادي، وبالمثل كان يهود هيرات في أفغانستان ويهود بخارى وسمرقند في التركستان شظية من نواة فارس.

كذلك فإن يهود القوقاز - الذين يردون مستعمراتهم المبعثرة في تضاعيف جبالها هناك إلى العصر الأشوري، ولو أن أول ذكر لها تاريخيا يرجع إلى القرن الخامس الميلادي - يقال إنهم أتوا من فارس ونواتها القديمة، ومن هذه المراكز الأولية والثانوية يمكن أن نتتبع انتشار اليهود حتى نهاياته ومستعمراته القصوى في الشرق الأقصى بالهند والصين.

ومن هنا يأتي ذكر يهود الجزيرة العربية قبل الاسلام، وإن كان الانتقال الأكبر لليهود إلى جزيرة العرب هو في زمن عيسى عليه السلام كما سيأتي بيانه، ففي الجاهلية الأخيرة كان اليهود غير قليلين في مدن وسط الجزيرة وجنوبها خاصة الحجاز واليمن ففي الحجاز كانت المدينة المنورة وخيبر من معاقلهم ، بل كانت المدينة تحمل اسما يهوديا وهو يثرب، غير أن الأرجح أن يهود الجزيرة كانوا

في معظمهم عربا محليين متحولين وليسوا من يهود فلسطين الوافدين، أما في اليمن بالذات فقد تحولت أعداد كبيرة من سكان العصر السبئي إلى اليهودية ، بل كان أحد ملوك سبأ في القرن السادس الميلادي يهوديا وهو ذو نواس – كذلك فقد كان المهاجرون الحضارمة الذين عمروا الحبشة وأسسوا الإمبراطورية الحبشية يهودا أصلا ثم تحولوا مبكرا إلى القبطية غير أن ظهور الإسلام صفى اليهودية تماما في الجزيرة العربية نفسها فيما عدا اليمن حيث ظل اليهود إلى وقت قريب.

وإذا كان شتات الأسر البابلي قد اتجه أساسا نحو الشرق. فمن المحتمل أن بعض الهجرة اتجهت غربا إلى شمال أفريقيا المغرب تحديدا، حيث يدعى اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون البربرية أن أجدادهم تركوا فلسطين إليها قبل الأسر البابلي نفسه ، وحيث يسمون أنفسهم البلشتيم، والكلمة تحريف واضح لفلسطين، بل هناك من يرى أن من المحتمل أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين، والمؤكد على أية حال أن اليهودية كانت منتشرة –

بـالتحول – بدرجـة مـا في حـين مـا بـين عـدة قبائـل بربريـة حـتى مـا قبـل قدوم الاسلام .[1]

وأمـا بالنسـبة لتفاصـيل السـبي والشـتات الـذي حـل ببـني إسـرائيل فتبـدأ أحداثـه في ٧٤٥ق.م. عنـدما اغتصـب عـرش آشـور تغلـث فلاسـر الثالـث، الـذي حـاول تكـوين إمبراطوريـة كبـيرة فلـم يكتـف بالحصـول علـى الجزيـة مـن الملـوك والـولاة الـذين هـزمهم، بـل أصـبحت الأقطـار الـتي غزاهـا، ولايـات في إمبراطوريتـه، عليهـا ولاة آشـوريون يجمعـون الجزيـة للخزينـة الإمبراطوريـة، ولم يلبـث طـويلًا بعـد اعتلائـه العـرش، حـتى وجـه نظـره نحـو الغـرب وبعـد حصـاره لأرفـاد –إلى الشـمال مـن حلـب– اجتاحـت جحافلـه سـورية، وسـار علـى الـنهج الأشـوري في إجلاء الشعوب المغلوبة، وإحلال غيرهم محلهم.

وفي غـزوة تاليـة، وضـع منحـيم ملـك إسـرائيل وغـيره مـن الملـوك تحـت الجزيـة، وفى أيـام فقـح بـن رمليـا ملـك إسـرائيل جـاء تغلـث فلاسـر واسـتولى علـى الأجـزاء الشـمالية مـن إسـرائيل وسـبى الإسـرائيليين إلى آشور.

---

[1] اليهود انثروبولوجيا (ص:٦٠)

وكان تغلث فلاسر يُعِد لحملة جديدة على الغرب، فاجتاح بقواته سورية والأراضي المتاخمة حتى وصل إلى غزة، وفي طريق عودته استولى على السامرة دون أن يدمرها.

ومات تغلث فلاسر الثالث في ٧٢٧ ق . م. وخلفه شلمنصَّر الرابع، الذي حكم مدة قصيرة، وظن هوشع ملك إسرائيل -اعتمادًا على ملك مصر- ظن أن موت تغلث فلاسر فرصة طيبة لإعلان الاستقلال، ولكنها كانت محاولة فاشلة إذ كانت مملكة إسرائيل قد أوشكت على النهاية، ولم تأت للملك هوشع معونة من مصر، فوقف وحيدًا في مواجهة قوات عاتية، أَسَرَتْه خارج السامرة، والأرجح أنه أُخِذَ أسيرًا إلى نينوى، واجتاحت الجيوش الغازية البلاد وعاثوا فيها فسادًا.[1]

۞ سرجون يستولي على السامرة.

وبعد مقاومة عنيفة من المدافعين عن المدينة زال الحصن من أفرايم فبعد أن حاصر الأشوريون السامرة ثلاث سنوات، سقطت في أيديهم، وقد يخيل إلينا -من رواية الكتاب المقدس- أنها سقطت

---

[1] انظر: قاموس الكتاب المقدس، مادة «تغلث فلاسر الثالث»، [الكنوز القبطية](https://coptic-treasures.com/chapter/12-bible-dictionary-12/?utm_source=chatgpt.com)؛ وانظر أيضًا: سفر الملوك الثاني، الإصحاحات ١٥-١٧.

في يد شلمنصَّر، ولكننا نعلم من النقوش الأشورية، أنه قبل استسلام السامرة، كان شلمنصَّر قد تنازل عن العرش أو مات، وجلس على عرش أشور سرجون، أحد عظماء ملوك أشور،

ونعلم من النقوش الكثيرة التي خلفها سرجون، والتي اكتشفت في أطلال خورزباد، أنه هو – وليس شلمنصَّر – الذي أكمل غزو مملكة إسرائيل وأجلى سكانها إلى أشور، يقول سرجون في حولياته: في بداية حكمي استوليت على مدينة السامرة بمعونة "شماش" (يعني إلهه) الذي ضمن لي النصر.. وأخذت ٢٧,٢٩٠ أسيرًا من سكانها، كما استوليت على خمسين مركبة ملكية منها.. لقد أعدت الاستيلاء على المدينة، وأسكنت فيها أناسًا من البلاد التي غزوتها بذراعي.. وعينت حاكمًا عليهم وفرضت عليهم الجزية والضرائب كما على الآشوريين.[1]

۞ إجلاء سكان السامرة وإحلال غيرهم محلهم.

كما يصف الكتاب المقدس : وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوث وعّوا وحماة، وسفروايم، وأسكنهم في مدن السامرة عوضًا عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها.

---

[1] المرجع السابق

وتؤيد نقوش سرجون هذه الحقيقة، وهي أنه جاء بغرباء ممن سباهم في حروبه وأسكنهم في السامرة، كما يتضح أن ذلك حدث على عدة دفعات، فقد رأينا أن تغلث فلاسر سبق أن أجلى الأسباط الشمالية إلى آشور وأقام عليهم حكامًا من قِبَلِه، ونعلم أنه بعد ذلك بزمن، جاء حفيده آسر حدون، ثم ابنه - آشور بانيبال بأناس من الشعوب التي غزاها في الشرق، وأسكنهم في السامرة.

وقد اندمج هؤلاء الأسرى فيما بعد- مع المسبيين من مملكة يهوذا، الذين سباهم نبوخذنصر ملك بابل، وهكذا أصبح أفرايم ويهوذا شعبًا واحدًا -كما لم يحدث من قبل- وأصبح اسم "اليهود" يطلق على الجميع سواء كانوا قبلًا من المملكة الشمالية (إسرائيل) أو من المملكة الجنوبية (يهوذا).[1]

۞ السبي البابلي.

بينما تعاقبت على المملكة الشمالية عدة أسرات ملكية، ظلت يهوذا وأورشليم مواليتين لبيت داود حتى النهاية، فقد قامت المملكة الجنوبية على أساس أكثر رسوخًا، وصمدت أورشليم بهيكلها

---

[1] المرجع السابق.

وكهنوتها أمام الأعداء الذين أطاحوا بالسامرة، لمدة نحو قرن ونصف بعد سقوط السامرة.

وجاء بعد سرجون الذي أطاح بالسامرة في ٧٢٢ ق.م. ملوك عظام اشتهروا بفتوحاتهم ومبانيهم التي تمثل حضارة عصرهم، فجاء سنحاريب وآسرحدون وآشور بانيبال وبعد أن مات آشور بانيبال في ٦٢٥ ق.م. أشرفت الإمبراطورية الآشورية على الانحلال ، فوهنت قبضتها على المناطق الغربية وبدأت شعوبها في التمرد على نينوى، وأخذت عصابات سكيثية في الزحف من المناطق الواقعة بين جبال القوقاز وبحر قزوين، إلى أملاك الإمبراطورية الآشورية حتى حدود فلسطين ومصر، ثم شرعت هذه الجحافل الشمالية في الزحف نحو نينوى، التي كانت قوتها قد بدأت في الاضمحلال.

واستعاد الماديون استقلالهم وتحالفوا بقيادة ملكهم "سياجزريس مع الكلدانيين الذين ثاروا بعد ذلك بقيادة نبوبولاسَّار حاكم بابل من قبل آشور، وحشد نبوبولاسَّار كل هذه العناصر تحت رايته، وحاصر عاصمة آشور، فسقطت في يده نينوى في ٦٠٦ ق.م. أمام جحافل الماديين والكلدانيين، سقوطًا لم تقم بعده أبدًا، وقامت

علـى أنقاضـها الإمبراطوريـة الكلدانيـة، الـتي كـان مـن أبـرز ملوكهـا نبوخذنصر الذي أشركه أبوه نبوبولاسَّار في الحكم معه.[1]

تمرد نخو فرعون مصر:

كانـت آشـور قـد بسـطت نفوذهـا لـيس علـى يهـوذا فقـط، بـل علـى مصـر ووادي النيـل، وفي ٦٠٨ ق.م. تمـرد نخـو فرعـون مصـر علـى آشـور وزحـف بجيشـه شـرقًا، ولم تكـن بـه رغبـة في المواجهـة مـع يوشـيا ملـك يهـوذا، ولكـن كـان لا بُـد لـه مـن المـرور في أرض يهـوذا، فـاعترض يوشـيا -ولاء منـه لآشـور- طريـق فرعـون، فقُتِـل في معركـة مجـدو. ويبـدو أن فرعـون رجـع إلى مصـر آخـذًا معـه يهوآحـاز بـن يوشـيا، بعـد أن عـين أخاه يهوياقيم ملكًا على يهوذا، وفرض جزية باهظة على البلاد.

معركة كركميش في ٦٠٤ ق.م.

لم يرجـع نخـو عـن هدفـه في الزحـف نحـو الشـرق، فتقـدم بجيشـه حـتى وصـل نهـر الفـرات، وهنـاك لقـي هزيمـة منكـرة علـى يـد نبوخذنصـر ملـك بابـل، في معركـة حاسمـة في كـركميش في ٦٠٤ ق.م. وخـرج

---

(1) المرجع السابق.

الكلدانيون من المعركة وهم سادة آسيا الغربية، وانتقلت يهوذا من تحت سيادة آشور، وأصبحت تحت سيادة بابل.

ولم يكن ثمة فرق بين قسوة البابليين وقسوة الآشوريين، وأصبح نبوخذنصر -بعد معركة كركميش- سيدًا على كل غربي آسيا بما فيها يهوذا، وكان من العبث أن تستنجد يهوذا بمصر، فقد كانت لنبوخذنصر ذراع طويلة يؤدب بها كل من يخرج على طاعته.

تمرد يهوياقيم.

خضع يهوياقيم أولًا لنخو فرعون مصر، ثم خضع لنبوخذنصر، وكان على مثال شعبه من الشر والفساد، إذ يتهمه إرميا النبي بالجشع وسفك الدماء البريئة والظلم والخطف والاغتصاب، وكانت السنة الرابعة ليهوياقيم هي السنة الأولى لنبوخذنصر، الذي انتشى بنصره في موقعة كركميش، وأصبحت سطوته ملموسة في العالم الغربي، وأصبح ملك يهوذا عبدًا للملك نبوخذنصر، وظل على هذه الحال ثلاث سنوات، تمرد بعدها على نبوخذنصر، ولم يقف بجانبه أحد من الشعوب المجاورة، "فجاءه غزاة الكلدانيين وغزاة الأراميين وغزاة المؤابيين وغزاة بني عمون.

۞ السبي الأول (٦٠٦ ق.م).

نقرأ في سفر دانيال "في السنة الثالثة من ملك يهوياقيم ملك يهوذا، ذهب نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم وحاصرها، وأخذ معه بعض أفراد من النسل الملكي وشرفاء يهوذا، وكان من بينهم دانيال النبي ورفقائه، وأُسِر يهوياقيم نفسه، أخذه نبوخذنصر وقيده بسلاسل من نحاس وذهب به إلى بابل.

ولم يعد أيضًا ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات، كل ما كان لملك مصر.

حصار أورشليم وسقوطها في أيام يهوياكين في ٥٩٧ ق.م.

ملك يهوياكين، والذي خلف أباه يهوياقيم ثلاثة شهور فقط - وهي نفس المدة التي ملكها يهوآحاز من قبل - وقد سُبي يهوآحاز إلى مصر، وسُبي يهوياكين إلى بابل.

۞ السبي الثاني (٥٩٧ ق.م):

جاء نبوخذنصر بنفسه في أثناء حصار أورشليم، فاستسلم له يهوياكين، فأخذ نبوخذنصر ملك بابل، الملك يهوياكين وأمه وعبيده ورؤساءه وخصيانه وجميع جبابرة البأس "عشرة آلاف مسبي، وجميع الصناع والأقيان، ولم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض" كما حمل معه "كل خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك، وملَّك

ملك بابل متنيا عمه عوضًا عنه وغَّير اسمه إلى صدقيا، وعاش يهوياكين ٣٧ سنة أسيرًا في بابل.

وكان بين المسبيين إلى بابل الذين وضعوا على ضفاف نهر خابور، حزقيال النبي.

رغم سبي زهرة شباب الشعب وشرفائه إلى بابل، ونهب كنوز الهيكل، فإن أورشليم والهيكل كانا ما زالا قائمين. وقد حث النبي إرميا الملك صدقيا على الخضوع لملك بابل، لعل ملك بابل يسمح للمسبيين من يهوذا بالعودة، ولكن صدقيا أضاع هذه الفرصة بتآمره مع فرعون مصر خفرع، وذلك بتحريض من الموالين لمصر، وهكذا تمرد صدقيا على ملك بابل، وكانت تلك خطوة جريئة، ولم يكن في طوق نبوخذنصر أن يقبل مثل هذه الخيانة من أحد أتباعه، فزحف على الفور إلى الغرب، وأوكل إلى نبوزرادان مهمة الاستيلاء على أورشليم، بينما أقام هو قاعدته في ربلة على نهر الأورنت في سورية .
وفي تلك الأثناء عبر فرعون مصر مع جيشه الحدود لمعاونة حلفائه، وأجبر الكلدانيين على رفع الحصار عن أورشليم، والالتحام معه في معركة، وهنا خانته شجاعته، فقفل راجعًا على أعقابه قبل الدخول

في معركة، فعاد نبوزرادان بجيشه لمحاصرة أورشليم، وضيَّق عليها الخناق أكثر من قبل.

۞ تدمير أورشليم، والسبي الثالث في ٥٨٦ق.م.

كانت نهاية المدينة قد اقتربت، ففي السنة الحادية عشرة لصدقيا في ٥٨٦ق.م ، ثُغرت المدينة بعد أن أرهقها الحصار والمجاعة، ويبدو أن صدقيا ورجال الحرب لم ينتظروا بالمدينة حتى سقوطها، بل هربوا من المدينة ليلًا ، وساروا شرقًا نحو العربة، ولكن جيش الكلدانيين سعى وراءهم، فأدركوا صدقيا في سهول أريحا، وأخذوه أسيرًا وأحضروه إلى نبوخذنصر في ربلة، فقتل ملك بابل بني صدقيا أمام عينيه، ثم قلعوا عيني صدقيا وقيدوه بسلسلتين من نحاس وجاءوا به إلى بابل، ولم ينج في هذه المرة لا المدينة ولا الهيكل ولا القصر، فقد أحرق نبوزرادان "بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت العظماء، كما هدم جنوده أسوار أورشليم، وكل ما نجا من كنوز الهيكل وأمتعته الثمينة، نُقل إلى بابل.

۞ السبي الرابع في ٥٨١ق.م:

في السنة السابعة لنبوخذنصر سبى ٣,٠٢٣ من اليهود، وفي السنة الثامنة عشر سبى ٨٣٢ شخصًا، وفي السنة الثالثة والعشرين سبى

نبوزراداان رئيس الشرط ٧٤٥ شخصًا من اليهود، أي أن جملة النفوس أربعة آلاف وست مائه.

ويقدر جورج آدم – بناء على ما جاء في سفر الملوك الثاني ونبوة إرميا أن مجموع المسبيين كان يتراوح بين ٦٢,٠٠٠، ٧٠,٠٠٠ نسمة. وهكذا لم يترك سوى مجموعة من مساكين الفلاحين غير المثقفين بلا هيكل ولا قائد وبلا تنظيم، أنهكهم الجوع وأحاط بهم الأعداء من كل جانب.

وعُيِّن جدليا حاكمًا على الباقين في البلاد، فجعل من المصفاة مقرًا لحكمه، ومعه حامية بابلية، وتُرك لإرميا الخيار في الذهاب إلى بابل أو البقاء في يهوذا، ففضل البقاء مع الشعب الذين أُوكل أمرهم لجدليا، وبمقتل جدليا على يد إسماعيل بن نثنيا، من النسل الملكي، بدا وكأن مملكة يهوذا قد انتهت تمامًا، ولن تقوم لها قائمة أبدًا. ورغم مشورة إرميا قررت البقية –بقيادة يوحانان بن قاريح– اللجوء إلى مصر، وأصروا على أخذ إرميا وباروخ بن نيريا معهم، وفي مصر قضى إرميا أيامه الأخيرة، وقد اكتشفت مؤخرًا في جزيرة فيله بالقرب من أسوان في صعيد مصر، مخطوطات تركها أحفاد أولئك اليهود الذين نزلوا إلى مصر، وهي تتكون من مخطوطات بردية

بالأرامية تعود إلى تاريخ لا يتجاوز المائة عام بعد موت إرميا، وهي عبارة عن حسابات وعقود وصكوك من أنواع مختلفة، نستدل منها على أنه في القرن الخامس قبل الميلاد، كانت تقيم هناك جالية يهودية تعيش منعزلة، وتقدم لنا هذه البرديات لمحات عن الظروف الاجتماعية والدينية التي عاشها أولئك اللاجئون.[١]

---

[١] قاموس الكتاب المقدس، موقع الكنوز القبطية، مع الرجوع إلى أسفار العهد القديم(سفر الملوك وإرميا ودانيال).

المسبيون في بابل وظهور اليهودية

تدوين النصوص الدينية:

كان الهيكل محور العبادة اليهودية، ومع تدميره، لم يعد هناك مكان لممارسة الطقوس.

فأدى ذلك إلى البحث عن بدائل روحية، فكان النص المكتوب وسيلة لذلك.

وقد كانت التقاليد قبل السبي تُنقل شفهيًا عبر الكهنة والأنبياء.

لكن في المنفى، ومع تشتت الحاملين لهذه التقاليد، أصبح التدوين ضرورة لحفظها من الاندثار.

بالإضافة إلى أن في هذا المنفى، واجه الشعب تهديداً وجودياً وهو الذوبان وفقدان الهوية. فكانت الاستجابة لهذا التحدي هي التحول من مجتمع قائم على الأرض والمعبد إلى مجتمع قائم على النص والتقليد، مما أدى إلى ولادة ما يعرف بـ "اليهودية" كدين قائم على الكتاب المقدس.

وخلال فترة السبي وما بعدها، بدأ تدوين ما يُعرف لاحقًا بـ"الأسفار الخمسة" أو "التوراة" (سِفْرُ التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، التثنية).

كما تم جمع وتحرير أسفار الأنبياء والتاريخ مثل سفر إشعياء، إرميا، حزقيال، وأسفار الملوك.

وظهرت أيضًا نصوص ذات طابع حكمي وأدبي مثل سفر المزامير والأمثال.

ومع النص المكتوب، بدأ اليهود في تطوير تقاليد تفسيرية (مثل التلمود لاحقًا) لفهم وتطبيق النصوص في ظروف جديدة.

ويجمع معظم علماء النقد النصي على أن المحررين (غالباً من المدرسة الكهنوتية "P") قاموا بجمع وتنسيق المصادر الأدبية السابقة التي كانت موجودة قبل السبي، مثل المصدر اليهوذي (J)، والمصدر الألوهيمي (E)، ومصدر التثنية (D)، ودمجها في سردية واحدة متماسكة شكلت نواة أسفار التوراة الخمسة.

وتمت إعادة صياغة التاريخ اليهودي من بداية الخليقة حتى السبي، ليعكس رؤية لاهوتية موحدة تؤكد على العهد بين الله وإسرائيل،

وأهمية الشريعة (التوراة)، ومركزية العبادة الخالصة لله الواحد. وأصبحت قصة الخلق، والآباء، والخروج من مصر، والتيه في الصحراء، الإطار الذي يفهم من خلاله المنفيون وضعهم الحالي ويأملون في خلاصهم المستقبلي.

ومع ابتعاد المجتمع عن اللغة العبرية اليومية (حل محلّها الآرامية كلغة للتخاطب)، ونقل النص إلى بيئة ثقافية مختلفة، بدأت الحاجة إلى شرح وتفسير النصوص المقدسة. هذه كانت البذرة التي ستؤدي لاحقاً إلى كتابة التلمود.

۞ نشأة الكنيس اليهودي.

بدأ اليهود في التجمع في أماكن مخصصة للصلاة والدراسة، أُطلق عليها لاحقًا اسم كنيس. وانتقلت العبادة من الطقوس المرتبطة بالقرابين في الهيكل إلى القراءة والتفسير الجماعي للنصوص.

وبدأت في هذه الفترة طبقة الحاخامات بالظهور. ولم يكن الحاخام مجرد رجل دين، بل مفسر ومشرّع، يُستشار في القضايا الدينية والاجتماعية.

وأدى ذلك إلى نشوء تقاليد تفسيرية واسعة، مثل المدراش والهلاخاه.

۞ اليهود وسحر بابل.

اشتهر أهل بابل بممارسة كثير من الطقوس والتعاليم السحرية ، فأنزل الله الملكين هاروت وماروت بمدينة بابل لتعليم الناس السحر ابتلاءً من الله عز وجل للتمييز بين السحر والمعجزة ، حتى يتبين للناس صدق الرسل والأنبياء وكذب الدجاجلة و السحرة ، وفي إنزال السحر على يد الملكين في بابل يقول الله تعالى عن اليهود الذين جاؤوا من بعد نزول الملكين "هاروت و ماروت" بِمُدِدٍ طويلةٍ:

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ﴾ البقرة: ١٠٢

لم يشتغل أناس بالسحر مثلما اشتغل اليهود، على مدار تاريخهم، رغم أن الله عز و جل حرم عليهم الاشتغال بالسحر ، كما في توراتهم ، إذ قبل موسى عليه السلام كان بنو اسرائيل وثنيين ، يعبدون تماثيل من حجر أو خشب، حتى أنهم عبدوا العجل في وقت موسى عليه السلام ، وكانت الشياطين تكلم الناس وهم لا يرونهم ويتلبسون بهم ويصرعونهم ، فكان بنو اسرائيل يستغيثون بالتماثيل و كهنتها ، ويطلبون من القائمين عليها عمل أي شيء يشفيهم من أمراضهم، ولما ازداد اعتقاد الناس فيهم ادعى الكهنة

أنهم يعلمون الغيب ويحددون ويعرفون مواقع النجوم وقادرون على تغيير النحس الى السعد وطرد الأرواح الشريرة المتلبسة الأجساد ، مما روج كثيرا للسحر بين بني اسرائيل .

وفي عهد سليمان عليه السلام كان السحر متفشياً في بني اسرائيل ، فجمع سليمان كتب السحر والكهانة ودفنها تحت كرسيه ، فلم يستطع أحد من الشياطين أن يدنو من الكرسي فلما مات سليمان ، وذهب العلماء الذين يعرفون الأمر ، جاءت الشياطين، وأخرجت تلك الكتب ، فقالوا لهم : إن سليمان كان يضبط الإنس والجن بهذا ، ففشا فيهم أن سليمان كان ساحراً ، و لذلك لما نزل القرآن بذكر سليمان في الأنبياء ، أنكرت اليهود ذلك ، وقالوا إنما كان ساحراً ،[1] فنزل قوله تعالى : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة: ١٠٢

وفي السبي البابلي ازداد اشتغال بني اسرائيل "المسبيين" بالسحر لما رأوا من ضيق العيش بعد أن كانوا في سعة من المال ، فتعلموا أعمال السحر والتنجيم من البابلين ، بل زادوا عليهم في ذلك.

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٢٣٥).

ثم وضـــع اليهـــود كتبـــا شـــحنوها بالســـحر مثـــل التلمـــود و شـــروحاته المختلفـــة، و كـــذلك كتـــاب الزوهـــار الخـــاص بالقبالـــة، و هـــو في أنـــواع السحر التي استقوها من البابليين وكذلك من تاريخهم الوثني ، بل

زوّروا مزمورا خاصاً بعمل السحر أدرجوه في المزامير.

وقد انتقلت كثير من الميثولوجيا و الأساطير و العقائد الوثنية مع السحر من البابليين إلى بني اسرائيل ، و قد أشار القرآن الكريم إلى تأثر اليهود بمن كان قبلهم في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ التوبة: ٣٠

الحكم الفارسي والعودة من السبي

بعد موت نبوخذْنصّر سنة ٥٦٢ ق.م. بدأت فترة من الاضطرابات لخلافة نبوخذْنصّر، فقد كان يوجد في منطقة بلاد ما بين النهرين ثلاثة مناطق:

منطقة عيلام وعاصمتها سوس، ومنطقة المادِيين وعاصمتها إيكاباتان. ومنطقة حَرّان.

فالمنطقة كانت مهدّدة من القوى الخارجية، إلى أن وصل قُورَش من منطقة عيلام، وأعلن نفسه ملكاً على كل الفُرْس، في مناطق إيكاباتان وعلى سوس. وقام بتقوية حكمه باحتلال المناطق تلو الأخرى، إلى أن وصل إلى ميديا أو الأيونية في تركيا، واحتلّ أفغانستان وإيران الشرقية، حتى إنَّ مملكته امتدت من سورية حتى مناطق الهندوس.

في هذه الحقبة نقرأ في أشعيا الثاني، وهو يتكلم عن قُورَش وكأنه المسيح المنتظر، مسيح إسرائيل المسبي، فقُورَش سيخلّص شعب إسرائيل وسيسمح له بالعودة إلى أرضه.

فبعد أن استولى قُورَش ملك الفرس ، على بلاد بابل سنة ٥٣٨ قبل الميلاد عامل اليهود معاملة حسنة ، لأنه تربى في حجر استير اليهودية ، التي كانت في حوزة أبيه، وقد أصدر قُورَش نداء سمح فيه لليهود أن يعودوا إلى أورشليم ، وأن يعيدوا بناء هيكلهم ، وساعدهم على ذلك بالأموال والرجال.

فقد قام بتقسيم الإمبراطورية إلى ولايات يضع على رأس كل ولاية موظف فارسي يعينه بنفسه، وكل ولاية تتمتع بحرية تامة بشرط أن لا تهدّد بتصرفاتها وبحريتها النظام الملكي المركزي.

هذا من الناحية الإدارية. ومن الناحية الدينية فقد سمح قُورَش بإعادة الآلهة الخاصة بكل ولاية وبكل شعب من الشعوب التي ضمها إلى الإمبراطورية.

فلكل شعبٍ الحرية بإيمانه وبممارسة طقوسه وشعائره الخاصة.

ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة في بابل، وامتدت بها أعراقهم ، وذاقوا بها خصب العيش ، والتجارة الرابحة، ومن ثَمّ فقد ترددوا كثيرا في العودة إلى أورشليم ، ومعظم الذين عادوا منهم إلى أورشليم كانوا من سِبْطَيْ يهوذا وبِنْيامِيْن .

وكانت عودة اليهود من المنفى عودة الأمة، وليست عودة الدولة ، فإن بني إسرائيل عادوا ، ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم من الفُرْس.

ولم يعد من اليهود إلا النزر القليل قرابة ٥٠٠٠٠ وأما الغالبية العظمى فقد آثرت البقاء في بابل كما سبق بيانه.

وقد تعاقب على حكم الفرس في الحقبة التي كانت لهم السيطرة على فلسطين عدد من الملوك من بينهم قمبيز وخوماتا ودرياش الأول ودرياش الثاني ودرياش الثالث، وكانت منطقة فلسطين خلال حكم الفُرْس لها تُدَار من قِبَلِ ولاةٍ يرسلهم الملك إليها من بلاد فارس، وأحياناً كان الملك الفارسي يختار واليا من اليهود؛ ليقوم بالحكم تحت رقابة الفُرْس ، فقد عين الملكُ لوغيمانس الفارسي عزرا اليهودى واليا على أورشليم سنة ٤٤٥ قبل الميلاد تقريبا، وأصبحت اليهودية تتمتع بحكم من قِبَل موظف فارسي ويحيط به مجلس مؤلّف من ١٥٠ شيخ قبيلة وهذا ما سيُعرَف فيما بعد باسم المجمع اليهودي.

أما اليهود الذين بقوا في إسرائيل بعد السبي ولم يُسبَوا فقد تقوقعوا على ذواتهم وأصبح همهم الوحيد المحافظة على نقاوة شرائعهم والتمسك بحرفية الشريعة.

أما الذين سُبُوا إلى بابل فقد انفتحوا على ثقافات أخرى، وديانات أخرى غير الديانة اليهودية، وتقاليد وطقوس تختلف عن تقاليدهم وطقوسهم مما سمح بإدخال التقاليد الوثنية في التقاليد اليهودية، ومن هنا نُدرِك أنَّ لقاء العائد من بابل مع اليهود الباقين في اليهودية لم يكن لقاءً حاراً وهذا الأمر سيولّد تشنجاً متجدداً حتى على المستوى اللاهوتي.

وأرسل قُوْرَش شصبصّر ليحكم اليهودية وكان عنده مهمة وحيدة هي إعادة بناء الهيكل، وبالفعل بدأ ببناء الهيكل ولكنَّ العمل توقف بسرعة.

واستقال شصبصّر من مهمته، بسبب الانقسام الحاد الموجود في بنية الشعب اليهودي.

وفي هذه الفترة يموت قُوْرَش سنة ٥٣٠ ق.م. ويخلفه إبنه قمبيز الذي يدوم حكمه من سنة ٥٣٠-٥٢٢ ق.م. الذي انتصر على

المصريين سنة ٥٢٥ ق.م. وبعد موت قمبيز قامت حرب أهلية دامت سنتين لخلافته، فانتصر داريوس الأول وتابع سياسة قُورَش حيث أُكمِل في عهده بناء الهيكل.

ويموت داريوس الأول ويَخْلُفُه ابنه أحشاويروش، ومُنِيَ بنكسة كبيرة لأنه فشل في احتلال اليونان.

أحشاويروش يموت قتلاً سنة ٤٦٥ ويخلفه أرتحششتا الأول، ذو شخصية ضعيفة، تأثر بالنساء ورجال البلاط الملكي.

كان له عمل أساسي جداً يخص اليهود، فقد أرسل نحميا إلى اليهودية في مهمتين: إعادة بناء مدينة أورشليم، وتنظيم الإدارة المحلية فيها.

نحميا لم يكن كاهناً لكنه انتقد الكهنة وجابه رفضاً كبيراً وخصوصاً من كهنة أورشليم، ولكنه استطاع تنظيم الأمور في الهيكل، فألغى ورفض كل الزواجات المختلِطة مع الوثنيين.

بعد أرتحششتا الأول يأتي داريوس الثاني سنة ٤٢٤ ق.م. لكننا نفتقر إلى معلومات عن اليهود في اليهودية في هذه الحقبة، ولكن

توجد عندنا معلومات عن اليهود في مصر وخاصة عن وضعهم في جزيرة الفيلة وأنَّ هيكلهم في هذه الجزيرة قد هُدِّم.

ثم يأتي أرتحشتا الثاني، عند وصوله إلى الحكم تبدأ المشاكل في عدة مناطق من الإمبراطورية وذلك تحت تأثير يوناني متصاعد الذي بدأ يظهر ويشجع الثورات ضد الحكم.

وأرتحشتا الثاني سيرسل إلى اليهودية عِزْرَا والذي يميّزه عن نَحْمِيَا أنه كان كاهناً وكاتباً، وعِزْرَا سيقوم بقراءة التوراة وسيعطي لليهود مفهوماً جديداً للشرائع، فبالنسبة له الذبيحة ليست مهمة جداً بل المهم هو عيش الشريعة الإلهية بمفهومها الروحي، فأعاد قراءة الأحداث من بعد السبي وقراءة الأحداث الماضية ليصبح نوعاً من التوحيد للشعب القادم من السبي والشعب الموجود في اليهودية.

عزرا... الرجل الذي اختفى ١٠٠ عام

أصدر الملك قورش الفارسي مرسوماً تاريخياً: "كل من كان من شعب إسرائيل، فليصعد إلى أورشليم وليبنِ بيت الرب إله إسرائيل.

هنا يظهر عِزرا. الكتاب المقدس يصفه بلقب فريد: عِزْرا الكاتب السريع في شريعة موسى. لم يكن مجرد ناسخ. كان موسوعة متنقلة. التقليد اليهودي يقول إنه حَفِظ التوراة بأكملها عن ظهر قلب، كان يعيد كتابتها... ليس من مخطوطة قديمة، بل من الذاكرة. ومن هنا، يبدأ الغموض.

في السنة السابعة للملك الفارسي أرتحشستا، يتحرك عزرا. التاريخ التقليدي: ٤٥٨ قبل الميلاد، يقود قافلة ضخمة من العائدين، يحمل معه كنوزاً وأموالاً للهيكل. الرحلة تستغرق أربعة أشهر، على مشارف القدس... مشهد صادم. المدينة خاوية على عروشها، قلة قليلة من المؤمنين تتوزع بين أطلال الهيكل القديم، والبقية... وثنيون، زيجات مختلطة، عبادة أوثان، فساد مستشري. صورة قاتمة.

وهنا، المفاجأة الكبرى. تلك اللحظة التي يجمد فيها التاريخ. عزرا يدخل المشهد... ثم... يختفي. فجأة. بدون مقدمات. بدون

تفسير. لنقفز ثلاثة عشر عاماً إلى الأمام. ٤٤٥ قبل الميلاد. السنة العشرين للملك أرتحششتا نفسه. رجل آخر يظهر على المسرح. اسمه نَحْمِيا.

نَحْمِيا كان ساقيا للملك. رجل عادي، ليس كاهناً ولا ناسخاً للشريعة. لكنه يحمل هماً واحداً: أسوار القدس. عندما سمع أن المدينة لا تزال خراباً، وأبوابها محترقة، حزن حزناً شديداً. الملك سمح له بالعودة.

هنا يبدأ اللغز الذي حيّر علماءَ الكتاب المقدس. تذكروا: عِزْرَا تحرك في السَّنَة السابعة للملك. نحميا تحرك في السَّنَة العشرين للملك نفسه. فارق زمني بسيط: ١٣ سنة .

نَحْمِيا يصل إلى القدس بعد ١٣ سنة من عِزْرَا. المفترض أن يجد المدينة عامرة بالمؤمنين. عِزْرَا قضى ١٣ سنة في الإصلاح والتعليم. المفترض أن يجد أسواراً مبنية وشعباً منظماً، لكن النص يقول العكس تماماً (نَحْمِيا ١ : ٣): "الباقون الذين بقوا من السبي في البلاد هم في شر عظيم وعار، وسور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار."

نَحْمِيـا يجـد الخـراب نفسـه. البيـوت لم تـبنَ. النـاس قلـة قليلـة. الفسـاد لا يزال موجوداً. أين كان عِزْرَا طوال ١٣ سنة؟ أين إصلاحاته؟

لكـن المفاجـأة الكـبرى تـأتي عنـدما ننظـر إلى الأسمـاء، سِـفْرُ نَحْمِيـا يتحـدث عـن رئـيس كهنـة اسمـه ألياشـيب. ألياشـيب هـو رئـيس الكهنـة الـذي بـنى سـور القـدس مـع نَحْمِيـا، في المقابـل سِـفْر عِـزْرَا يتحـدث عـن رئـيس كهنـة اسمـه يهوحانـان بـن ألياشـيب، يهوحانـان هـو حفيـد ألياشـيب. ابـن ابنـه. الفـرق بـين الجـد والحفيـد... ثلاثـة أجيـال، ثلاثـة أجيال تعني في المتوسط ٨٠ إلى ١٠٠ سنة.

كيـف يعقـل هـذا؟ كيـف يكـون عِـزْرَا معاصـراً للحفيـد، بينمـا نَحْمِيـا معاصر للجد .

العلمـاء اليهـود أنفسـهم يعترفـون بالمشـكلة!! حـاولوا وضـع افتراضـات كثيرة، لكن الحل لم يظهر .

المفسـر البريطـاني الشـهير ديريـك كـدنر يقـول: هنـاك حاجـة ماسـة لإعادة ترتيب الأحداث. وموقع جامعة القديس أندرو يؤكد: هناك

مشكلة محيرة ومربكة، التسلسل الزمني لأحداث عِزْرَا مربك.

عِـزْرَا اختفـى مـن المشـهد تمامـاً. نَحْمِيـا أتـى بعـده، بـنى السـور، نظـم المدينـة، وجـد النـاس قلـة. ثم بعـد زمـن طويـل، في جيـل الأحفـاد، يظهـر عِـزْرَا فجـأة مـن جديـد! وكـأن الـزمن قفـز بـه إلى المسـتقبل. وكأنـه نـام ثم استيقظ في زمن مختلف.

المشـكلة الكـبرى: علمـاء الآثـار والتـاريخ بنـوا تسلسـلاً زمنيـاً كـاملاً للملوك الفرس بناءً على نقوش مسمارية وآثار ملموسة.

تغيير هذا التسلسل يعني إعادة كتابة التاريخ القديم كله .

لكـن هنـاك شـيء واحـد مؤكـد: اليهـود أنفسـهم اعترفـوا بوجـود سـنوات مفقودة، في تاريخهم. التلمود يتحدث عن فجوة زمنية.

بعـض الحاخامـات ذهبـوا إلى أن عِـزْرَا نفسـه هـو النـبي ملاخـي. وإن زربابـل هـو نفسـه نَحْمِيـا. دمـج الشخصـيات، دمـج الأزمنـة، وكـأن الزمن أصبح سائلاً غير مستقر .

إلى هنـا، القصـة تبـدو وكأنها طريـق مسـدود. علمـاء اليهـود حـائرون. المفسـرون المسـيحيون مختلفـون. لكـن هنـاك مصـدر آخـر يقـدم حـلاً يقلـب الطاولـة بالكامـل. مصـدر لـيس يهوديـاً ولا مسـيحياً... إنـه القرآن، قال الله تعالى في سورة البقرة:

﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ
مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ
يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ
نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾

البقرة: ٢٥٩

هذه الآية تصف رجلاً مر على قرية مدمرة خاوية على عروشها.

نفس التعبير الذي وصف به عزرا القدس عندما وصل إليها. الرجل يتساءل باستغراب: كيف سيعيد الله بناء هذه المدينة بعد موتها؟ فكانت المفاجأة: الله يميته مئة سنة كاملة، ثم يبعثه حياً.

تخيلوا المشهد. رجل يموت لمئة سنة. عندما يستيقظ، يظن أنه نام يوماً أو أقل. يرى حماره وقد تحول إلى عظام متناثرة، ثم أمام عينيه، تشتبك العظام وتكتسي لحماً، ويعود الحمار للحياة. يدخل القرية... لكنه لا يعرف أحداً. الكل يظنونه شخصاً آخر. لكنه يكتشف أن المدينة التي رآها مدمرة قبل لحظات... قد أعيد بناؤها . الأسوار شُيِّدت. البيوت عامرة. والمؤمنون كثر.

الآن، فلنعد إلى قصتنا. عِزْرَا يختفي من المشهد في زمن نَحْمِيا. ثم يظهر بعد زمن طويل في جيل الأحفاد .

ماذا لو أن هذه المئة سنة المذكورة في القرآن هي المفتاح الذي يحل اللغز؟ ماذا لو أن عِزْرَا لم يمت موتة عادية، بل أماته الله مئة سنة ثم بعثه؟ هذا ليس مجرد تفسير حديث. هذا قول كبار الصحابة. ذهب إليه أئمة التفسير من السلف. ابن عباس، حَبْرُ الأمة، قال إن الرجل هو عِزْرَا، وقتادة وعِكرمة والضحاك والسدي، وجماعة من أئمة العلم، أكدوا أن الشخص الذي أماته الله مئة عام هو عِزْرَا نفسه.

وهذا إنما يدل على صدق القرآن وأنه من عند الله. وأن محمدا رسول الله حقا .

اليوم، لا يزال اللغز قائماً. في الكنيس اليهودي، يُقرأ سفر عِزْرَا في بعض المناسبات، لكن الحاخامات يمرون بسرعة على التفاصيل الزمنية المربكة، في الجامعات الغربية، لا يزال الباحثون يتجادلون حول السنوات المفقودة في التاريخ الفارسي، وفي العالم الإسلامي، يروي الأطفال قصة الرجل الذي أماته الله مئة عام ثم بعثه، ويتعلمون منها أن الله على كل شيء قدير.

يـذكر ابـن كثـير في البدايـة والنهايـة أنَّ عُزَيْـرًا كَـانَ عَبْـدًا صَـالِحًا حَكِيمًـا، خَـرَجَ ذَاتَ يَـوْمٍ إِلَى ضَـيْعَة لَـهُ يتعاهـدها، فَلَمَّـا انْصَـرف أَتَـى إِلَى خَرِبَـةٍ حِـينَ قَامَـتِ الظَّهِـيرَة، وَأَصَـابَهُ الْحَـرُّ، وَدَخَـلَ الْخَرِبَـةَ وَهُـوَ عَلَـى حِمَـارِهِ فَنَـزَلَ عَـنْ حِمَـارِهِ وَمَعَـهُ سَـلَّةٌ فِيهَـا تِـينٌ وَسَـلَّةٌ فِيهَـا عِنَـبٌ، فَنَـزَلَ فِي ظِـلِّ تِلْـكَ الْخَرِبَـةِ وَأَخْـرَجَ قَصْـعَةً مَعَـهُ فَاعْتَصَـرَ مِـنَ الْعِنَـبِ الَّـذِي كَـانَ مَعَـهُ فِي الْقَصْـعَة،ثُمَّ أَخْـرَجَ خُبْـزًا يَابِسًـا مَعَـهُ فَأَلْقَـاهُ فِي تِلْـكَ الْقَصْـعَةِ فِي الْعَصِـيرِ لِيَبْتَـلَّ لِيَأْكُلَـهُ، ثُمَّ اسْـتَلْقَى عَلَـى قَفَـاهُ وَأَسْـنَدَ رِجْلَيْـهِ إِلَى الْحَـائِطِ فَنَظَـرَ سَـقْفَ تِلْـكَ الْبُيُـوتِ وَرَأَى مَـا فِيهَـا وَهِـيَ قَائِمَـةٌ عَلَـى عُرُوشِـهَا وَقَـدْ بَـادَ أَهْلُهَـا وَرَأَى عِظَامًـا بَالِيَـةً فَقَـالَ: أَنى يحـيي هَـذِهِ الله بعـد موتهَـا؟ لَمْ يَشُـكَّ أَنَّ اللَّـهَ يُحْيِيهَـا وَلَكِـنْ قَالَهَـا تَعَجُّبًـا، فَبَعَـثَ اللَّـهُ مَلَـكَ الْمَـوْتِ فَقَـبَضَ رُوحَـهُ، فأماتـه الله مائَـة عَـام، فَلَمَّـا أَتـت عَلَيْـهِ مِائَـةُ عَـامٍ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي بني إِسْرَائِيل أُمُور وَأَحْدَاثٌ.

فلمـا تمـت المئـة عـام أحيـاه الله فلمـا اسْـتَوَى جَالِسًـا فَقَـالَ لَـهُ الْمَلَـكُ كَـمْ لَبِثْـتَ؟ قَـالَ لَبِثـت يَوْمًـا أَو بعـض يَـوْم، وَذَلِـكَ أَنـه كَـانَ لبـث صَـدْرِ النَّهَـارِ عِنْـدَ الظَّهِـيرَةِ وَبُعِـثَ فِي آخِـرِ النَّهَـارِ وَالشَّـمْسُ لَمْ تَغِـبْ، فَقَـالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ وَلَمْ يَتِمَّ لِي يَوْمٌ .

فَقَـالَ لَـهُ الْمَلَـكُ: بَـلْ لَبِثْـتَ مِئَـةَ عَـامٍ، فَـانْظُرْ إِلَى طَعَامِـك وشـرابك، يَعْـنِي الطَّعَـامَ الْخُبْـزَ الْيَـابِسَ، وَشَـرَابَهُ الْعَصِـيرَ الَّـذِي كَـانَ اعتصـره فِي الْقَصْعَةِ فَإِذَا هُمَا عَلَى حَالِهِمَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْعَصِيرُ وَالْخُبْزُ يَابِس.

فَـذَلِكَ قَوْلُـهُ " لَمْ يتَسَـنَّه " يَعْـنِي لَمْ يَتَغَيَّـرْ، وَكَـذَلِكَ التِّـينُ وَالْعِنَـبُ غَـضٌّ لم يتَغَـيَّر شـيء مِـنْ حَالِهِمَـا، فَكَأَنَّـهُ أَنْكَـرَ فِي قَلْبِـهِ فقَـالَ لَـهُ الْمَلَـكُ: أَنْكَـرْتَ مَـا قُلْـتُ لَـكَ؟ انْظُـرْ إِلَى حِمَـارك، فَنظـر إِلَى حِمَـاره قـد بليت عِظَامُه وَصَارَت نَخِرَة.

فَنَـادَى الْمَلَـكُ عِظَـامَ الْحِمَـارِ فَأَجَابَـتْ وَأَقْبَلَـتْ مِـنْ كُـلِّ نَاحِيَـةٍ حَـتَّى رَكَّبَـهُ وَعُزَيْـرٌ يَنْظُـرُ إِلَيْـهِ ثُمَّ أَلْبَسَـهَا الْعُـرُوقَ وَالْعَصَـبَ، ثُمَّ كَسَـاهَا اللَّحْـمَ ثُمَّ أَنْبَـتَ عَلَيْهَـا الْجِلْـدَ وَالشَّـعْر،ثُمَّ نَفَـخَ فِيـهِ الـروح، فَقَـامَ الْحِمَـارُ رَافِعًـا رَأْسَـهُ وَأُذُنَيْـهِ إِلَى السَّـمَاءِ نَاهِقًـا يَظُـنُّ الْقِيَامَـةَ قَـدْ قَامَـت، فَـذَلِك قَوْلـه " وَانْظُـرْ إِلَى حِمَـارِكَ وَلِنَجْعَلَـكَ آيَـةً لِلنَّـاسِ وَانْظُـرْ إِلَى الْعِظَـامِ كَيْـفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا.

يعْني وَانْظُر إِلَى عِظَام حِمَارك كَيفَ يركَبُ بَعْضَهَا بَعْضًا، فِي أَوْصَالِهَا

حَـتَّى إِذَا صَـارَتْ عِظَامًـا مُصَـوَّرًا حِمَـارًا بِـلَا لَحْـمٍ، ثُمَّ انْظُـرْ كَيْـفَ نَكْسُـوهَا لَحْمًـا " فَلَمَّـا تبَـيَّنَ لَـهُ، قَـالَ أَعْلَـمُ أَنَّ اللَّـهَ علـى كـل شـيء قـدير، مِـنْ

إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَغَيْرِهِ، فَرَكِبَ حِمَارَهُ حَتَّى أَتَى المدينة أحفاده قد صاروا شيوخا.

وقال بَنُو إِسْرَائِيلَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِينَا أَحَدٌ حَفِظَ التَّوْرَاةَ غير عُزَيْر وَقد حرق بختنصر التَّوْرَاة وَلم يبْق مِنْهَا شيء إِلَّا مَا حَفِظَتِ الرِّجَالُ، فَاكْتُبْهَا لَنَا .فَجَدَّدَهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمِنْ ثَمَّ قَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْن الله.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً للنَّاس. يَعْنِي لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ بَنِيهِ وَهُمْ شُيُوخٌ وَهُوَ شَابٌ؛لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَبَعَثَهُ اللَّهُ شَابًّا كَهَيْئَته يَوْمَ مَاتَ.

وَقَدْ أَنْشَدَ أَبُو حَاتِمٍ السِّجِسْتَانِيُّ فِي مَعْنَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس :

وَأَسْوَدُ رَأْسٍ شَابَ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ ... وَمِنْ قبله ابْن ابْنه فَهُوَ أكبرُ

يرى ابْنَه شَيْخًا يَدِبُّ عَلَى عَصَا ... وَلِحْيَتُهُ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ

وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلَا فَضْلُ قُوَّةٍ ... يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فَيَعْثرُ

يَعَدُّ ابْنُهُ فِي النَّاسِ تِسْعِينَ حِجَّةً ... وَعِشْرِينَ لَا يَجْرِي وَلَا يَتَبَخْتَرُ

وَعُمْرُ أَبْيهِ أَرْبَعُونَ أَمَرَّهَا وَلِابْنِ ابْنِهِ تِسْعُونَ فِي النَّاسِ غُبَّـرُ

فَمَا هُوَ فِي الْمَعْقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِيا وَإِنَّ كُنْتَ لَا تَدْرِي فبالجهل تُعْذَرُ

وَرَوَى ابْـنُ عَسَـاكِرَ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ أَنَّـهُ سَـأَلَ عَبْـدَ اللَّـهِ بْـنَ سَـلَامٍ عَـنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله. لِمَ قَالُوا ذَلِكَ؟

فَـذَكَرُ لَـهُ ابْـنُ سَـلَامٍ مَـا كَـانَ مِـنْ كَتْبِـهِ لِبَـنِي إِسْـرَائِيلَ التَّـوْرَاةَ مِـنْ حِفْظِـه، وَقَـوْلِ بَـنِي إِسْـرَائِيل: لَمْ يَسْـتَطِعْ مُوسَـى أَنْ يَأْتِيَنَـا بِـالتَّوْرَاةِ إِلَّا فِي كِتَـاب، وَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ جَاءَنَا بِهَا مِنْ غَيْرِ كِتَاب.[1]

[1] البداية والنهاية ط هجر (٢/ ٣٨٤).

السيطرة الهلينستية (الحكم اليوناني)

اليونان هم أول الأوروبيين وصولاً إلى آسيا، ووصولهم يشكل منعطفاً مهماً في تاريخ البشرية، سقطت فلسطين تحت سيطرة الإسكندر، ومراجع الكتاب المقدس لا تعطينا معلومات عن مرور الإسكندر إلى فلسطين، من هنا نعود إلى ما كتبه فلافيوس يوسيفوس (حاكم الجليل سنة ٦٦ق.م.)، لقد أرّخ الفترة الزمنية في كتابين: كتاب الأقدميّات اليهودية. وكتاب حرب اليهود ضد الرومان.

يبدو من وراء ما كتبه يوسيفوس أنَّ الإسكندر قد حصل بسهولة على خضوع اليهود، لذلك ترك لهم الحقوق التي نالوها من الفرس سابقاً.

الفكرة الأساسية عند اليونان هي الإيكويني، فهم يعتبرون أنَّ كل البشر إخوة، ويعيشون في الإمبراطورية اليونانية، فجميع المدن التي يسيطر عليها اليونان كانت تُعتبر مدناً لهم، لهم الحق في العيش فيها، وجميع المواطنين القاطنين فيها هم يونانيون واللغة الرسمية كانت

اللغة اليونانية حتى إنها كانت تُفرَض فرضاً، وكان هناك صراع فلسفي وديني بين اليونان واليهود بسبب اختلاف الأفكار والآراء والمعتقدات والفلسفات والآلهة، فعند اليهود إله واحد هو يهوى، بينما عند اليونان فالآلهة متعدّدة، وانتهى الصراع بثورة المكابيين التي قادها يهوذا وإخوته فهم رفضوا وجود الآلهة المختلفة في هيكل أورشليم واعتبروا ذلك تدنيساً لقدسية الهيكل، كما سيأتي بيانه.

عند موت الإسكندر سنة ٣٢٥ ق. م. تبدأ حرب خلافات تسمّى خلافات الجنرالات بين البطالسة والسلوقيين. البطالسة حكموا مصر، والسلوقيون حكموا بلاد ما بين النهرين وسورية، وكان الهدف الأساسي هو السيطرة على الطرق الاستراتيجية. في بادئ الأمر حكم البطالسة مصر وفلسطين وفينيقية لمدة ١٠٠ عام.

بطليموس الأول هجّر اليهود إلى مصر وكانت الثقافة في مصر هي ثقافة يونانية، وبهذه الفترة حدث شيء مهم ألا وهو ترجمة الكتاب المقدس وسُمِّيت ترجمته السبعينية، هذه الترجمة تأثرت كثيراً بالفلسفة اليونانية ولأجل ذلك رفض اليهود بشدة هذه الترجمة لأنَّ بعض المفردات في بعض الأسفار جاءت بمعنى يوناني مغاير للمعنى العبري.

وتعاقب على عرش مصر كثير من البطالسة، فساءت أحكام الأواخر منهم حتى أدى الأمر إلى مداخلة الرومانيين شيئًا فشيئًا إلى أن استولوا على مصر، وانتهى ملك البطالسة بموت كليوباترا عشيقة قيصر وأنطونيوس على يد أوكتافيوس.(١)

وفي هذه الحقبة انطلقت جماعة الحسديم : وهي كلمة عبرية تعني المحبة بالعمل والرحمة.

هم جماعة يتشبثون بالشريعة بشكل دقيق وأمناء للشريعة ويرفضون كل ما ليس بيهودي وكل ما هو غير مطابق للشريعة.

ومن أهم فرق اليهود في هذه الفترة : السامريّون، والصدوقيون، والفريسيون، والقمرانيون، والآسانيون.

وكلها باستثناء السامريين فرق ظهرت في الفترة الوسيطة بعد الأسر البابلي. ويرى بعض الكتاب أن معظم فرق اليهود التي ظهرت قديماً وفي الفترات المتأخرة انقرضت دون أن تترك آثاراً مكتوبة كثيرة حتى يعرفها المتأخرون معرفة دقيقة. وأكثر فرقتين عرف عنها بشيء من التفاصيل هما: الفريسيون والقُمْرانيون. أما الفريسيون، فالمعرفة لهم

---

(١)

جاءت عن طريق الحاخامات الذين حافظوا على كثير من أخبارها، وخاصة في دواوين كتب التلمود.

وأما المعرفة بجماعة القُمْرانيين، فتعود إلى اكتشاف مخطوطات البحر الميت فصارت بهذا الاكتشاف من فرق اليهود المعروفة بعد أن ظلت لحوالي ألف سنة لا يكاد يعرف عنها شيء.

ولكل فرقة من الفرق اليهودية السابقة مذهبها حول الاعتراف بأسفار العهد القديم والأحاديث الشفوية التي يزعمون نسبتها إلى موسى عليه السلام المضمنة في التلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما فيها من أحكام وتعاليم، ولكل منها مذهبه في انتظار المسيح الموعود.

وفيما يلي عرض لهذه الفرق، بما يعرف بها ومعتقداتها بشكل عام في الفترة التي بعث فيه المسيح عليه السلام.

❁ السامريون.

سُمُّوا بالسامريين نسبة إلى منطقة السامرة في فلسطين، وكانت السامرة مدينة تمثل عاصمة مملكة إسرائيل، ثم غلب اسم سامرة على شعب تلك الدولة، فصار يطلق عليهم اسم "سامريون". وهي أقدم الفرق المذكورة آنفاً، ويقال لها: الفرقة الشمالية؛ لأن أتباعها كانوا في

شمال فلسطين، وهم خليط من اليهود والآشوريين كانوا يسكنون مملكة إسرائيل القديمة. كان يهود دولة يهوذا يعتبرون السامريين فرقة خارجة عن اليهودية.

ومن أهم ما يتميز به السامريون في عقيدتهم:

١-أثبتوا نبوَّة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وأنكروا نبوة مَن بَعدَهم مِن الأنبياء إلا نبيًّا واحدًا.

وقالوا: التوراة ما بشَّرَت إلا بنبيٍّ واحدٍ يأتي من بعد موسى يُصدِّق ما بين يديه من التوراة، ويحكُمُ بحكمها ولا يخالفها البتة.

ظهر في السامرة رجل يقال له: الألفان، ادَّعَى النبوة، وزعم أنه هو الذي بشَّرَ به موسى عليه السلام، وأنه هو الكوكب الدري الذي ورد في التوراة أنه يضيء ضوء القمر، وكان ظهوره قبل المسيح عليه السلام بقريب من مائة سنة.

٢-يعترفون بالتوراة فقط ويضيفون إليها سِفْرَ يوشع بن نون عليه السلام، وينكرون ما عدا ذلك من الأسفار والكتب التي يعزوها اليهود إلى الأنبياء وغيرهم، كما لا يعترفون بالتلمود ولا يقبلونه.

افترقت السامرة الى دوستانية وهم الألفانية، وإلى كوستانية، والدوستانية معناها: الفرقة المتفرقة الكاذبة، والكوستانية معناها: الجماعة الصادقة.

وهم يُقِرُّون بالآخرة والثواب والعقاب فيها، والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب في الدنيا (أي: لا يقرُّون بالبعث)، وبين الفريقين اختلاف في الأحكام والشرائع. وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها.

٣-وقالوا: إن الله تعالى أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس، وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، ولكنّ داود تَحَوَّلَ إلى إيلياء وبنى البيت هناك، وخالف الأمر، والسامرة يتوجهون إلى تلك القِبْلَة دون سائر اليهود، ولغتُهم غير لغة اليهود، وزعموا أن التوراة كانت بلسانهم وهي قريبة من العبرانية، فنُقلت إلى السرْيانية.

قال ابن حزم: بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، يزعمون أنها المنزلة، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود مُحَرَّفَة مُبَدَّلَة، وسائر اليهود يقولون: إن التي بأيدي السامرية مُحَرَّفَة مُبَدَّلَة، ولم يقع إلينا توراة السامرية لأنهم لا يستحلون الخروج عن فلسطين

والأردن أصـــلًا؛ إلا أننـــا قـــد أتينـــا ببرهـــان ضـــروري علـــى أن التـــوراة الـــتي بأيدي السامرية أيضًا مُحَرَّفَة مُبَدَّلَة.

٤-ولا يعرفـــون حرمـــة لبيـــت المقـــدس، ولا يعظِّمونـــه، ويتقشَّـــفون في الطهارة أكثر مِن تقشُّف سائر اليهود.

٥-ويعتقـــدون أن الجبـــل المقـــدس هـــو جبـــل جـــرزيم، بـــين بيـــت المقـــدس ونابلس.

وهذه كانت من أهم نقاط الاختلاف بين اليهود والسامريين.

ويقـــال أيضـــاً إن الســـامريين اعتقـــدوا بعـــض الاعتقـــادات الباطنيـــة الـــتي حرموا إفشاءها لغيرهم.

وهـــذه ملاحظـــة مهمـــة؛ لأن أخبـــار النصـــارى تقـــول بـــأن الفـــرق النصـــرانية الباطنيـــة الـــتي يقـــال لهـــا الفـــرق الغنوصـــية جـــاءت مـــن قبـــل السامريين الذين ادعوا اتباع المسيح عليه السلام.

وهـــم يؤمنـــون بـــالخلاص الروحـــاني علـــى يـــد المســـيح المنتظـــر أو الرســـول الموعـــود ويعتقـــدون أنهـــم وجـــدوهم جـــديرون باســـم الإســـرائيليين؛ إذ هـــم الـــذين ينتســـبون إلى يعقـــوب عليـــه الســـلام، وقـــد اســـتمرت الســـامرية إلى يومنا هذا، وإن كانوا فِرْقَة صغيرة في أرض فلسطين.

۞ الصدوقيون.

هم أتباع صدوق الذي يقول أهل الكتاب إنه كان يتولى الكهنة في عهد سليمان عليه السلام، وهم من أقوى فئات اليهود بعد الأسر البابلي اقتصادياً وسياسياً بسبب نفوذهم في الهيكل. وكانت علاقتهم مع الدول الأجنبية الحاكمة الفارسية ثم الرومانية من أحسن العلاقات، وكانت تراعي مصالح الحكام الأجانب في كثير من الأمور وهم من أكثر يهود فلسطين تأثراً بالفلسفة الهللينية. بل إن الكاهن الصَّدوقي جاسون الذي كان كاهناً أيام المملكة السلوقية أراد أن يحول بيت المقدس إلى مدينة هللينية ويغير اسمه إلى أنطاكيا القدس، ويؤسس فيه معاهد ومدارس هللينية.

وكانت الصَّدوقية فرقة صغيرة من حيث عدد أتباعها، ولكنها كبيرة من حيث ثرواتهم ونفوذهم في الاقتصاد والسياسة. وأما عن عقائدهم فقد لاحظ بعض الباحثين أن هناك تشابهاً بين اعتقادات الصَّدوقيين واعتقادات السامريين، إلا أن الصَّدوقيين اهتموا كثيراً بالهيكل والعبادات التي تقام فيه لأنهم كانوا مشرفين عليه.

ومن وجود التشابه بينهم وبين السامريين أن الصدوقيين رفضوا كتب الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسى عليه السلام، وقالوا إن

التـــوراة وحـــدها هـــي مصـــدر اليهـــود ولم يعترفـــوا بـــالتلمود، ولا بالروايـــات الشـــفوية الـــتي يرويهـــا غـــيرهم وهـــم لا يؤمنـــون بالبعـــث والآخـــرة والثـــواب والجـــزاء فيهـــا، ويـــرون أن الـــدنيا هـــي دار العمـــل وهـــي دار الجـــزاء، وأن الـــنفس تمـــوت مـــع الجســـد، وينكـــرون وجـــود الملائكـــة والأرواح والشياطين والعالم الآخر، وينكرون القضاء والقدر.

ويقولـــون مـــن بـــين ســـائر اليهـــود: إن العُزَيْـــر هـــو ابـــن الله - تعـــالى الله عـــن ذلك-.

وعُرِفـــوا بالتســـاهل في الشـــرائع ومـــع أنهـــم رفضـــوا روايـــات اليهـــود الشـــفوية وكتـــب الأنبيـــاء، إلا أنـــه كـــان لهـــم كتـــاب خـــاص دونـــوا فيـــه فتـــاواهم وقضـــاياهم وأحكـــامهم، وأظهـــروا الارتيـــاب في أخبـــار آخـــر الزمـــان ومـــا تعلـــق بمبعـــث المســـيح عليـــه الســـلام. وتجاهلوهـــا ولم يُعجـــبهم اهتمـــام الطوائف بهذه الأمور.

وعنـــدما أرســـل الله المســـيح عليـــه الســـلام، بـــادر الصَّـــدوقيون إلى تكذيبـــه وكانوا أشد أعداء المسيح.

الفريسيون.

من أهم الفرق اليهودية، لأنها تنتسب إلى اليهودية المتأخرة -يهودية الحاخامات -التي يدين بها جلّ اليهود بعد مبعث المسيح عليه السلام.

والفريسيون كلمة آرامية تعني المعتزلة؛ لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور الأحبار وقيل غير ذلك، ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين كانوا جزءاً من الطائفة الحاصدية ثم اعتزلوها.

وقد ملكوا مناصب نفوذ في مجلس السبعين الذي ترأس على شؤون اليهود واليهودية ضد الأسر البابلي إلى تدمير الهيكل سنة ٧٠م، وهذا ما يفسر قوة تأثيرهم قبل مبعث المسيح عليه السلام بسبب المناصب القوية التي تولوها، واستمر نفوذهم ولم ينقطع، ولما ولد المسيح عليه السلام كان الفريسيون من أقوى فئات مجلس السبعين، وزاد نفوذهم كثيراً أيام الحكم الروماني عندما لم يشتركوا في الثورة الكبرى ضد الرومان، وبعد فشل اليهود وتدمير الهيكل اقتربوا من الرومان واستأذنوهم في تأسيس معهد فريسي لتعليم اليهودية في جنوب فلسطين، وأصبح هذا المعهد من أهم مراكز اليهودية بعد تدمير الهيكل، ومن أهم المجامع العلمية، وذهب البعض إلى أن

الفريسيين كانوا هم الزعماء المفكرين للشعب اليهودي زمن عيسى عليه السلام، وإن كان بعض الباحثين يرى أنه لم يكن بين أفرادها من هم في رتبة الرؤساء والوجهاء.

وهم يؤمنون بالأنبياء والرسل المتأخرين الذين جاؤوا بعد سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، وآمنوا بالملائكة والشياطين والبعث والحساب والجزاء.

واختلفوا في مسائل القضاء والقدر، ووقفوا منها موقفاً شبيهاً بموقف المعتزلة عند المسلمين.

وقد آمنوا بروايات شفوية ينسبونها إلى سيدنا موسى عليه السلام تقابل التوراة وتفسيرها، وهي التلمود لكنهم مع إيمانهم هذا اعتقدوا أن رواية الفريسيين هي الرواية الصحيحة، وهي التي يجب على اليهود الأخذ بها، واستوجبوا تقليد عامة اليهود للحاخامات أصحاب هذه الرواية، بل إنهم جعلوا الحاخامات هم مراجع الدين وأقاموها مقاماً أعلى من الكهنة. وقد كانوا في ذلك ينتظرون المسيح المخلص في عالم الروح، أي مسيحاً ليس له سلطة الدولة.

ولم يرفض الفريسيون الهيكل، وإنما جعلوه أمراً ثانوياً في دين اليهود من غير الضروريات، ولم يكن ذلك تقليلاً لشأنه، ولكنهم رأوا أن

التمهيد لمجيء المسيح الذي ينتظرون لا يكون إلا بالدراسة والعبادة وتطبيق الشرع في حياتهم اليومية، ولذلك رفضوا قبول بعض الفرق لضرورة الجهاد كأساس للاستعداد لمجيء المسيح، وكانوا في عصر الميلاد ينقسمون إلى فريقين؛ فريق يتبع الحكيم (هلل) الذي قدم إلى فلسطين من بابل، والفريق الآخر يتبع الحكيم (شماي).

وتشربوا قدراً كبيراً من مذهب الثنائية الفارسي ومذهب مناجاة الأرواح أو اتصال أرواح الأحياء بأرواح الأموات والعلم الأخروي، ولعلنا نلاحظ تأثير هذا على بولس فيما بعد حيث كان منهم.

وكانت العداوة بين الفريسيين والنصارى الأولين عداوة شديدة، وكانوا من أهم الفرق اليهودية التي أعلنت محاربة المسيح عليه السلام بكل ما لديها.

۞ القُمْرانيون.

وجدت هذه الجماعة في وادي قمران على الشاطئ الشمالي الغربي من البحر الميت، وهو ليس بعيداً عن بيت المقدس، بل هو أقرب مناطق البحر الميت إلى فلسطين "القدس الشريف"، وتتحدث هذه الجماعة عن نفسها أحياناً بأنها تمثل جند الله المرابطين أو كتيبة الله، ويعتقد القمرانيون بموسى ويوشع بن نون عليهم السلام، ويبيتون

على الاستعداد الدائم للجهاد في سبيل الله، وكانوا يستفتحون برسول آخر الأيام الذي ينتصرون به على جميع الأمم.

وأحياناً يسمون أنفسهم بالفقراء؛ ولذا زعم بعض الباحثين أن جماعة وادي قُمْران هي الجماعة الأبيونية، وهي من الطوائف اليهودية التي كانت في عصر المسيح عليه السلام. ومما يدعو إلى التحفظ في هذه الأمور أن طوائف اليهودية منذ القرن الثاني ق.م حتى تدمير الهيكل الثاني سنة ٧٠م كانت كثيرة ومتنوعة ومتنازعة،الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع التأكيد على انتسابها للفرق التي يذكرها العلماء لا سيما والأسانيون لم تكتشف كتب لهم حتى تتم المقارنة.

وكانت حرمة الشرع الموسوي لدى القمرانيين عظيمة، وقد أوجبوا على جميع أتباعهم دراسة الشرع دراسة دقيقة وصحيحة على أيدي أئمتهم، وهم يؤمنون بالملائكة والقضاء والقدر والبعث والحساب، ويوافقون في كل هذا الأصول الصحيحة التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، وهو خير دليل على أفضليتهم على طوائف اليهود الآخرين وأمثالها في غير وادي قُمْران، ويبدو أنه

كان لهم -من خلال نصوصهم -أتباعٌ كثيرون في بيت المِقدِس، وفي سائر مدن اليهود في فلسطين في ذلك الوقت.

وذهب بعض الباحثين أن جماعة النصارى الأولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب العدل وبطرس ويوحنا الحواري -منذ رفع المسيح عليه السلام، كانوا على صلة وثيقة بجماعة وادي قُمْران، والتشابه بين جماعة وادي قُمْران والجماعة النصرانية الأولى في بيت المقدس والشام كبير. وأشار بعض الباحثين إلى التشابه بين يعقوب العدل -إمام النصارى الأول -بعد رفع المسيح والمعلم أو الهادي العدل المذكور في مخطوطاتهم. ومن المهم أن نذكر أن جماعة وادي قُمْران اعتبرت وجودها في البادية وجهاً من وجوه استعدادها لقبول المسيح عليه السلام ورسول آخر الزمان الذي يأتيهم من قبل البادية، وذلك كما يصرحون عملاً منهم بقول النبي أشعياء.

۞ الآسانيون.

يرى بعض الباحثين أن هذه الفرقة كانت أيام ظهور المسيح عليه السلام من أهم فرق اليهود وأكثرها نشاطاً، حتى من يكتب عن الفكر الديني الإسرائيلي إبان ظهور النصرانية لا يخلي كتاباته من ذكر هذه الفرقة بين الفرق.

ولكن المعلومات عن هذه الفرقة يكشفها الغموض من البداية، لندرة من كَتب عنهم من القدماء، فهي لا تتجاوز عشرين فقرة لدى المؤرخ يوسيفوس، كذا الحال بالنسبة للكتابات النصرانية القديمة، والشائع بين العلماء أن الكلمة (الآنسينيون) معناها الأطباء، وأن أصلها آرامي هو كلمة (آسيا) بمعنى الطبيب والمداوي، وكما يقول العرب: الآسي، وهناك أقوال أخرى.

ويميل أكثر الباحثين إلى الربط بين كون الآسينيين أطباء وبين المسيح ومعجزاته، ويبدو أنهم ما كانوا يبيحون للعالم الخارجي أن يعرف عنهم الكثير، والظاهر أنه كانت لهم فلسفة دينية وأخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية منها الفلسفة الفيثاغورية، ومنها التنظيم الديني المجوسي الفارسي القائم على تقديس النور وربطه بالخير، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية، لا سيما ما يتصل منها بتقديس الشمس إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال. إذن هذه كانت أهم الفرق الرئيسية لليهود عند ظهور المسيح عليه السلام.[1] ويقسِّم ابن القيِّم اليهود إجمالاً إلى فرقتين: قراؤون وربانيون؛ فالربانيون هم أكثر عددًا وفيهم الحخاميم الكذابون على الله، الذين زعموا أن الله كان

---

[1] المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام (الحقيقة الكاملة).

يخاطب جميعهم في كل مسألة بالصوت الذي يسمونه بث قول، وهذه الطائفة أشد اليهود عداوةً لغيرهم من الأمم، فإن الحخاميم أوهموهم بأن الذبائح لا يحل منها إلا ما كان على الشروط التي ذكروها، فإن سائر الأمم لا تعرف هذا، وأنه شيء خُصُّوا به ومُيِّزُوا به عمَّن سِواهم، وأن الله شرَّفهم به كرامة لهم؛ فصار الواحد منهم ينظر إلى مَن ليس على نِحلته كما ينظر إلى الدابة، وينظر إلى ذبائحه كما ينظر إلى المَيْتَة.

وأما القرَّاؤون فأكثرهم خرجوا إلى دين الإسلام، ونفَعهم تمسُّكهم بالظواهر، وعدم تحريفها إلى أن لم يبق منهم إلا القليل؛ لأنهم أقرب استعدادًا لقبول الإسلام لأمرين: أحدهما إساءة ظنهم بالفقهاء الكذابين المفترين على الله، وطعنهم عليهم. الثاني تمسُّكهم بالظواهر وعدم تحريفها وإبطال معانيها، وأما أولئك الربانيون فإن فقهاءهم وحخاميمهم حُصِروا في مثل سم الخياط بما وضعوا لهم مِن التشديدات والآصار والأغلال، المضافة إلى الآصار والأغلال التي شرعها الله عقوبة لهم، وكان لهم في ذلك مقاصد، منها: أنهم قصدوا بذلك مبالغتهم في مضادة مذاهب الأمم حتى لا يختلطوا بهم، فيؤدي اختلاطهم بهم إلى موافقتهم والخروج من السبت واليهودية.
القصد الثاني: أن اليهود مبددون في شرق الأرض وغربها وجنوبها كما قال تعالى:
﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ الأعراف: ١٦٨

فهذه أشهَر فِرقهم هم الكبار، وانشعبتْ منهم الفِرق إلى إحدى وسبعين فرقة، وهم بأسرهم أجمعوا على أن في التوراة بشارة بواحد

بعد موسى، وإنما افتراقهم إما في تعيين ذلك الواحد، أو في الزيادة على ذلك الواحد، وذكر المشيحا وآثاره ظاهر في الأسفار، وخروج واحد في آخر الزمان هو الكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره أيضًا متَّفق عليه، واليهود على انتظاره، والسبت يوم ذلك الرجل، وهو يوم الاستواء بعد الخلق.

وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ مِن خلق السموات والأرض استوى على عرشه، مستلقيًا على قفاه، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- وقالت فرقة منهم: إن ستة الأيام التي خلق الله تعالى فيها السموات والأرض هي ستة آلاف سنة؛ فإن يومًا عند الله كألف سنة مما تعدون بالسير القمري، وذلك هو ما مضى مِن لدُن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وبه يتمُّ الخلق، ثم إذا بلغ الخَلق إلى النهاية ابتداءِ الأمر، ومِن ابتداء الأمر يكون الاستواء على العرش، والفراغ مِن الخلق، وليس ذلك أمرًا كان ومضى؛ بل هو في المستقبل إذا عددنا الأيام بالألوف.

ثورة المكابيين

لما وقعت الحرب بين أنطيوخس الكبير ملك سورية وبطليموس الخامس ملك مصر تغلب أنطيوخس على اليهودية سنة ١٩٨ ق.م، فخضع اليهود لحكمه فعاملهم بالتؤدة والحلم واحترم حقوقهم وفرائضهم الدينية، ودفع ما يجب لخدمة الهيكل فاستراحت البلاد فيما بقي من حكمه، وعفا اليهود من دفع الجزية ثلاث سنوات، ولكن ابنه أنطيوخس الذي قام بعده سنة ١٧٥ ق.م لم يسر سير أبيه مع اليهود، بل أساء معاملتهم وباع وظيفة الحبر الصالح أونياس إلى أخيه الثالث المسمى يشوع بثلاث مائة وستين وزنة من الذهب يقدمها له خراجًا كل سنة، فسمى يشوع نفسه ياسون، وأدخل بين قومه كل عادة ذميمة عند اليونان؛ لأنه كان مولعا بهم وأنشأ في أورشليم ملعبا وميدانا كان الشبان يتصارعون فيه عراة حسب عادة اليونان وزاد الكهنة والعامة فسادًا في أيامه، حتى إنه بعث مع شبان اليهود تقدمة إلى هيكل صور يوم عبد الإله هرقل، وكان لياسون أخ ثان اسمه أونياس أيضًا، فدعا نفسه منيلاوس، وهو اسم يوناني واشترى من أنطيوخس الرتبة الحبرية بستمائة وستين وزنة، ولما لم

يكن عنده ما يكفي لوفا ما تعهد به باع قسما من آنية الهيكل ودفعه إلى أنطيوخس فأحدث ذلك حزنا عظيمًا في الشعب واضطرابًا شديدًا بينهم، وعند غياب أنطيوخس في مصر سنة ١٧٠ ق. م شاع أنه مات، فجاء ياسون أخو منيلاوس بألف جندي واستولى على أورشليم وقتل كثيرين وحاصر أخاه منيلاوس في البرج، ولكنه لم يتسلط على المدينة تسلطا تاما، وعاد أنطيوخس من مصر وعلم بما حدث، وأن اليهود سروا لما بلغهم خبر موته فهجم على أورشليم وقتل من أهلها أربعين ألفًا وباع مثل ذلك عبيدا ممن ظن أنهم من حزبه، وكان منيلاوس معه فأخذه إلى المقدس ونزع المذبح والمنارة وسلب الخزانة وكان فيها ألف وثمانمائة وزنة، واستخف بإله إسرائيل فدخل قدس الأقداس وقدم خنزيرة وقودًا على المذبح.

وأقام فيلبس اليوناني أحد أراذل فروغية حاكمًا على اليهودية وأندرونيكس الفاحش رئيسًا على السامرة وأعاد منيلاوس الجاهل كاهنا عظيما وسافر إلى أنطاكية.

وظل فيلبس يظلم اليهود حتى عاد أنطيوخس من مصر رابع مرة سنة ١٦٨ ق.م. وصمم على الانتقام من اليهود؛ لأنه كان لا يزال حاقدًا عليهم، فأرسل القائد أبولونيوس ومعه عسكر جرار فدخلوا

أورشليم يوم السبت، بينما كان اليهود في الصلاة فقتلوا الرجال، ونهبوا الأموال، واستعبدوا النساء والأولاد وأحرقوا البيوت وهدموا الأسوار، ولم يفلت من بين أيديهم إلا الذين هربوا إلى الجبال.

ولما وصل أنطيوخس إلى أنطاكية أصدر أوامره إلى سكان ممالكه للتدين بديانة اليونان وكل من لا يمتثل أمره يعاقب أشد العقاب وبعث رجلا اسمه أثينيوس ليعلم اليهود طريقة عبادة الأصنام، فجاء أورشليم وأطاعه بعض ضعفاء اليهود وساعدوه فأبطل الذبيحة اليومية ومنع طاعة الدين الحق ودنس الهيكل بوضعه صنم زفس على مذبح الوقود وتقدمة الخنازير ذبائح له، وطغى فحرق ما وجده من نسخ التوراة، وأكره اليهود على عبادة الأصنام وعدم حفظ يوم السبت، ومنعهم من ختان أولادهم وتقديس كل شهر وفرائضه، وكان يقتل من يخالفه بعدما يذيقه من العذاب ألوانا.

ولما عم البلاء وزاد شر أتباع أنطيوخس هرب من أورشليم جماعة من اليهود وفيهم متاثيا الكاهن، وكان شيخا جليلا من نسل يهوياريب الصالح من سبط لاوي، فجاء مع بنيه الخمسة يوحنا وسيمون ويهوذا والعازر ويوناثان إلى وطنهم الأصلي مدينة مودين في بلاد الفلسطينيين، وكانت عائلة متّاثيا تلقب بالحشمونية، فلما اشتهر

ابنه يهوذا بشجاعته وحسن تدبيره غلب عليه لقب مكابيوس، فنسب إليه قومه فصاروا يسمون مكابيين.

ولما كان متّاثيا وأولاده في مودين تبعهم رجل من رؤساء أنطيوخس اسمه أبلس، وبنى مذبحًا للأوثان وأمر متّاثيا وسكان مودين أن يمارسوا عبادة الأوثان ويذبحوا لها.

وأطاعه بعض اليهود، فهجم متّاثيا بأولاده وقتلوا أبلس والذي رام طاعته من اليهود وهدموا مذبح الأوثان وكسروا الأصنام، ونادوا بوجوب الدفاع عن شريعة الله الطاهرة، فانحاز إليهم كثيرون من أبناء ملتهم، وفروا إلى الجبال، وكان ذلك سنة ١٦٨ ق.م. ثم اتفق متّاثيا مع أبناء وطنه ورجع بهم إلى اليهودية، فكسروا جميع مذابح الأوثان، واستأصلوا خدامها في كل المدن التي مروا بها وأعادوا الختان وعبادة الله الحقيقية سنة ١٦٧ ق.م، وتقدم متّاثيا في السن فأقام ابنه يهوذا خليفة له على الجنود اليهودية، فجاء يهوذا بقومه وهاجم، الأعداء على غير انتظار منهم، فانتصر عليهم وأبلى فيهم بلاءً مرا، فاجتمع حوله الصادقون فدربهم على القتال ومقاومة الأعداء، وتشجع عسكره بعد هذه الغلبة حتى أتى الحرب جهارًا، فالتقى بجنود أنطيوخس في بيت حورون فهزمهم شر هزيمة على قلة عدد رجاله.

ولما سمع أنطيوخس بما تم، تميز غيظًا وصمم على إهلاك اليهود، وجَعْلِ أورشليم مدفنا لهم وعين أحد قواده المسمى ليسياس وأصحبه بجيش جرار، فجاء هذا بأربعين ألف راجل وسبعة آلاف فارس أتى منهم نحو عشرين ألفا إلى عمواس بين يافا وأورشليم وكان يهوذا في مصفاة ومعه نحو ستة آلاف مقاتل منهم، وبلغه أن فرقة من الأعداء جاءت لتكبسه، فخاف رجاله ولم يبق معه سوى ثلاثة آلاف، فخطب فيهم قائلا: من كان خائفًا فليرجع وشجعهم، وجاء بهم ليلا وكبس الأعداء في المحلة، فهزمهم إلى نواحي أسدود، ثم رجع فحارب الذين جاءوا ليبيتوه، وكانت قلوبهم قد هلعت لما علموا ما جرى برفاقهم في المحلة فهربوا تاركين أسرى كثيرين.

ثم استولى اليهود على حصون جبل جلعاد المنيعة، وفي السنة التالية قهر يهوذا ليسياس نفسه في بيت صورا بين حبرون وأورشليم، وكان مع ليسياس نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل فارتد منهزما، ثم استولى يهوذا على أورشليم سوى البرج، وطهر الهيكل وأقام الخدمة الدينية فيه لثلاث سنين منذ ألغاها أنطيوخس، وكان ذلك سنة ١٦٥ ق.م. ولما أخذ بعض الأمم المجاورة يضايقون من طالته أيديهم من اليهود شن يهوذا الغارة عليهم كالأدوميين وبني عمون فكسرهم وانتقم

منهم، ثم سار في جيش إلى عبر الأردن وغلب السوريين في جلعاد، وأخضع البلاد بأسرها ونقل اليهود الساكنين فيها إلى اليهودية بغية حمايتهم، وفي أثناء ذلك بعث أخاه سيمون إلى الجليل ومعه نحو ٣٠٠٠ راجل فقهر العدو وخلص اليهود من ضيقاتهم.

ومات أنطيوخس الرابع سنة ١٦٤ ق.م فلما بلغ ذلك ليسياس نادى بملك ابنه الصغير الذي كان استودعه إياه أبوه، وكان عمره ١٢ سنة، ودعي أنطيوخس الخامس الملقب بيوباتور وأخذه ليسياس معه، وسار لنجدة السوريين المحصورين في برج أورشليم، وكان جيشه عظيمًا بلغ نحو مائة ألف راجل وعشرين ألف فارس، وكان فيه ٣٢ فيلا هالت قلوب اليهود، واشتد القتال عند بيت صورا، وكان اليهود قليلين بالنسبة إلى الأعداء، لكنهم لم يجبنوا وأظهروا غاية البأس وأبرز العازر أخو يهوذا من الشجاعة ما يقصر عنه الوصف فإنه هاجم أحد الأفيال، ودخل تحت بطنه وطعنه بسيفه فقتله، لكن الفيل وقع عليه فقتله، ومع أن اليهود ثبتوا في القتال لم يقدروا على قهر الأعداء لكثرة عددهم، فارتدوا إلى أورشليم وخضع بيت صورا للسوريين وتقدم ليسياس وحاصر أورشليم ولم يقدر على افتتاحها حتى سمع بقدوم فيلبس إلى أنطاكية وامتلاكها، فأراد ليسياس مصالحة اليهود لكي يرجع إلى سورية فصالحوه إذ كانوا قد

أشرفوا على الموت جوعا وعاهدهم ليسياس بأنه لا يضر بهم ويطلق لهم الحرية الدينية ففتحوا الأبواب فدخل السوريون ولم يقوموا بالعهد فهدموا سور الهيكل وعينوا إنسانًا يقال له: الكيمس رئيس الكهنة على شرط أنه يخضع لهم.

ثم رجع ليسياس وأنطيوخس إلى أنطاكية وقتلا فيلبس وطرد جماعته ونجا ديمتريوس بن سلوقوس من رومية، فجاء إلى أنطاكية وقتل ليسياس وأنطيوخس الصغير سنة ١٦٢ ق.م، وتولى الملك باسم ديمتريوس الأول ولقب بصوتير، ولما سمع الكيمس بذلك نزل إلى أنطاكية ليسالمه فحصل على ما أراد وأغوى ديمتريوس أن يوجه في صحبته قائدا يسمى بكديس في جيش جرار لمقاومة يهوذا في أورشليم، ولما لم ينجح بكديس عاد إلى أنطاكية فجهز ديمتريوس جيشًا آخر في مقدمته رجل يسمى نيكانور ولاقاه يهوذا وقهره فلاذ القائد بالبرج في أورشليم، إذ كان في أيدي السوريين واستغاث بهم فأمدوه فخرج لمحاربة يهوذا، ولم يكن مع يهوذا سوى ألف راجل فاقتتلوا في أداسه في نواحي رمله، واشتد القتال على يهوذا، ولكنه انتصر، فقتل نيكانور وكل من معه وأتي برأس القائد وعلق بسور في أورشليم، أما يهوذا فشاع صيته وطلب معاهدة رومية يومئذ فأجابته

وكتبت مشيختها إلى ولاتها وأعوانها أن يحترموا اليهود إلا أن ذلك لم يجد يهوذا نفعًا؛ لأن كثيرين من حزبه حسبوا استغاثة الوثنيين حرامًا وإهانة لله وقدم بكديس سنة ١٦١ ق.م، في نحو عشرين ألفًا ولم يستطع يهوذا أن يحشد أكثر من ٣٠٠٠ مقاتلا، ولما قرب القتال خرجوا عليه سوى ٨٠٠ منهم، ومع ذلك لم يخف يهوذا ولحق العدو في نواحي أسدود وحمي وطيس القتال، وثبت اليهود وقتا طويلا، وكان آخر الأمر أن نادى يهوذا رجاله قائلا: قد حضر أجلنا فلنمت كالأبطال، فحملوا على ميمنة العدو، حيث بكديس نفسه وكسروه وطردوه، غير أن الميسرة دارت من خلفهم ولما كانوا قليلين أحاط بهم العدو وقتل يهوذا وأكثر رجاله وانتصر السوريون، وكان ذلك سنة ١٦١ ق.م.

وتمكن بكديس من التسلط على أورشليم بعد موت يهوذا، وثقل جبروته على اليهود حتى استصرخوا إخوة يهوذا فأجابوا ولم يبق منهم غير يوناثان وسيمون، وقام الأول قائدًا عوضا عن أخيه فحشد جيشا جديدًا في البرية؛ لأنه لم يتجاسر أن يحارب جهارًا كأخيه فأقام في مستنقعة قرب الأردن، ولما عرف بكديس بذلك أوقع باليهود في يوم سبت لظنه أنهم لا يقاومونه يومئذ، فحرض يوناثان قومه على أشد قتال ففعلوا وقتلوا أكثر من ألف من

الأعداء، ثم رموا بأنفسهم إلى النهر ونجوا إلى العبر ورجع بكديس إلى أورشليم خاسرا، ولما لم ير نجاحا ترك البلاد مدةً، لكنه رجع بعد ذلك. وكان الفريقان يقتلان ويغزوان كل ما تيسر لهما، وبذل بكديس جهده في أن يتمكن من يوناثان ولم يستطع ولا أن يخضعه، فمل من الحرب وقطع معه عهدًا أنه لا يقلق اليهود بعد فعاد إلى بلاده سنة ١٥٨ ق.م ولم يرجع، وكان إيناس الحبر في مصر فاتخذ يوناثان الوظيفة الكهنوتية في أورشليم مع منصب السياسة.

وحصل اليهود على السلام نحو ست سنين بعد ذلك وحكم يوناثان بالاستقامة وأصلح ما أمكن من الأمور، ثم وقع الخصام بين ديمتريوس وإسكندر بالاس في ملك سورية، وتسابق الفريقان في أن يحزب يوناثان معهما، فأطلق ديمتريوس اليهود المسجونين في البرج ورفع جانبا عظيمًا من الجزية، وقدم شيئًا كثيرا لخدمة الهيكل وأما إسكندر فعين يوناثان رئيس الكهنة مكان الكيمس الذي كان قد مات فقبل يوناثان واتفق مع اسكندر، ولما غلب هذا سنة ١٥٠ ق.م، عظم شأن يوناثان وصار رئيس اليهود الديني والسياسي وأحسن السيرة، ولما عاد الخصام في مملكة سورية سنة ١٤٧ ق.م، وساءت سيرة إسكندر بالاس، ومات ديمتريوس تولى ابنه ديمتريوس

الثاني سنة ١٤٦ ق.م، وطرد إسكندر من الملك، ثبت يوناثان فيما كان عليه، مع أنه كان حليف إسكندر سابقا، وسنة ١٤٥ ق.م شرع يحاصر البرج على جبل صهيون الذي بقي كل هذه السنين بيد العدو ومكنهم من التسلط على المدينة ونهبها، ولما لم يقدر على افتتاحه عنوة سوره وسد على من فيه وبقي الحصار نحو ثلاث سنوات.

ثم انقلبت الأمور في سورية، وقام تريفون الذي اغتصب سرير الشام وطرد ديمتريوس الثاني، وأقام مقامه أنطيوخس السادس وهو ولد صغير، وصالح يوناثان، ولكن لما أراد تريفون هذا عزل أنطيوخس ابن سيده واغتصاب الملك عمد إلى إهلاك يوناثان لئلا يقاومه؛ لأنه كان يعتقد أن يوناثان محب لأنطيوخس فأتى إلى عكا، ودعا يوناثان للمشاورة، فلما جاءه قبض عليه وقتله سنة ١٤٤ ق.م، وأراد قتل أخيه سيمون أيضًا، لكنه نجا فرجع تريفون، وأما سيمون فأخذ جثة أخيه ودفنها في مودين.

ثم سد مسد يوناثان في الرئاسة وشدد الحصار على البرج، ولم يكف عنه حتى افتتحه سنة ١٤٢ ق.م، وهدمه، ثم قوى أسوار المدينة، ولا سيما الأسوار المحيطة بالهيكل لكي يصير حصنا منيعا، وأحسن

سيمون السياسة وحصل اليهود على استقلالهم، فيؤرخ ملكهم من السنة الأولى لسيمون سنة ١٤٣ ق.م. وتمتع الناس مدةً بالسلام.

ولما ازداد عتو تريفون اغتصب الملك من أنطيوخس السادس وعزله، وكان قد ملك أنطيوخس السابع أخو ديمتريوس فاتفق مع كليوباترا وحاربا تريفون فقتلاه.

وأراد أنطيوخس هذا إضافة اليهود إلى مملكته فبعث إليهم جيشا هزمه ابنا سيمون فلم يعد أنطيوخس يغزو اليهودية مدة حياة سيمون، فإنه كان قد غلظ أمره كثيرا وجدد المعاهدة مع رومية وحالف السبرطيين، لكن بطليموس زوج ابنته تلماي صاحب أريحا فدعا سيمون وبنيه إلى وليمة، ثم قام على سيمون وقتله هو وابناه يهوذا ومتاثياس غدرًا، وكانت غايته أن يبيد كل نسله، إلا أن مقصده لم يتم إذ كان يوحنا أحد بنيه غائبا، فإنه لما علم أن تلماي يروم قتله هرب إلى بلد في الجبال أهلها يكرهون تلماي، وتبعه تلماي راغبا قتله، فدافع أهل البلد عنه وطردوا تلماي، ورجع يوحنا بعد ذلك فتولى الملك بعد سيمون سنة ١٣٥ ق.م.

وكان يوحنا يلقب بهركانس، ولما استقام له الأمر سار بجيش إلى أريحا للانتقام من بطليموس وتخليص أمه وإخوته منه، فنازل المدينة،

ولما تضايق بطليموس أخرج الأم وبنيها وأوقفهم على السور، وصرح بأنه يطرحهم إلى أسفل إن لم يكف هركانس عنه، فنادته أمه وحثته أن يبقى على ما كان عليه إلى أن ينتقم من المذنب ولو هلكت هي وبنوها، لكن هركانس كره أن يكون سبب هلاك أحبائه فانصرف، فلما علم بطليموس بالفرج قتلهم جميعا وهرب.

ثم شرع أنطيوخس السابع يخضع اليهود وحاصر أورشليم محاصرة شديدة، ولم يقدر أن يفتتحها لقوة أسوارها، وفي أثناء ذلك كان عيد المظال لليهود فطلب هركانس فترة سبعة أيام فسمح بذلك أنطيوخس وقدم له ذبيحة من ثيران كسيت قرونها بالذهب لتقديمها قربانا على مذبح الرب وأوان من ذهب وفضة ثمينة مملوءة بخورًا فأثر ذلك في هركانس وفي الشعب، وتحققوا أن أنطيوخس هذا ليس كأنطيوخس السالف الذي لم يحترم بيت الله ودنسه بتقديمه خنازير على المقدس، ورشه دمها وشحمها على جدران الهيكل وإبطاله التوراة، فاتفقوا على أن هركانس يعترف بملك أنطيوخس ويؤدي الجزية عن بعض المدن، ويهدم أسوار أورشليم، ويقبل فيها حراسًا من قبل أنطيوخس، غير أنه بدل هذا الشرط الأخير بتأدية ٥٠٠ وزنة من الفضة، وتم ذلك سنة ١٣٣ ق.م، لكنه بعد قليل نجا اليهود من يد ملك سورية، فإنه لما سار أنطيوخس إلى محاربة

الفرثيين لتخليص أخيه ديمتريوس سنة ١٢٨ ق.م سار هركانس في صحبته وتأخر عن جيش أنطيوخس حين هزيمته فعاد سالما وانتهز الفرصة لإعادة استقلاله ولم يخضع لملوك سورية لتشويش أمورهم، وكان ذلك سنة ١٢٨ ق.م.

ولما انتظم لهركانس أمر المملكة عمد إلى إخضاع القبائل المجاورة، فاستولى على ما كان لبني إسرائيل من عبر الأردن وأوصل تخومه إلى البحر المتوسط، ثم أغار على الأدوميين الذين تعدوا على تخوم اليهودية الجنوبية وأجبرهم على الختان وسائر سنن اليهود ليزيل جنسيتهم، وكان اليهود قد احتملوا مشقات ثقيلة من تسلط دولة الأدوميين عليهم.

وأخضع هركانس السامريين وخرب هيكلهم على جبل جرزيم لمضي مائتي سنة بعد بنائه، وأراد بذلك إبادة تلك العبادة الفاسدة التي كان السامريون يعيرون اليهود بها. وحاصر مدينة السامرة وضايقها، فاستصرخ أهلها ملك سورية الذي أمدهم بجيش. فلما عرف بقدومه ابنا هركانس القائمان بحصار المدينة أسرعا إلى لقاء جيش السوريين وهزماه، ثم رجعا إلى السامرة فساءت حالها واشتد ضيقها فسلمت سنة ١٠٩ ق.م فخربها هركانس وتركها بلقعًا وضم أرضها

إلى مملكته، وأضاف إليها الجليل، فصارت مملكة ذات شأن تكاد تكون كمملكة داود، وزخرف هركانس أورشليم وحصنها وعظم شأنه كثيرا، لكن أخذت الدولة التي أسسها سيمون تتوغل في الشرور وتضعف إلى أن انقرضت، ولقبت بالأسمونية أو الحشمنية تمييزا عمن سبقها من المكابيين الذين لم يسموا ملوكا.

وقام بعد هركانس ابنه أرستبولس، وهو أول من لبس التاج من دولته واتخذ كل ما يتعلق بالملك بخلاف من سلفه.

وخلفه أخوه إسكندر ينيوس، ولما انتظم له الأمر أراد افتتاح غزة وصور وبطلمايس وهاجم بطلمايس أولاً فاستنجدت بطليموس لاثُرس ملك قبرص، فأجاب الطلب وأتى بجيش عظيم، وكانت الكرة على إسكندر وقتل من اليهود نحو ٣٠٠٠ فاستصرخ كليوباترا ملكة مصر، فسارت إلى اليهودية لمعونته، إذ توقعت الشر من لاثُرس إذا ظفر ولما أتت أنقذت إسكندر من الهلاك، غير أنها أرادت أن يخضع لها فاستدعته لمحلها بغية القبض عليه والاستيلاء على مملكته، لكنه منعها من ذلك بعض اليهود من قوادها وكان ذلك سنة ١٠١ ق.م فنجا إسكندر وتمكن من التسلط على اليهودية وعلى بعض المدن التي لم تكن خاضعة له قبلا ومنها غزة

افتتحها غيلة وأحرقها وقتل كثيرين وأبدى في سياسته من الظلم ما حمل الناس على بغضه، ولا سيما الفريسيون.

ولما أيقن حلول الأجل استدعى إسكندرة امرأته وأوصاها أن تستولي على الملك بعده وتصالح الفريسيين وتلاطفهم إذ تحقق أن لا سلام ولا راحة لمن لا يسالمهم.

وكان لإسكندر ابنان هركانس وأرستبولس، فصار الأول وهو البكر رئيس الكهنة، وصار الثاني قائد الجيوش.

وملك هركانس من بعد أمه وخرج لمحاربة أرستبولس فانهزم ولجأ إلى أورشليم وأتى أخوه وحاصره فيها، ولما كان هركانس غير راض بالحرب عرض على أخيه المسالمة على شرط أن يكون الحبر الأعظم وأرستبولس ملكًا، فأجابه أرستبولس إلى ذلك وصار ملكا سنة ٦٩ ق.م.

وكان أنتغنس بن هركانس، آخر من ملك من بيت حشمناي وقتل سنة ٢٧ ق.م، فانقرضت بموته دولة المكابيين، وانتقل الملك إلى هيرودس الكبير نسيبهم.

وقد كان عصر المكابيين من العصور التي أجلى فيها اليهود عن شجاعة وبسالة عظيمتين فعاودتهم النخوة الوطنية والغيرة الدينية التي كانت قد خمدت فيهم أثناء السبي وبعده، وأظهروا للملأ قاطبة أنهم لم يعدموا تلك الصفات التي ميزت أسلافهم أيام غزوا أرض كنعان، على أن ذلك العصر لم يطل لوقوع النزاع الأهلي وانقراض تلك الأسرة، وعدم قيام غيرها مثلها بين اليهود تتولى زعامتهم وتقود جيوشهم إلى مواقع النصر والظفر، وكان الرومان قد شرعوا يوسعون سلطتهم ويبسطون ظلهم ويمدون تخومهم، فلم يكن ينتظر أن تقف جماعة اليهود على ما بهم من الضعف الداخلي وقلة العدد سدا حائلا في سبيل نصرتهم وفوز جيوشهم على كثرتها وحسن تدريبها بعد أن تغلبوا على جزء كبير من العالم، وأخضعوا لصولتهم أكثر أنحاء المعمورة في تلك العصور.[(١)]

---

(١) تاريخ الإسرائيليين (ص: ٤٣-٥٧)

الشتات الأخير

بعد انتهاء حكم المكابيين تولى هيرودس ملك اليهود، وهو هيرودس الأكبر باني قيصرية على شاطئ البحر المتوسط ومرمم السامرة ومجدد بهاء هيكل أورشليم المشهور وظل العمل فيه نحو ٤٦ سنة حتى جاء في غاية الفخامة والجمال. وكان يتقرب بهذه الأعمال إلى اليهود، أما هم فلم يحبوة لكونه أدوميًا أجنبيا عنهم، وفي السنة الأخيرة من حياته على الصحيح، ولد النبي العظيم عيسى ابن مريم عليه السلام،[1] ولما أرسله الله إلى بني إسرائيل ليردهم إلى الدين الحق عاندوه وكذبوه وحاولوا قتله، ولقد كان اليهود يَنتظِرون المسيح المخلِّص الذي يُخلِّصهم من العبودية بعد تشتُّتهم، ويُعيد إليهم مُلكَهم الدنيوي، فلما ظهر عيسى في صورة قديس، وحاول تخليصهم روحيًّا وخُلُقيًّا مِن شُرورهم، ولم يظهَر في صورة ملك يُعيد إليهم سلطانهم الدُّنيوي، أنكروه واضطهدوه، وحتى الآن وهم يَنتظِرون المسيح المخلِّص في صورة ملك مِن نَسلِ داود، يُخلِّصهم مِن الاستعباد والتشتُّت. ولهذا لم يؤمن أصحاب المصالح بعيسى ابن مريم حين ظُهورِه، على الرغم مِن انطِباق الصفات التي بشَّر بها الأنبياء مِن قبله عليه، يقول سفر زكريا فى الكتاب المقدس:

---

[1] المرجع السابق.

ابتهجي جدا يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم، هو ذا ملكك يأتى إليك، هو عادل ومنصور، وديع وراكب على حمار، ويتكلم بالسلام للأمم، وسلطانه من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض."(١)

لكنه عندما جاء بالفعل لم يصدقوه وأنكروه وطاردوه ووشوا به عند الرومان. ثم حرضوا الرومان على أتباع عيسى عليه السلام، مما جعل المسيحيين مضطهدين في تلك المنطقة، لكن في سنة ثلاثمئة وأربع وعشرين للميلاد، أمر مَلِكُ الروم قسطنطين الأول بمنح الأمان للمسيحيين وإيقاف الاضطهاد عليهم، بل واعترف بالديانة المسيحية واعتنقها، مما جعل النفوذ المسيحي يزداد قوة وبدأت المذابح ضد اليهود، مما أدى إلى هروبهم وانتشارهم في كافة بقاع الأرض.

إن مفهوم المسيح المنتظر أو المسيا المنتظر من المفاهيم الأساسية في الكتاب المقدّس، وصورة اليهود عنه أنه عندما يأتي تَطرح الأرض فطيرًا وملابس من الصوف، وقمحًا حَبُّه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن تَرجِع السلطة لليهود، وكل الأمم تَخدم ذلك المسيح وتخضع له، وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه وثلاثمائة وعشرة تحت سلطته، لكن المسيح لا يأتي إلا بعد انقِضاء حكم الخارجين عن دين بني إسرائيل.

---

(١) سفر زكريا (الإصحاح ٩:٩)، سفر المزامير (مزمور ٧٢:٨) .

دخل اليهود في هذه الفترة تحت الحكم الروماني فكانوا تارة يطردون الجند الروماني من أورشليم، وآونة يظهرون الرضا بحكم الأباطرة عليهم إلى أن جاء ولاة رومانيون أكثرهم ظالمون عتاة، فلم يهتموا بشئون اليهود، بل عاملوهم بالقسوة وساموهم الخسف حتى عيل صبرهم فرفعوا أمرهم إلى رومية، ولما لم يأتهم منها الفرج تظاهروا بالعصيان وأحدثوا شغبًا عظيمًا، فأرسلت إليهم رومية قائدها المحنك فسباسيان، فحاصر أورشليم وحارب اليهود وظل على قتالهم إلى أن انتخبة الجيش الروماني إمبراطورا فخلف ابنه تيطس على الحصار وقتال اليهود، وكان تيطس هذا قائدًا مدربا وبطلا مجربًا ذاق منه اليهود الأَمَرَّين. ولقي منهم من المقاومة والدفاع والثبات في الحرب والحصار ما كاد يثنيه عن عزمه من إخضاعهم، لكنه ثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية المشهورة ومُنِيَ اليهود بالانقسام الداخلي والفتن والمنازعات بينهم حتى ضعف أمرهم وتقلص ظلهم، وتقوى تيطس عليهم فمزق شملهم، ودخل أورشليم فدكها دكًا ودمرها تدميرا، ومات من اليهود في ذلك الحصار نحو ستمائة ألف نفس، فسالت الدماء كالأنهار.[١] وإلى هنا ينتهي تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم تفرقوا في جميع البلاد وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوها أو نزلوا فيها، وقد قاسوا في غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء.[٢]

---

(١) تاريخ الإسرائيليين (ص: ٥٩)

(٢) تاريخ الإسرائيليين (ص: ٦٣)

حيث رحل بعضهم إلى الجزيرة العربية، والبعض الآخر إلى أوروبا وأفريقيا. وَمَعَ تشتتهم فَإِن الْعَذَاب كَانَ يحل بهم أَيْنَمَا حلوا، وتعرضوا لنقمة أهل الْبِلَاد الَّتِي يسكنون فِيهَا؛ بِسَبَب كفرهم وفسقهم وفسادهم وإفسادهم فِي الأَرْض وإشاعتهم للفتن والرذائل وَأكل أَمْوَال النَّاس بِالْبَاطِل.

۞ اليهود في يثرب.

هاجرت طوائف من اليهود إلى الجزيرة العربية فنزل بعضهم في خيبر ونزلت ثلاث قبائل في يثرب وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير، وذلك ترقبا لخروج النبي الخاتم، في أرض ذات نخيل بين حرتين كما بشرت به التوراة وذلك طمعا أن يكون هذا النبي منهم . وبدأوا بإنشاء الحصون المنيعة والسيطرة على الأسواق التجارية وخصوصا تجارة الذهب والفضة وصياغتهما. وصناعة السلاح ثم بيعه للأوس والخزرج ومن ثم قاموا بإشعال الحروب بينهم من أجل أن تستمر تجارة السلاح ويضعف العرب فتكون لهم الكلمة العليا في هذه المنطقة. وفي عام ستمئة وعشرة ميلادية، بُعِثَ النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة واستمر ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد، ولكن المشركين اضطهدوا أصحابه فبدأ بالبحث عن بلد يقيم به أسس الدولة الإسلامية بعيدا عن جبروت قريش. وهيأ الله الأنصار لقبول دعوته وطلبوا منه النزول في بلادهم ووعدوه بالنصر وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وسميت بالمدينة بعد هذا التاريخ وبدأ يدعو اليهود إلى الإيمان به ولكنهم رفضوا دعوته مع أنهم يعلمون يقينا أنه النبي المذكور في كتابهم، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم؛ وذلك

حسدا منهم لأنه من العرب. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يجبرهم على ترك دينهم وعقد معهم معاهدة سلام تجلى فيها عدل الرسول في أبهى صورة، ولكنهم على عادتهم بدأت قبائلهم تنقض العهود والمواثيق قبيلةً قبيلة. فأخرج رسول الله يهود بني قَيْنُقاع، ثم حاول بنو النضير قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنهم

فشلوا، فأمرهم النبي بمغادرة المدينة. فذهبوا الى خَيْبَر، وبدأوا بتحريض العرب على المسلمين وشهدوا لهم أن عبادة الأوثان خير من دين محمد. فاستطاعوا أن يجمعوا عشرة ألآف مقاتل واتجهوا لغزو المدينة في غزوة الأحزاب الشهيرة، ولكنهم فوجئوا بالخندق فضربوا الحصار على المدينة ... ونقضت بنو قُرَيظة العهد من أجل أن يُكملوا الحصار على المسلمين من كل جهة. ولكن الله خيب سعيهم ورد الأحزاب بغيضهم لم ينالوا خيرا، فاتجه النبي صلى الله عليه وسلم، مباشرة بعد غزوة الأحزاب نحو بني قُرَيظة فحاصرهم وأنزلهم على حُكْمِه، وأنزل بهم أقسى العقوبات ثم اتجه نحو يهود خَيْبَر وضرب الحصار عليهم وفتح حصونهم واحدا واحدا، وانتصر عليهم انتصارا ساحقا فاستسلموا ثم طلبوا منه أن يبقيهم في مزارعهم فقبل منهم بشرط أن يخرجهم منها متى شاء، فلما كان في عهد عمر بن الخطاب قاموا باغتيال أحد المسلمين فأخرجهم من الجزيرة العربية للأبد. وانتشرت الفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب وفي عام ستمئة وثلاثة وثلاثين ميلاديًا، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تم فتح بيت المقدس، وأصبحت القدس تحت سلطة المسلمين. ووضع

عمر عهدا بينه وبين أهل إيلياء، وهو ما يعرف بالعُهْدَةِ العُمَرِيَّة، التي أعطتهم الأمان على أنفسهم وأموالهم في تلك الأرض وعاش اليهود في ظل الدولة الإسلامية لم يمسهم أذى. وكانت النسبة الأعلى من يهود العالم في العالم الإسلامي. ثم بدأوا لأسباب غير معروفة يتجهون نحو أوروبا.

۞ اليهود في إنكلترا.

يُظَنُّ أن اليهود جاءوا إنكلترا مع السكسون وقد ورد ذكرهم في بعض النظامات الدينية سنة ٧٤٠ للميلاد، وسنة ٨٣٣ للميلاد. ولقوا معاملة حسنة من وليم الفاتح وابنه وليم روفس. ويُروَى أن وِلْيَم روفس هذا أقسم في خلال جدال دار بين الأساقفة والحاخاميين ليصيرن يهوديا إذا فاز الحاخامون، وزاد على ذلك أن وهبهم كراسي جميع الأبرشيات الفارغة، ولكن ذلك لم يطُل، فأخذ الشعب يتذمر من زيادة ثروتهم ونجاحهم في الأعمال والتجارة، وتحول التذمر إلى كره، وقد جاء في أحد التواريخ أن أحدهم وقف ينظر تتويج الملك ريكارد المعروف بقلب الأسد، وكان ذلك محظورا عليهم فهاج الشعب وثاروا عليهم، ونهبوا بيوتهم، فغضب الملك وأمر بمعاقبة الجانين فشنق منهم ثلاثة، ولكن تعصب الكهنة حال دون تحقيق رغائبه من إجراء العدالة ومعاقبة جميع المذنبين. ولما ذهب ريكارد إلى فلسطين في الحرب الصليبية الثالثة ساءت أحوالهم جدا وخيروا في بعض المدن بين الموت أو اعتناق النصرانية، ولما عاد الملك ريكارد من فلسطين انتعشت آمالهم وصارت حياتهم في أمان، وأكرمهم الملك يوحنا إكراما زائدا. ثم انقلب عليهم وأمر بنهبهم وحبسهم في

جميع أنحاء المملكة وأصابهم أذى شديد في أيام الملك هنرى الثالث، واتهمهم البعض بأنهم ينزعون جزءا من ذهب النقود وفضتها بعد أن يقبضوها، ثم يدفعونها إلى التجار .فأصدر ذلك الملك أمره إليهم سنة ١٢٣٠ بأن يدفعوا إلى الخزينة ثلث أموالهم المنقولة، وفي أثناء ذلك اتهموا بصلب ولد من أولاد المسيحيين اسمه هيولنكولن، ولم تتحسن أحوالهم بتبوء إدورد عرش المملكة، ولكن بعض الإنكليز حاول أن يثنيهم عن الربا كما حاول غيرهم ذلك في فرنسا فلم يفلح؛ لأن اليهود كانوا ممنوعين عن معاطاة الأعمال الأخرى طبقا للأوامر الملكية العديدة التي صدرت بشأنهم.

ولأن كره الناس لهم في أوروبا جمعاء حال بينهم وبين اهتمامهم بالصناعات والزراعة لكثرة ما كان يصيبهم من النهب والظلم، وما ينزل بهم من الضيم والأذى، ولما اشتد بهم الأمر في إنكلترا ضاقت بهم سبل الوجود توسلوا إلى الملك أن يأذن لهم بمغادرة البلاد، فأقنعهم بالبقاء، لكن الأمة بأسرها قامت عليهم سنة ألف ومئتين وتسعين، فأخرجتهم من إنكلترا، فخلفوا في يد الملك جميع أموالهم وديونهم ورهنهم، وارتحلوا إلى فرنسا وجرمانيا، ويقدر عددهم حينئذ بنحو ستة عشر ألف نفس.

۞ اليهود في وجِرْمانيا.

دخل اليهود جرمانيا في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير وانتشروا في القرن الثامن في المدن الواقعة على ضفاف نهر الراين، وفي القرن العاشر حلوا في سكسونيا وبوهيميا. وفي القرن الحادي عشر أتوا فرانكونيا وسوابيا وفينا، وفي القرن الثاني عشر نزلوا في

براندنبرج وسليزيا، ولم يكن نصيبهم من جرمانيا بأحسن منه في غيرها، فأجبروا على تأدية الضرائب الباهظة على اختلاف أنواعها، وأُرغِموا على تقديم الهدايا للأمبراطرة والأمراء والحكام استعطافا لهم وترضية، وكان الأمراء في تلك العصور إذا عضتهم الحاجة أغاروا على اليهود فسلبوهم مقتنياتهم، ثم جاءت الحرب الصليبية ضغثًا على إبَّالة.

فهاج الرأي العام، وقامت عليهم القيامة، فصبغت المدن بدمائهم وظل القتل والذبح منتشرا فيهم، والظلم والجور لاحقين بهم إلى أن صدرت الأوامر بطردهم من أنحاء تلك البلاد المختلفة في أزمنة متتابعة. وذلك بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر حتى لم يكد يبقى منهم واحد فيها، ولم يطل زمان غيابهم عن جرمانيا لافتقارها إليهم فعادوا إليها وأذن لهم في بعض المدن باتخاذ الرعوية المحلية وباقتناء العقارات، لكنهم ما برحوا معرضين لطمع الأمبراطرة والملوك والأمراء الذين كانوا يلغون ما لليهود عليهم من الديون حينا بعد آخر تخلصا منها على أسهل منوال، وكان عليهم في بعض المدن أن يسكنوا شوارع خاصة بهم تعرف بحي اليهود.

۞ اليهود في سويسرا.

ولم يطأ اليهود سويسرا إلا بعد أن أقاموا زمانا طويلا في ألمانيا، وبدأ اضطهادهم فيها في القرن الرابع عشر، ولم يكد القرن الخامس عشر ينتهي حتى طُرِدوا منها. أما في روسيا وهنغاريا فأصابهم من الاضطهاد مثل ما أصابهم في الممالك الأخرى، وبعد أن ذاقوا فيهما الأمرين طردوا منهما نحو أواخر القرون الوسطى.

۞ اليهود في الأندلس.

أما البلاد التي لقوا فيها شيئًا من الراحة فإسبانيا بعد أن فتحها المسلمون، فإن الفاتحين أحسنوا إليهم وأكرموهم وعاملوهم بالتؤدة والمعروف، وتساوى الفريقان في العلم وطلبه، والثروة والرغبة في التقدم والتمدن، حتى بات يهود إسبانيا أنعم بالا وأحسن حالا من إخوانهم في سائر أوروبا، فاتخذوا الحرف والمهن العلمية والصناعية، ونشأ بينهم الكتاب والشعراء والأطباء والماليون والموظفون وأصحاب الفنون على اختلاف أنواعهم. ولكن بعد سقوط الأندلس من أيدي المسلمين وانتقال الدولة إلى النصارى حاق بهم ما حاق بإخوانهم في سائر الأقطار الأوروبية، وذلك أن فرديناند وإيزابلا زوجته أصدرا منشورا يأمران فيه بطرد جميع اليهود (سنة ١٤٩٢) من إسبانيا في مدة أربعة أشهر دون أن يؤذن لهم بنقل ذهب أو فضة معهم من المملكة، فنزل الأمر على اليهود نزول الصاعقة وسعوا بإلغائه، وبذلوا القناطير المقنطرة من المال حتى كاد الملكان يحولان عن عزمهما، لكن رئيس ديوان التفتيش الدومينيكي عرقل جميع تلك المساعي وتهدد الملكين، وقال لهما إذا فعلتما ما يطلبه اليهود كنتما كيهوذا الذي باع سيده، ثم حذرهما سوء العاقبة فخافا منه وثبتا أمرهما. ويشبه اليهود هذا الطرد بطردهم من أورشليم، فإن نحو نصف مليون منهم أجبروا على ترك بلاد سكنوها سبعة قرون فصارت لهم وطنا، هذا فضلا عن إجبارهم على التخلي عن أملاكهم ومقتنياتهم وأموالهم وهي شيء كثير. فتفرق هؤلاء التعساء في مراكش وإيطاليا وفرنسا وتركيا وطلب ثمانون ألفا منهم الإذن من ملك البرتغال، حيث كانت

الفظائع، كما في إسبانيا بواسطة الإكليروس؛ لكي يبقوا في بلاده ثمانية أشهر ريثما يجدون مكانا يلجئون إليه ودفعوا عن كل واحد منهم ثمانية دنانير فقبلهم في بلاده على أن يقيموا فيها، لكنه تغير عليهم بعد سنتين وطردهم.

وأصدر أمرًا سريا إلى جنوده بالقبض على أولادهم من ابن أربع عشرة سنة فما دون وبإبقائهم في البلاد لينشأوا فيها مسيحيين، فلما درى اليهود بذلك حاروا في أمرهم، فكان النساء يطرحن الأولاد في الآبار والأنهار ليخلصنهم من أعدائهم ومضطهديهم، ومن بقي منهم في إسبانيا بيع عبدا، ولم يقف تيار الاضطهاد في إسبانيا حتى أواخر القرن السابع عشر.

۞ اليهود في الدولة العثمانية.

أحسن إليهم السلاطين العثمانيون، وعاملهم الأتراك بالرفق، وأذنوا لهم بفتح المدارس وإنشاء الكنائس، وسمحوا لهم بالسكن في جميع مدن الشرق التجارية الواقعة في الدولة العثمانية، وهي الدولة الوحيدة التي شهد لها التواريخ العبرانية أنه لم يحصل لليهود اضطهاد فيها.[١]

---

[١] تاريخ الإسرائيليين.

الخزر

الصهاينة يدعون أن فلسطين هي "أرض المعاد" التي يجب أن يعود إليها ويتجمع فيها كل يهود العالم الذين خرجوا من فلسطين، فإذا تبين أنهم جاؤوا من شرق أوروبا وليس من فلسطين. فقد بطل أحد أهم أركان كيانهم اللقيط. والغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني، وإنما من أصل قوقازي، والتيار الرئيسي للهجرات اليهودية لم ينبثق من حوض البحر المتوسط عبر فرنسا وألمانيا نحو الشرق عائداً أدراجه ثانية، ولكنه تحرك في اتجاه ثابت دائم نحو الغرب، بادئاً من القوقاز، عابراً أوكرانيا إلى بولندا، ومنها إلى وسط أوروبا، وعندما قام في بولندا وسط هذا الاستيطان الضخم، لم يكن إلى جانبه في الغرب سوى عدد من اليهود غير كاف لأن يُعتَّد به، بينما كان شعب بأسره في الشرق في سبيله إلى التحرك نحو حدود جديدة، ومن العسير تحديد نسبة الخَزَرْ العددية إلى العنصر السامي.

يؤكد "كوستلر" المؤرخ اليهودي المجري "أن الغالبية العظمى من اليهود في العصور السابقة كان أصلها من بلاد الخَزَرْ، وقد أسهموا في البنية السلالية لليهود إسهاماً جوهرياً بالضرورة، ولهم السيادة والغلبة وفق أقوى الاحتمالات."ويخلُص كوستلر إلى

أمرين اثنين هما "أن الأغلبية العظمى من يهود العالم من أصل تركي خَزَري، ورفض الاعتقاد الشائع بوجود عرق يهودي متحدر من القبيلة التوراتية."وكذلك يقول المؤرخ اليهودي المعاصر "ابراهام بولياك" في كتابه "خازاريا" الذي صدر كمحاولة لتصحيح الاعتقاد المقدس القديم القائل بانحدار اليهود المعاصرين من القبيلة التوراتية. وقد قال "بولياك" في مقدمة كتابه: "إن الحقائق تتطلب منهجاً جديداً لتناول كل مسألة العلاقات بين يهود الخَزَرْ وغيرهم من الجماعات اليهودية، ومسألة المدى الذي يمكن أن نصل إليه في اعتبارنا أن كتلة اليهود الخَزَرْ كانت ركيزة المجتمع اليهودي الكبير في أوروبا الشرقية، وأن أبناء هذا التجمع، هؤلاء الذين بقوا حيث هم، وهؤلاء الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة وغيرها من الأقطار، وهؤلاء الذين هاجروا إلى إسرائيل، يمثلون الغالبية العظمى من اليهودية العالمية."تأثرت دولة الخَزَرْ – بحكم موقعها الجغرافي بين الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) والدولة الفارسية الساسانية – بالحروب الطويلة التي وقعت بين الدولتين، فكانت مرة تنضم للرومان ومرة للفرس حسب مصالحها في تلك الأوقات، واستمر هذا الوضع عندما فتح العرب المسلمون بلاد فارس وأسقطوا الدولة الفارسية وحلوا مكانها كأعداء للدولة الرومانية الشرقية، لتقع دولة الخزر بين القوتين الكبيرتين المتنافستين من جديد. وكان الخَزَر في أول نشأتهم وثنيين، ومع ظهور المسيحية تحول بعضهم إليها، وتحول بعضهم أيضا إلى الإسلام مع ظهوره، وفي منتصف القرن الثامن اعتنق ملك الخزر (الملقب بالخاقان) الديانة اليهودية وتبعه كثير من حاشيته وشعبه لتصبح اليهودية هي الدين الرسمي

للبلاد. وبحسب ما يرويه المؤرخ المعاصر للأحداث، المسعودي؛ فإنّ "صاحب القسطنطينية أيام هارون الرشيد (المتوفَّى عام ٨١٩ م) أجلى من كان في مملكته من اليهود، فقصدوا بلد الخزر، فوجدوا قوماً عقلاء ساذجين، فعرضوا عليهم دينهم. فوجدوه أصلح ممّا هم عليه فانقادوا إليه." ويرى دنلوب أنّ الدافع وراء ذلك كان سياسيّاً؛ وذلك بسبب هيمنة الخلافة الإسلامية وبيزنطة المسيحية على العالم القديم، واتّباع كلّ منهما سياسة الجهاد والحروب المقدسّة لنشر الدين الخاص بهم، فجاء أتباع الحكام الخزر لليهوديّة كدين يضمن لهم الاستقلال عن القوتين. وكان شعار دولتهم نجمة سداسية في وسطها دائرة. وشملت دولتهم أجزاءً من روسيا، أذربيجان، جورجيا، أرمينيا، تركيا، أوكرانيا، وكازاخستان. استمرت دولة الخَزَر في التواجد على هذا المنوال حتى قامت روسيا بالانقضاض عليها فكان القرن التاسع قد شهد توسّع "الروس الكيفيين" على امتداد حوض نهر الفولغا، ونزولهم باتجاه الجنوب، لتبدأ الصدامات في النصف الثاني منه بينهم وبين الخَزَر، وذلك بعد أن كانوا يأخذون من القبائل الروسية الضرائب، فرفض الروس هذا الوضع وكوّنوا اتحاداً مع قبائل السلاف الأخرى في مواجهة الخَزَر. وفي عام ٨٩٢م، نزل الروس إلى بحر الخزر وقاموا بمهاجمة السواحل، وتدمير تلك المناطق، وفي عام ٩١٣م نظموا أول حملة عسكرية لمهاجمة إمبراطورية الخزر، وفي عام ٩٤٤م، قام الروس بالتقدم حتى وصلوا إلى مدينة "بردع." مركز المسلمين في أذربيجان، ونهبوا كلّ الأماكن التي مرّوا بها، واستمرّت الهجمات الروسيّة حتى سقطت العاصمة الخزريّة "أتيل" بيد الروس تحت قيادة "سفياتوسلاف

الأول"، وقاموا بحرق المدينة ومحوها، ليستمر وجود الخزر بعدها كدولة صغيرة في شبه جزيرة القرم، حتى عام ١٢٤٥م، عندما سقطت نهائياً على يد المغول. مع خضوع الخزر لروسيا بدأ الخَزَر اليهود في الانتشار في أنحاء روسيا، ثم بدأوا في الهجرة إلى دول شرق أوروبا مثل بولندا والنمسا والمجر ومنطقة البلقان، ثم إلى دول غرب أوروبا ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع هجرة الأوروبيين إليها، اليهود الخزر هم إذن أجداد وأصل اليهود الأوروبيين أو الغربيين (الأشكناز)، الذين يمثلون حاليا أكثر من ٩٠٪ من يهود العالم، وهم لا ينتمون بأي صلة إلى اليهود الشرقيين (السفرديم) أحفاد بني إسرائيل، واليهود الشرقيون لا يمثلون حاليا إلا أقل من ١٠٪ من يهود العالم، وبهذه الحقائق ينتفي الأساس الذي قامت عليه دولة إسرائيل، فالصهاينة يدعون أن فلسطين هي "أرض المعاد" التي يجب أن يعود إليها ويتجمع فيها كل يهود العالم الذين خرجوا من فلسطين، وقد تبين أنهم جاؤوا من شرق أوروبا وليس من فلسطين. والملاحظ أن معظم قادة دولة إسرائيل المؤسسين ينتمون إلى اليهود الغربيين الأشكناز أحفاد يهود الخَزَر، مثل "تيودور هرتزل" النمسوي صاحب مشروع إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وكذلك كان "حاييم وايزمان" الروسي – البريطاني، وهو الذي حصل على "وعد بلفور" من بريطانيا عام ١٩١٧، وكان أول رئيس لإسرائيل عام ١٩٤٨، ثم زعماء إسرائيل مثل ديفيد بن جوريون (بولندا) أول رئيس وزراء لإسرائيل، وجولدا مائير (أوكرانيا) ومناحم بيجن (روسيا البيضاء) وليفي أشكول (أوكرانيا) وشمعون بيريز (بولندا). ثم جاء الجيل الثاني من زعماء

إسرائيل الذين وُلدوا في فلسطين ممن يسمون: جيل الصابرا، والذين كان آباؤهم يهودا من أوروبا الشرقية ممن هاجروا إلى فلسطين قبل إعلان قيام دولة إسرائيل، مثل موشى ديان (من أبوين أوكرانيين) وعيزرا وايزمان (من أبوين روسيين) وأرييل شارون (من أب بولندي وأم روسية) وبنيامين نتنياهو (من أبوين بولنديين). وقد أثارت الدراسات التاريخية الحديثة عن اليهود الخزر وعلاقتهم بأصول اليهود الأشكناز جدلاً واسعاً، وفي عام ١٩٧٦؛ نشر المؤرخ اليهودي الهنغاري، آرثر كيستلر، كتاب "القبيلة الثالثة عشرة"، والذي خلص فيه إلى أنّ "غالبية اليهود العصريين ليسوا من أصل فلسطينيّ بل خَزَري، مُسنِداً الخلاصة بالإشارة إلى أنّ "التركيب الوراثي ليهود اليوم أقرب إلى قبائل الخَزَر والهون"، وتزامن ذلك مع تأكيدات عالم الاجتماع الأمريكي اليهودي، رفائيل باتاي، أنّ نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أظهرت أنّه ليس هناك جنس يهودي، مؤكِّداً أنّهم يختلفون اختلافا واضحاً في كل الخصائص الجسدية المهمة: القامة، الوزن، لون البشرة، الدليل الرأسي، الدليل الوجهي، فصائل الدم. وأعدّ عالِم الوراثة الأمريكي الإسرائيلي، عيران الحايك، دراسة جينيّة، عام ٢٠١٢، أثبت فيها أنّ هناك مكوّناً خزرياً رئيساً في الخطّ الجيني لدى اليهود الأشكناز، مستنداً إلى الخريطة الجينية لدى الأعراق القوقازية والأرمنية والجورجية والأذربيجانية.

جرح الجليل

في عام ألف وأربعمئة واثنين وثمانين ميلادية، وُلِدَ في ألمانيا رجل يُدعى مارتن لوثر. قسيس وأستاذ لعلم اللاهوت، قرر أن يثور على الكنيسة الكاثوليكية، مُعلنًا عن حركة إصلاحية جذرية. كانت أهم مبادئه جعل الكتاب المقدس المصدر الوحيد للمسيحية، ورد كل ما جاء عن البابوات من التفسيرات والتأويلات. ومن حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره. وأُطلق على هذه الحركة الإصلاحية التي قام بها (لوثر): (البروتستانت). وقد كانت الكنيسة النصرانية الكاثوليك والأرثوذكس: تستأثر بفهم الكتاب المقدس وتفسيره دون سائر النصارى، وما على الآخرين إلا قبول آرائها وتفسيراتها دون نقاش . وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة الذي يجعل اليهود شعب الله المختار وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم. وأن لهم الحق المطلق في تملك الأرض المقدسة بل كانوا يأتون بتفسيرات مجازية وتأويلات بعيدة لهذه النصوص.

ومن هنا بدأ الناس والعامة يقرؤون الكتاب المقدس فيجدون مدحا عظيما لليهود يكاد أن يصل إلى حد التأليه وأن لهم الحق المطلق في العودة إلى فلسطين وإقامة دولتهم بها، بعد أن كان القسس يقولون لهم إن اليهود مارقون كفار يجب

اضطهادهم.

فانقلبت الأمور إلى اتجاه معاكس تماماً، فحصل اليهود من حركة الإصلاح الديني على ما لم يكونوا يحلمون به، وبذلك تم إحياء النص التوراتي وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجياً"، وكانت هذه الأدبيات تدور حول أمور ثلاثة":

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم. الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين. الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم. وآمن النصارى البروتستانت أن مساعدة اليهود لتحقيق هذه الغاية –وقيام دولة صهيون– أمر يريده الله لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام، وساد الاعتقاد أن النصارى المخلصين سوف يعيشون مع المسيح في فلسطين ألف سنة في رغد وسلام قبل يوم القيامة. ولقد كان هؤلاء المسيحيون الجدد يعتقدون أن هناك ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح: الإشارة الأولى هي قيام إسرائيل، وقد قامت إسرائيل في العام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين للميلاد. ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدقاً للنبوءة الدينية. الإشارة الثانية: هي احتلال مدينة القدس، ولقد احتلت في العام ألف وتسعمئة وسبعة وستين، والتي ينظر الإنجيليون من الصهيونيين

المسيحيين على أنها المدينة التي سيمارس المسيح حكم العالم منها بعد قدومه الثاني المنتظر.

الإشارة الثالثة: هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى. ويزعم هؤلاء أنه بعد اكتمال المشروع، ستقع هرمجدون التي سيظهر معها المسيح ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة. ولما كانت حركة الإصلاح تخالف ما عليه الكنيسة الكاثوليكية فقد نالها من التضييق والاضطهاد الكثير والكثير. وأصدر قرار سنة ألف وخمسمئة وإحدى وعشرين بطرد لوثر وإهدار دمه وتحريم قراءة كتاباته وإحراقها، وحصلت صدامات دموية بين أتباعه وأنصار الكنيسة مما اضطر أتباعه للهرب إلى العالم الجديد أمريكا. وكان لهجرة البروتستانت آثار مباشرة وواضحة في بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التي نراها عليه اليوم.

وهكذا انتشرت "البروتستانتية" في أوربا وأمريكا وعلى إثر ذلك تشكلت أكبر قوة معادية للإسلام بدت في أشكال تحالفية ضد الدين الحق ساعية إلى تحقيق وعود مفتراة غير عابئة بقيم أو أخلاق أو إنسانية. وأصبح على رأس سياسات الدول البروتستانتية (وفي مقدمتها أمريكا وبريطانيا) دعم قيام دولة لليهود على أرض فلسطين، فلهذا انهالت المساعدات المتنوعة لأجل ذلك.

وَقد مرّت إِقَامَة تِلْكَ الدولة المشؤمة بالمراحل الْآتِيَة:

جَاءَ الجنرال نابليون بونابرت الفرنسي الَّذِي دَعَا الْيَهُود إِلَى إِقَامَة وَطن لَهُم فِي فلسطين خلال الحملة الَّتِي قَامَ بهَا على مصر والشرق فِي عَام ألف وسبعمئة وثمان وتسعين وَوجه إِلَى الْيَهُود بَيَانا سماهم فِيهِ (وَرَثَة فلسطين الشرعيين) ، وَلَكِن هزيمَة نابليون حَالَتْ دون إِكْمَال المؤامرة ثمَّ توالت نداءات وكتابات زعماء ومفكري الْيَهُود إِلَى اتِّخَاذ فلسطين وطناً قومياً للْيَهُود وَإِقَامَة دولة لَهُم فِيهَا بشتى الْوَسَائِل، فتكونت فِي أوروبا وأمريكا وآسيا وَغَيرهَا عشرات الجمعيات والمنظمات الْيَهُودِيَّة الَّتِي ترعى شؤون الْيَهُود ومصالحهم، وَمن أبرزها:

(جمعية أحباء صهيون) الَّتِي قدمت عَام ألف وثمانمئة واثنين وثمانين طلبا للقنصل العثماني فِي روسيا يطْلبُونَ الْإِقَامَة فِي فلسطين فَكَانَ الرَّد بالرفض الْقَاطِع من السُّلْطَان عبد الحميد الثاني. واسْتَطَاعَ الْيَهُود أَن يتغلغلوا فِي الأوساط الدِّينِيَّة والاجتماعية والمالية والإعلامية والسياسية فِي الْبِلَاد الغربية ذَات النّفُوذ العالمي مثل بريطانيا وروسيا وفرنسا ثمَّ أمريكا لاحقا، وَأَن يُسَخِّروا حكومات وشعوب تِلْكَ الْبِلَاد فِي تَحْقِيق الْمصَالح الْيَهُودِيَّة والأهداف الصهيونية وَالَّتِي كَانَت تلتقي مَعَ المطامع والمصالح الصليبية ضد الْإِسْلَام وَالْمُسْلِمين. فَأَما فِي المجال الديني فقد اسْتَطَاعَ الْيَهُود أَن يندسوا فِي الْكَنِيسَة النَّصْرَانِيَّة ويصلوا إِلَى أَعلَى المناصب الكنسية حَتَّى منصب (بَابا الفاتيكان) ويستصدروا من مجمع (مؤتمر) الفاتيكان العالمي الثَّانِي المنعقد فِي عَام ألف

وتسعمئة وثلاث وستين قراراً بتبرئة الْيَهُود من دم الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام، وَأما فِي المجال المالي فقد ظَهرت إمبراطوريات مَالِيَّة يَهُودِيَّة فِي أوروبا وامتد نشاطها إِلَى أمريكا وَمن أبرز تِلْكَ الإمبراطوريات الْمَالِيَّة عائلة (روتشيلد) الْيَهُودِيَّة، وَأما فِي المجال الإعلامي فقد سيطر الْيَهُود عَن طَرِيق المال بشرائهم وإنشائهم للمؤسسات الإعلامية المقروءة والمسموعة والمرئية وَعَن طريقها كَانُوا يتحكمون فِي الحكومات والشعوب وتوجيههم حسب خطط الْيَهُود وأهدافهم ومصالحهم. وَأما فِي المجال السياسي فقد اسْتَطَاعَ الْيَهُود السيطرة عَلَيْهِ والتغلغل فِيهِ عَن طَرِيق الإغراء المالي والجنسي والتأثير الإعلامي والجمعيات الماسونية للوصول إِلَى أَعلَى المناصب السياسية أَمْثَال الْيَهُودِيّ (بنيامين دزرائيلي) رَئِيس وزراء بريطانيا، وأعضاء الحزب الشيوعي فِي روسيا بعد الانقلاب الشيوعي – الَّذِي أطاح بالحكم القيصري النَّصْرَانِي – كَانَ معظمهم من الْيَهُود.

وَفِي عَام ألف وثمانمئة وست وتسعين أصدر الصحفي الْيَهُودِيّ (ثيودور هرتزل) كِتَابه (الدولة الْيَهُودِيَّة) ودعا إِلَى مؤتمر (بازل) بسويسرا حَضَره زعماء الْيَهُود وحاخاماتهم من جَمِيع أنحاء الْعَالم وتقرر فِيهِ إنْشَاء (المنظمة الصهيونية العالمية) وَاخْتِيَار فلسطين لتَكون وطناً قومياً للْيَهُود بعد تجميعهم فِيهَا من أنحاء الْعَالم وبذل كَافَّة الجهود لتحقيق ذَلِك. وَفِي عَام ألف وتسعمئة وواحد أنشأ هرتزل الصندوق الْيَهُودِيّ الوطني، لشراء الْأَرَاضِي فِي فلسطين، وَعرض على السُّلْطَان عبد الحميد رشوة مَالِيَّة ضخمة مُقَابل السماح للْيَهُود بِالْهِجْرَةِ إِلَى فلسطين فرفض السُّلْطَان – رَحمَه الله – ذَلِك الْعرض وَقَامَ بطرد هرتزل. وَفِي عَام ألف وتسعمئة وتسعة تمكن الماسونيون من

الإطاحة بالسلطان عبد الحميد وعزله بانقلاب عسكري، وتولي حزب الِاتِّحَاد والترقي السلطة الفعلية فِي تركيا، ثمَّ قَامُوا بإلغاء الْخلَافَة العثمانية فِي عَام ألف وتسعمئة وأربع وعشرين على يَد مصطفى كَمَال، ثمَّ فِي عام ألف وتسعمئة وسبع عشر أصدر وَزِير خارجية بريطانيا (بلفور) وعده المشؤوم بمنح الْيَهُود حق إِقَامَة وَطن قومِي لَهُم فِي فلسطين ومساعدتهم فِي ذَلِك. وَفِي نفس الْعَام احتلت الجيوش البريطانية فلسطين بعد هزيمَة الدولة العثمانية حليفة ألمانيا فِي الْحَرْب العالمية الأولى ثمَّ وضعت فلسطين وَمَا جاورها تَحت الانتداب البريطاني بموافقة عصبَة الْأُمَم المتحدة حَيْثُ قَامَت بريطانيا بتحقيق وعد بلفور فِي تشجيع ودعم الْهِجْرَة الْيَهُودِيَّة إِلَى فلسطين وتوطينها وحمايتها، فَهَاجَرَ إِلَى فلسطين أَثْنَاء مُدَّة الانتداب البريطاني مَا يقرب من مئة وثمانية عشر ألف يَهُودِيّ كوّنوا عصابات إرهابية مسلحة مثل الهاجاناه، والأرجون وَغَيرهَا بهدف الاستيلاء على أَرَاضِي الْمُسلمين وتشريدهم وإرهابهم، وَقد اندمجت تِلْكَ العصابات الْيَهُودِيَّة بعد ذَلِك فِي (جَيش الدفاع) فِي الدولة الْيَهُودِيَّة.

ثم فِي عام ألف وتسعمئة وسبعة وأربعين أصدرت الْأُمَم المتحدة قَرَارهَا بتقسيم فلسطين بَين الْمُسلمين وَالْيَهُود وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين.

و فِي عام ثمانية وأربعين أعلن بن جوريون قيام دولة يَهُودِيَّة فِي فلسطين على أثر إعلان بريطانيا انْتِهَاء الانتداب، وَقد تسارعت الدول الغربية الصليبية إِلَى الِاعْتِرَاف بالدولة الْيَهُودِيَّة وَفِي مُقَدّمَة تِلْكَ الدول أمريكا وروسيا وفرنسا.

وقَامَت الدولة الْيَهُودِيَّة باحتلال الْقُدس الغربية وجنوب النقب عَام تسعة وأربعين ثمَّ

احتلال الْقُدس الشرقية والضفة الغربية وقطاع غزه وصحراء سيناء وهضبة الجولان عَام سبعة وستين ، وَبِنَاء المستوطنات الإسرائيلية على الْأَرَاضِي المحتلة. كل ذَلِك سعياً وَرَاء تَحْقِيق الْحلم الصهيوني الْيَهُودِيّ بِمَا يُسمى (إِسْرَائِيل الْكُبْرَى) من النّيل إِلَى الْفُرَات، وَلَكِن تقلّص ذَلِك الْحلم حينما تمكنت الجيوش الْعَرَبيَّة فِي حَرْب رَمَضَان سنة ثلاث وسبعين من تحطيم أسطورة الْجَيْش الإسرائيلي وَخط بارليف الَّذِي لَا يقهر واستعاد المصريون صحراء سيناء، مِمَّا دفع باليهود إِلَى تَغْيير استراتيجيتهم فِي اختراق الْبِلَاد الْعَرَبيَّة فسعت إِلَى توقيع معاهدة السَّلَام فِي كامب ديفيد بأمريكا عَام ثمانية وسبعين بَين الرئيس الْمصْرِيّ مُحَمَّد أنور السادات والرئيس الإسرائيلي مناحيم بيجين. وعَلى الرغم من ذَلِك فقد قَامَت إِسْرَائِيل بغزو جنوب لبنان فِي نفس العَام، وَبعد جهود حثيثة من الولايات المتحدة الأمريكية ومصر والاتحاد السوفيتي ودول أُخْرَى عقد مؤتمر السَّلَام فِي الشرق الْأَوْسَط فِي عَام ألف وتسعمئة وواحد وتسعين بالعاصمة الإسبانية (مدريد) لوضع حد للصراع الْعَرَبِيّ الإسرائيلي وتوسطت اتفاقيات أوسلو الأولى في عام ألف وتسعمئة وثلاث وتسعين في الصراع، ووضعت إطارًا للفلسطينيين ليحكموا أنفسهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما مكنت من الاعتراف المتبادل بين السلطة الفلسطينية وحكومة الاحتلال الإسرائيلية.[1]

---

[1] موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة (ص: ٢٦٣).

إلا أن اليهود لم يلتزموا بشيء ولم يفوا بوعد، فبدأت المقاومة المسلحة ضدهم وخاضت عدة حروب غير متكافئة كان أهمها طوفان الأقصى عام ألفين وثلاثة وعشرين.

ومنذ أربع سنوات، ظهر تيار داخل الحزب الحاكم في الكيان الغاصب. بعقيدة إجبار الرب – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – عقيدة تقول: سنبني الهيكل، وسيُجبر الرب على إنزال المسيح. واليهود يقولون إن يد الله مغلولة، ونحن سنجبره على بسط يده وإنزال المسيح. والسبب الذي سرع بظهور هذا التيار، هو ظهور البقرة الحمراء في تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، ونُقلت بحراسة خاصة وسرية إلى الكيان منذ وقت قريب، وقد بلغت السن المناسب للذبح منذ بضعة أشهر.

والقصة أنه لا يستطيع أي يهودي على وجه الأرض اليوم أن يدخل الهيكل. أو يقوم ببنائه، وفقًا للفقه اليهودي. وباب المغاربة هو أحد أبواب المسجد الأقصى، وعليه إعلان عريض صادر عن الحاخامية العليا في القدس: ممنوع على اليهود دخول المسجد الأقصى. وفي العهد القديم من التوراة، ابنا هارون، ناداب وأبيهو، عندما حاولا دخول قدس الأقداس في خيمة الاجتماع قبل بناء الهيكل، ولم يكونا طاهرين طهارة كافية، نزلت نار من السماء وأحرقتهما. وفي الفقه اليهودي شيء اسمه نجاسة الموتى. إذا لمس الإنسان ميتًا يصبح نجسًا. ولن يطهر إلا بالرش برماد بقرة حمراء. وإذا كان هذا الشخص الذي لمس الميت قد لمس شخصًا آخر، فإن الآخر يتنجس

أيضًا. وإذا دخل مستشفى يتنجس. وإذا مر بمقبرة يتنجس. فالنجاسة قد طالت الشعب اليهودي بأكمله. والحل أنه لا بد من بقرة حمراء. تُذبح، ويُحرق رمادها، ويُنثر على الناس، فيطهرون، وبالتالي يستطيعون بناء الهيكل. لكن البقرة الحمراء لم تظهر عبر التاريخ إلا تسع مرات فقط، وفقًا لكلام موسى بن ميمون. قال: لم تظهر بقرة حمراء في تاريخ اليهودية إلا تسع بقرات، أولها البقرة التي ذبحها النبي موسى عليه السلام، والبقرة العاشرة سيذبحها المسيح ويرش بها الشعب ويبني الهيكل. ولكن المفاجأة أنه في تكساس ظهرت خمس بقرات حمر دفعة واحدة. نقلت ووُضعت تحت حراسة خاصة في مزرعة سرية في شمال الضفة الغربية. والبقرة يجب أن تبلغ من العمر سنتين وثلاثة أشهر حتى يمكن ذبحها. وقد بلغت هذه الأبقار هذا السن منذ أشهر. وقد جهزوا المذبح على جبل الزيتون – حجارة بيضاء لم تمسها يد بشرية، ويجب أن يكون المذبح مطلًا على مدخل الهيكل، والكاهن وهو يرش الرماد على الشعب يجب أن يكون ناظرًا إلى مدخل الهيكل الذي هو مكان قبة الصخرة. ولكن هناك إشكال آخر كبير. فالشعب كله واقع تحت نجاسة الموتى. فكيف يمكن للكاهن – الذي هو نفسه نجس – أن يرش الرماد؟ ولذلك منذ سنوات بدأوا في تربية أطفال صغار. تمت ولاداتهم، في مكان منعزل، لا يلمسهم أحد. على أرضية خشبية، وبعد الولادة، يُوضعون في هذا المكان المنعزل إلى أن يبلغوا السن التي يستطيعون عندها رش الرماد على الكاهن. وبالتالي يطهر الكاهن، ويطهر الشعب كله. وعندها يجوز لهم دخول المسجد وبناء الهيكل. وأطفال الطهارة الآن

موجودون في مكان منعزل، نشأوا وبلغوا السن المناسب لرش رماد البقرة الحمراء. وهذا هو ما يفسر قيام هذه الحرب المسعورة على إيران ، ففي سفر حزقيال (الإصحاح ٣٨): قبل أن تتخذ هذه الخطوة، قبل أن تشرع في رش الرماد وتبني الهيكل، سيأتيك تحالف جوج وماجوج (أي: يأجوج ومأجوج) هكذا قال السيد الرب: هأنذا أبعث عليك ياجوج، رئيس روش، ماشك، وتوبال. روش: أي روسيا. ماشك: أي موسكو. توبال: توبولسك. كلها مدن روسية. يعني أن يأجوج ومأجوج في القراءة التدبيرية هو بوتين أو من يخلفه. سيتحالف مع فارس، وسينضم إليهم بعض البلاد الصغيرة، فوط، أي: ليبيا، وتوجرما أي: تركيا. ولذلك فالخطوة الأولى هي كسر قوة إيران، واستنزاف روسيا. بعد ذلك سيبنون الهيكل. أما بالنسبة لمصر ففي سفر إشعياء (الإصحاح ١٩) فإن مصر ستتعرض في الأيام القادمة لاضطرابات اقتصادية عظيمة، وسيجف النيل، وسيعاني الناس من اضطرابات اقتصادية هائلة. ونتيجة لهذه الاضطرابات سينشغلون عن هذه الأحداث. النهر يجف. وهذا قد يفسر لك وجود أفراد من الكيان في وزارة الري الإثيوبية. وبيانات كثيرة خرجت بمساعدة الكيان في بناء سد النهضة. ولن ينازعهم سوى إيران وروسيا، مع بعض التحالفات الأخرى مثل ليبيا والسودان وتركيا، وستقوم مصر باتفاق سلام. وسيبدأون في بناء الهيكل، وطبقا للقراءة التدبيرية: بمجرد أن يشتغلوا في بناء الهيكل وهم يبنونه، سيرجع التحالف (بقايا الجيش الإيراني، الجيش الروسي، السودان، ليبيا، تركيا، بعض التحالفات التي في حزقيال (٣٨) سيبدأون بالقدوم يحاولون إيقاف بناء

الهيكل مرة أخرى. وخلال هذه الحروب سيظهر رجل يريد السلام، ويبرم بينهم اتفاق سلام لمدة ٧ سنوات. وكل الأحلاف ستوافق على هذا الاتفاق، هذا الرجل الفاضل الذي سيعمل هذا الاتفاق سيظل١٢٦٠ يوما، طبقا لسفر الرؤيا، يعني ٣ سنوات ونصف من السبع سنوات، والكيان يعمل في بناء الهيكل، وبدأ فعلا يقدم الذبائح لأول مرة في التاريخ منذ ٢٠٠٠ سنة. لكن بعد ١٢٦٠يوما، نكتشف أن هذا الرجل الفاضل هو المسيح الدجال. فيبدأ في التحول في ليلة، فيشيع الفساد في الأرض، وستبدأ جيوش من الشرق في القدوم كما في سفر الرؤيا، ٢٠٠ مليون جندي من الصين، وستكون معركة يهلك فيها العرب، وفي هذه اللحظة مضت سبع سنوات كاملة، سينزل المسيح ابن مريم ليحكم الأرض. هذا هو معتقد التدبيرية الذي يسلم به كل إنجيلي اليوم. هذا المعتقد الذي وضعه هال ليندسي في كتابه "كوكب الأرض الرائع."ففي الغرب، انشق فصيل من البروتستانت، وهو فصيل يُدعى الإنجيليين .(Evangelical) هؤلاء الإنجيليون سيقرؤون ما يسمى بالقراءة التدبرية أوالتدبيرية .(Dispensationalism) هذه القراءة قدمها شخص اسمه هال ليندسي ، وله كتاب اسمه كوكب الأرض الرائع (The Late Great Planet Earth).هذا الكتاب بيع منه ٣٥ مليون نسخة، وهو اليوم بمثابة إنجيل البيت الأبيض، وإنجيل الجيش الأمريكي. انشق هذا الفصيل عن البروتستانت في الغرب، ويبلغ تعداده اليوم حوالي ٢٥٠ مليون إنسان في الغرب.

سيفسرون نبوءات خاصة بهم تختلف تمامًا عن التفسير المسيحي التقليدي. هذه النبوءات تستند إلى شيء في سفر الرؤية، آخر أسفار العهد الجديد، وهو ما يسمى الملك الألفي. يعني أن المسيح سينزل ويملك الأرض ألف سنة. يعتقدون أنه يجب بناء الهيكل، وعندما يُبنى الهيكل، سيقدم اليهود ذبائح – وهذا أمر سيحدث لأول مرة منذ ألفي سنة. وفي المعتقد اليهودي، عندما تُقدم الذبيحة، يجب أن تنزل نار من السماء لتأكلها. ولكن عندما يقدمون الذبائح ولن تنزل نار، ستكون صدمة كبيرة لليهود، وعند ذلك سيبدأ اليهود في الاعتقاد بأن هناك خطأ في دينهم، عندها سيحدث تنصير عالمي لليهود، ليعودوا إلى حضن المسيح. وستحدث فوضى في الأرض، فينزل المسيح لحماية هؤلاء ويحكم ألف سنة. فاليهود يمكرون بالمسيحيين ويظنون أنهم يستخدمونهم لتحقيق مآربهم، والنصارى كذلك يفعلون.

ولكن كل خططهم هذه ستبوء بالفشل، قال الله في سورة الإسراء: "فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا". سيحاولون دخول المسجد، ولكن كلما أرادوا سينهارون بكل الأسلحة الغاشمة التي عندهم. ومهما كان من اختلاف العلماء في بيان هذه الآية ومرات الإفساد التي قاموا بها، وهل المرة الثانية قد حدثت أم لا؟ فإن الله يقول: "وإن عدتم

عدنا". فإذا عادوا للإفساد ومحاولة دخول المسجد مرة أخرى، "ليتبروا ما علوا تتبيرا"، كل ما يبنونه سينهار.[١]

---

[١] هيثم طلعت.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. **الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.** (وفق الترجمة المعتمدة في الكتاب، مثل: ترجمة فاندايك، أو الترجمة العربية المشتركة، أو غيرهما).

٣. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري. **الفصل في الملل والأهواء والنحل.** القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

٤. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر. **التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد.** تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية.** تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم.** تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.

٧. أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني. **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٨. البخاري، محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح (صحيح البخاري).**

٩. القشيري، مسلم بن الحجاج. **المسند الصحيح (صحيح مسلم).**

١٠. بوكاي، موريس. **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.** ترجمة: حسن خالد. بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١١. جمال حمدان. **اليهود أنثروبولوجيًا.** القاهرة: دار الهلال.

١٢. الشقيري، أحمد. **خرافات يهودية.** المحرر: عبد العزيز السيد أحمد. المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع، الطبعة الإلكترونية الأولى، ٢٠٠٥م.

١٣. الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير.** دمشق – بيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ.

١٤. الصلابي، علي محمد محمد. **الأنبياء الملوك.** بيروت: دار ابن كثير، ط١، ٢٠٢٣م.

١٥. الصلابي، علي محمد محمد. **المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام: الحقيقة الكاملة.**

١٦. السرايا، هشام. **حياة بني إسرائيل في مصر بين حقائق الدين ومصادر التاريخ.** القاهرة: مركز الأهرام، ط٢.

١٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور.** بيروت: دار الفكر.

١٨. عامري، سامي. **الوجود التاريخي للأنبياء وجدل البحث الأركيولوجي.** مركز رواسخ، ط٢.

١٩. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي).** تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢٠. قدح، محمود بن عبد الرحمن. **موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة**. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة التاسعة والعشرون، العدد (١٠٧)، ١٤١٨–١٤١٩هـ.

٢١. مكاريوس، شاهين. **تاريخ الإسرائيليين**. مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.

٢٢. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**. تحقيق وتخريج: يوسف علي بديوي. مراجعة وتقديم: محيي الدين ديب مستو. بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٣. الزمخشري، محمود بن عمر. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٢٤. الفرح، محمد حسين. **الجديد في تاريخ دولة وحضارة سبأ وحمير**.إصدارات وزارة الثقافة والسياحة–صنعاء.

المقالات والمصادر الإلكترونية

٢٤. **الحوار المتمدن**. مقال منشور على موقع الحوار المتمدن، رقم المادة (٨٧٠١٦٥). متاح على: .

٢٥. **شبكة الألوكة**. قسم الثقافة. متاح على: .

٢٦. **بصمة أحمدية**. «المعتقدات». متاح على: .

٢٧. **كتاب أونلاين**. صفحة الكتاب رقم (١٠٦٣٦٣). متاح على: .

٢٨. **بوابة الأهرام**. الأخبار اليومية. متاح على: .

٢٩. **شبكة الألوكة**. مقال منشور في قسم الثقافة، رقم (٧٢٧٤٥). متاح على: .

٣٠. **قاموس الكتاب المقدس**. مادة: «تغلث فلاسر الثالث». موقع الكنوز القبطية. متاح على: .

٣١. **الكتاب المقدس، العهد القديم**. سفر الملوك الثاني، الإصحاحات ١٥–١٧.

المحتويات

بدأت القصة بخطوات نبي، وامتدت
عبر ممالك وسبي وشتاتٍ وحروب.
وما بين وعد الخليل وجرح الجليل،
يروي التاريخ ما لا تقوله الشعارات.
لأن الحاضر لا يُفهم إلا من جذوره،
يعود هذا الكتاب إلى البدايات الأولى:
حيث وُلدت الحكاية التي ما زالت تلقي
بظلالها على العالم.

ليس هذا كتابًا عن أمةٍ فحسب، بل
عن قصةٍ غيّرت مجرى التاريخ؛ قصة
بدأت بوعدٍ، وعبرت قرونًا من التيه
والصراع، وما تزال فصولها تُكتب إلى
اليوم.